

المجلد الخامس

(١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي





المجلد الخامس

(١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي



الجمهورية العراقية المظفرة

ما كاد طبع المجلة ينتهي حتى انتهى عهد الحكم الملكي الفاسد في العراق ، وبدأ حكم جمهوري جديد صالح ، كان عزيز المنال ولو في الحقب الطوال ، وصارت الدولة العراقية جمهورية ، أقامها الجيش العراقي الأبي الحر ، بعد أن ضرب حكام العراق في العهد البائد الفاسد ضربة قاضية ، وقطع دابرهم ، وقد أيد الشعب العراقي هذه الثورة العظيمة من أقصاه إلى أقصاه ، وأجمعت القلوب على مباركة هذه الجمهورية الصالحة ، واستبشرت بمستقبل زاهر باهر لها ، وأصبح الشعب العراقي يداً واحدة لمساعدتها وعاملا على تأييدها وتثبيتها ، وفق الله تعالى القائمين بها ، والمجتهدين في إرساء قواعدها ، والذائدين عنها ، والداعين إليها ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المجمع العلمي العراقي



تسهيل الخط العربي

لقد كثر البحث في هذا الموضوع ، وتكرر في المجامع العلمية العربية ومؤتمراتها الثقافية ، وكتب فيه جماعة من فضلاء الأدباء والخطاطين الراسخين في فن الخط ، من مسهب في بحثه أو موجز

ولم تستقر تلك الأبحاث المختلفة الوجوه على أسلوب معين ، ولم يختمر رأي في اختيار ما يعد أصلح الأساليب للعمل به والسير عليه ، حتى الآن وكنت قد شاركت في هذا الأمر المهم في حياة الخط العربي ، فكتبت فيه مقالات في جريدة العالم العربي العراقية بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ على ما أتخطر

وقد دفعني الى استئناف بحث الموضوع ما دار من الكلام فيه مجدداً في مؤتمر المجامع العلمية الذي انعقد في السنة الماضية في دمشق الحريصة على حفظ التراث العربي الثمين

لا أريد أن أبحث في هذا المقال عن صحة عبارة (الخط العربي) أو (الأملاء العربي) أو (رسم الخط العربي) وأي هذه التعابير هو الأرجح ؟ فان مناقشة ذلك قليلة الجدوى ، ولا تهمني في هذا المقام وإنما أوجه بحثي الى الطريقة التي يسهل بها (الخط العربي) أو (الإملاء العربي) أو (رسم الخط العربي)

وأهم ما تلخص عندي في الموضوع من مجموع ما سمعته وقرأته وكتبته خمسة آراء :

١ — أن يستبعد الرسم المعمول به في الأقطار العربية غابراً وحاضراً ، وتطوى الحروف التي تتألف منها الكلمات العربية برسمها المألوف طي السجل للكتب ، وتطمر في غياهب الجب ،

ويعتاض عنها بالحروف اللاتينية ، لأسباب تافهة كل التفاهة ، وعلل هي علل وأمراض في الواقع والحقيقة انتابت قلوب الذاهبين الى هذا الرأي ، أهمها :

أ) أن بعض الأمم الناهضة حديثاً قد استبدلت الحروف اللاتينية بالحروف التي كانت تخط بها كلماتها إثباتاً للتجديد في حياتها الناهضة

وفات هؤلاء أن أولئك القوم لا يملكون حروفاً هجائية برسم خاص بهم ، لأن حروفهم الهجائية التي استبدلوا غيرها بها كانت مستعارة من قوم آخرين فلم يفعلوا أكثر من تغيير العارية ثم ما لنا وهؤلاء وتقليدهم ، ونحن نملك حروفاً هجائية أصيلة نحبها وتحبنا ، ذات رسم جميل خاص بنا ، أنتجت كلمات عربية لا تنفد عداً ، ملأت بطون ملايين الكتب في مختلف العلوم والآداب ، فلم تَنُؤْ بها ، ولم تستثقلها ، بل حفظت رائماً ثميناً ، نفخر به مدى العصور وهل ان استبدال حرف بحرف دليل على النهوض والتجدد ؟ وهل تبديل عارية بعارية دليل على التقدم والنهوض ؟ أو ليس استبدال العارية بالملك استبدال الأدنى بالذي هو خير ، وتضييع الملك الراسخ الغالي ، ونكران لجميله الذي يعجز القلم عن ايفائه شكره ؟ وأقف عند هذا الحد من الاندفاع في الرد احترازاً عن الإطالة والخروج عن الموضوع .

ب) أن رسم الهمزة والألف اللينة في آخر الكلمة ، يوقعان الخاطَّ في الحيرة والارتباك ، لاختلاف رسم الهمزة باختلاف موقعها في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، وتبعاً لمقتضى حركتها أو حركة ما قبلها ، ولاختلاف رسم الألف اللينة باختلاف أصلها من كونه واواً أو ياءاً ، أو باختلاف عددها في آخر الكلمة ولا أطيل مناقشة هذه العلة ، فانها تبطل نفسها بنفسها ، لأن مجرد التبلبل في رسم حرف أو حرفين من مجموع الحروف العربية لا يستوجب طرح الحروف جميعها وابدال حروف أعجمية بها ، إذ ما ذنب الباقي ؟ وهل وقف العجز بنا عن اماطة أذى التبلبل عن طريق هذين الحرفين الى حد أن ننبذ الحروف كلها نبذ النواة ، بعد أن أسدت معروفها للغة العربية زمناً يقرب من أربعة عشر قرناً أو يزيد ؟

٢ — أن يحتفظ بالحروف العربية برسمها المألوف بشكل واحد ، وهو شكل رسمها المعمول به في أواخر الكلمات (ب س ث ج ح ... الخ) ، وتكتب الكلمات بحروف متتالية منفصل بعضها عن بعض ، وتفصل كل كلمة عن أخرى بنقطة أو فارزة أو خط صغير ، كأن تكتب عبارة (الخط جميل) هكذا (أ ل خ ط . ج م ي ل)

وهذا الأسلوب يسهّل في الحقيقة والواقع تعلم الكتابة والقراءة كل التسهيل ، ويمحو الأمية بأقصر وقت ، إذ ليس على الراغب في تعلم القراءة والكتابة أكثر من أن يحفظ الحروف الهجائية ويتعلم رسمها بالشكل الآنف الذكر ، ثم يكتب الكلمات التي يريد كتابتها برسم الحروف التي تتألف منها نطقاً بلا زيادة ولا نقص

بهذا الأسلوب نستطيع أن نزيل الأمية عن الأمة في وقت قصير بلا كبير عناء ، ولكننا نخسر به شيئين ، لهما أهميتهما : جمال الخط ، وقصر الكلمة رسماً

على أن هذا الرأي على فرض قبوله لإخراج الأمة العربية من ظلام الأمية الى نور الكتابة والقراءة في أقرب وقت ، نختار أن نرسم فيه الحروف على الوجه التالي :

الف باء تاء ثاء جيم حاء خاء دال ذال راء زاء سين شين

ا بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ

صاد ضاد طاء ظاء عين غين فاء قاف كاف لام ميم نون

صـ ضـ ط ظ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ نـ

واو همزة هاء ياء لام الف

و ؤ هـ يـ لا

فان هذا الرسم أخصر وأسهل وأقصر من رسمها على الوجه المألوف :

(أ ب ت ج ح خ ..)

كما أنه أقرب الى رسمها على ما سيجيء في الرأي الثالث ، بل ربما أنتقل متعلمو هذا الرسم المتقطع الحروف بعد مدة قليلة الى رسم الكلمات على الوجه الثالث — المختار عندي — لشدة التقارب بين الوجهين

ومما يلاحظ هنا أنا زدنا رسماً خاصاً للهمزة بشكل (ؤ) ووضعناه بالترتيب بعد الواو وقبل الهاء ؛ لأن كلاً من الهمزة والهاء من حروف الحلق ، فهي أنسب بالوضع في جوارها ، واخترنا (ؤ) لرسم الهمزة ، ولم نختر (أ) أو (ىء) لأن الرسم المختار أكثر ملاءمة للاتصال والانفصال في الرسم كما يظهر عند التجربة والتأمل ولم نقتصر لها على هذا الرسم (ء) لأن هذه الأشارة يصعب ظهورها في وسط الكلمة باطراد ، كما أنها قد تختلط بالنقطة (٠) عند الاستعمال في الكتابة ، بل قد تضيع عند المزاحمة

٣ — المحافظة على الحروف العربية برسمها المألوف مع إحداث إصلاحات طفيفة فيها تفي بالحاجة ، وتسد العوز ، وتدفع الشكوى التي علا ضجيجها ، وطال أمدها ، مع المحافظة على جمال الرسم وحسن الخط وقصره وحاصل ذلك :

أ — أن رسم الألف اللينة بهذا الشكل (ا) مطلقاً أي سواء وقعت في الوسط أو في الآخر — ولا يتصور وقوعها في الأول — وسواء كان أصلها واواً أو ياءاً أو كانت ثالثة في آخر الثلاثي أو رابعة أو خامسة أو سادسة في آخر الرباعي أو الخماسي أو السداسي ، عربية كانت الكلمة أم أعجمية ، فتكتب الكلمات :

(على دعا رمى عصا . متى موسى مصطفى أعطى استقصى)

ونحوها على الوجه الآتي :

(علا دعا رما . عصا متا موسا . مصطفا اعطا استقصا)

وهكذا

ب — أن ترسم الهمزة بهذا الشكل (ؤ) مطلقاً ، أي سواء وقعت في الأول أو في الوسط أو في الآخر مهما كانت حركتها و حركة ما قبلها ، فترسم الكلمات :

(أنى سأل سئل ساءل قرأ قرئ حرؤ ٠ برء) على الوجه الآتي :

(ؤنى سؤل سؤل ساؤل قرؤ قرؤ جرؤ برؤ) فهي تكتب بشكل واحد في جميع المواقع كسائر الحروف الهجائية الأخرى وبهذا يزول التبلبل في رسم الهمزة كما زال في رسم الألف اللينة على ما بيناه آنفاً

ج — أن نشكل ما يُشْكِل في الكلمات من الحروف ، أي أن نضع الشكلة وهي (الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة) على الحرف عندما يتصور الكاتب أن القارىء قد يشكل عليه صحة النطق به وهذا الأمر جار في جميع الحروف وهو قاعدة معروفة في الخط (اشكل ما يُشكل) ولا أرى موجباً لشذوذ الهمزة عن هذه القاعدة وانفرادها عن سائر الحروف برسوم متعددة مختلفة فلو كان هذا صواباً ولفائدة مهمة ، للزم أتباعه في سائر حروف الهجاء أيضاً ، وحينئذ قد تصل حروفنا رسماً الى رقم عال يعقد الأمور فما هو متبع في رسم غير الهمزة يجب أن يتبع في الهمزة أيضاً

٤ — أن رسم الحروف كلها بشكل واحد سواء أكانت أولية أو وسطية أو نهائية ، فترسم العين مثلاً هكذا : (علا بعر ٠ باء) ، والغين مثلاً هكذا : (غصن ٠ بغداد صاغ)

ويختار لهذا الرسم الموحد الشكل الآتي :

(ا ب ت ث ح ج خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ؤ ه ي لا) .

ويلاحظ أن موضع الهمزة في هذا الترتيب جاء بعد الواو وبشكل الواو زيادة هذه العلامة

(ء) فوقها ، وهو موقع مناسب لها بعد الواو وقبل الهاء ، لأنها من حروف الحلق فترابط مع الهاء ، فترسم بشكل الواو مع العلامة الفارقة ، وتلازم صورتها في كل مكان ، كما هو جار في رسم الدال والذال والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء وغيرها . وقد أشرنا الى هذا سابقاً .

ولنجرب هذا الأسلوب بكتابة العبارات الآتية :

(الرجل الكريم يحبه الناس والانسان اللئيم يكرهه العالم) بالحروف المقترحة ، فنكتبها بالشكل الآتي :

(وٗلرجل وٗلكريم يحبه وٗلناس ووٗلوٗنسان وٗللوٗيم يكرهه وٗلعالم)

٥ — الاحتفاظ بالرسم المألوف بحالته الراهنة مع ثلاثة تعديلات لاغير ، وهي :

(أ) رسم الألف اللينة بهذا الشكل (ا) مطلقاً

(ب) رسم الهمزة بهذا الشكل (وٗ) مطلقاً

(جـ) أن تكتب الكلمة بالحروف التي تلفظ عند النطق بها منفردة بلا زيادة ولا نقص .

واني أرجح هذا الأسلوب الخامس — اذا لم يحصل الرأي الثالث قبول ذوي الشأن ، للأسباب الآتية :

١ — المحافظة على الأسلوب المألوف .

٢ — المحافظة على جمال الخط الذي أستقر بمد مران طويل

٣ — المحافظة على الصلة بين الماضي والحاضر ، لئلا يقع الإشكال فى قراءة الكتب السالفة بعد مرور هذا الجيل ، إذا ما عدلنا عن المحافظة على الأسلوب المألوف .

قد أسرفنا كثيراً في نشر المقالات والبحوث في النوادي العلمية والمؤتمرات في أمر تيسير الخط العربي على طريقة تلائم الماضي من جهة وربط به المستقبل من جهة أخرى بحيث لا تضيع صالحة سلفت لنا ، ولا تضيع علينا صالحة نستقبلها ولكن حتى الآن لم تتحرك الجهات ذات

الشأن لجمع الكلمة على رأي ، ولم تمتد يد العمل الى تأسيس ما يتوسل به إلى الانشاء والتجديد فى هذا السبيل مع حفظ الصوالح الماضية . وقد مرت عشرات السنين ونحن نتبارى في الأقوال وبث الآراء من غير جمع لما قيل ، ولا تصنيف لما بحث ، ولا عمل لتحقيق النتيجة ، شأننا في هذا شأننا في كثير من الأمور الحيوية التي نشعر بضرورة اصلاحها أو تسهيلها ، فنخوض في بحثها ونكتب فيها ما شاء الله أن نكتب ، ثم لا نلبث أن تتقاصر خطانا في التقدم الى العمل ، فيبقى الكلام حبراً على ورق ، وتبقى الآراء في طي الكتمان ، وتلك خلة أعيذ طباعنا أن تستمر عليها لذلك أهيب بالمعنيين في الأمر الى تحقيق ما يؤدي الى التحول من ساحة الآراء الفسيحة الأرجاء الى ميدان العمل ، وتقرير نتيجة حاسمة فيه ، ومن الله التوفيق .

منير القاضي

الخواجه نصير الدين الطوسي

وعلم الفلك (*)

الفلك في هذه الأيام نال مكانة كبيرة ، وأتصل بالعلوم قديماً وحديثاً ومنها العلوم الرياضية وغيرها ، فسهل السير في البحر والجو وكذا النقل ، وكان ذلك نتيجة جهود كبيرة أُشتغلت فيه الأقطار والأقوام مثل بابل وأثور ومصر ويونان والأمة الإسلامية ، وصار الى الغرب فقويت مكانته ، وأُشتق منه عندنا (علم البحار) ، وتكامل في الغرب ، وكذا الطيران ، وما زال في تزايد كبير وتكامل عظيم وأصله من الفلسفة ، ومن أهمها العلوم الرياضية

وفي عهد المغول برز فيه جماعة من العلماء ، أشهرهم : (الخواجه الطوسي) ، ذاع صيته في الأقطار بما حمل من علوم ، وكان يدعى (أستاذ البشر) ، وهو موضوع بحثنا في هذه النبذة أو الصفحة من حياته .

ولد يوم السبت ١١ جمادى الأولى سنة ٥٩٧ هـ — ١٢٠١ م ، وعاش غالب أيامه في إيران ، وأكثرها في قهستان و أَلَمُوت من بلاد الإسماعيلية (١) ، وكتب مؤلفات عديدة لهم في اللغة العربية والفارسية ، وكان يكتب باللغة التركية أيضاً

وفي ذي الحجة سنة ٦٥٠ هـ — ١٢٥٢ م سار هولاكو الى ايران بأمل اكتساحها ، فكانت مشيته بطيئة وفي شعبان سنة ٦٥٣ هـ — ١٢٥٥ م قصد ربوع الإسماعيلية ، وتمّ له الاستيلاء على ألموت ، وأثر ذلك اتصل الخواجه بهولاكو في همذان فضمّه الى حاشيته ورعاه . وفي ١٤ شوال سنة ٦٥٤هـ ـ ١٢٥٦م أعلن أنه شيعي اثنا عشريّ ، وأُضطر ركن الدين

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ عباس العزاوي بدار المجمع العلمي العراقي

(١) هؤلاء من الإسماعيلية النزارية ، ونزار ابن الخليفة المستنصر الفاطمي وأئمتهم في هذه الأيام الأغاخانية .

خورشاه إمام الإسماعيلية وأميرها الى الخضوع ، ولم ير وسيلة للنجاة سـوى التسليم . وفي أواخر ذي القعدة من هذه السنة افتتحت بلاده ، ثم قتل سنة ٦٥٥ هـ وبعدها سار هولاكو متوجهاً نحو العراق وفي يوم الخميس ٤ المحرم سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م استطلع هولاكو رأي (حسام الدين المنجم) في أمر الهجوم على بغداد وما يقوله علم التنجيم بذلك ، فبين له الأخطار التي تنجم من الإقدام على هذا العمل ، وأبدى أنه أوجس خيفة من إشارة الطالع الى قتل ملك ووقوع كوارث عظيمة من قحط ووباء ، فحذره من التصدي للفتح بأمل صده وكان هذا المنجم أرسله القاآن منكوخان (مونكـكا) مع هولاكو ، وأمره أن لايخالف رأي هذا المنجم فيما يقوله الطالع ولـكن هولاكو لم يقف عنده ، وإنما رجع الى رأي الخواجه الطوسي ، فأفتاه عن الطالع بأن لاضرر على السلطان ، وإنما يقتل الخليفة ، ويدمر جيشه ، ويكون النصر حليف السلطان ، فلا وبال عليه وفي هذه الحالة لاينكر تأثير (البخشية) ، أي رجال الدين أوالسحرة عند المغول ، ومن ورائهم أمراء الجيش ، فقد ألحوا كثيراً في لزوم الهجوم على بغـداد ، وكان الجيش طبق الأرجاء ، وبناء على هـذه الفتوى زحف من كل صوب وفي ٥ صفر سـنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م دخل هولاكو بغداد ، فاكتسب الخواجه الطوسي مـكاناً لائقاً لنجـاح الهجوم طبق الفتوى

وكان الطوسي مشتغلاً بعلوم الأوائل حتى صار رأساً فيها ، ومكانته عند الإسماعيلية معروفة ، فدخل في خدمة هولاكو بسبب علم الاختيارات [1] ، واختفى اسم حسام الدين المنجم

ثم إن هولاكو وافق الخواجه على بناء رصد ، لإتقان المطالع والمنازل ، فبناه في مراغة ، وجمع لهذا الرصد مـكتبة عظيمة ، وظهرت له مؤلفات ، كما أنه استعان بعلماء المسلمين من عرب وإيرانيين في بناء هـذا الرصد بحيث تكون منهم ما يقال له اليوم (المجمع الفلـكي) ، وعمل الزيج الإيلخاني ، كما ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك والاختيارات لمن كان في صحبته من

(١) ويسمى علم التنجيم وعلم الأحكام ، إلا أن التنجيم أعم من الاختيارات ، إذ كانت الاختيارات تدل على اختيار الوقت المناسب ، وهو جزء من التنجيم

العلماء ، وتكونت ثقافة فلكية مهمة جداً ، وأشهر أمره في الأقطار وذاع صيته في الآفاق . مال الناس الى هذا النوع من المعرفة المنتظمة والعملية ، فصارت صلته كبيرة بعلماء كثيرين معاصرين ، ولم تنقطع صلته بالعصور التالية له بصورة متوالية حتى يومنا هذا .

ففي يوم السبت ٥ من شهر خرداد سنة ١٣٣٥هـ — ش أجري الاحتفال بمرور سبع مئة سنة على وفاة الخواجه نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي في جامعة طهران ، ودام الى يوم السبت ١٢ من الشهر المذكور ، وافتتح الاحتفال بقراءة أمر الشاه ، وخطب في اليوم الأول من افتتاحه رئيس الوزراء ، ثم وزير المعارف ، ثم رئيس الجامعة ، وفي خلال المهرجان خطب بعض المدعوّين من الأعضاء : بينوا حياة الطوسي وعظمته في خدماته للثقافة الفلكية وغيرها ، كما ظهرت مؤلفات عديدة في حياة الرجل ، ونشرت آثاره ، ونقل بعضها من العربية إلى الفارسية

وحياته الأولى بعد أن أتم تحصيله كانت بين الإسماعيلية ، وظهر فيها من المؤلفات : روضة القلوب ، ورسالة في التولي والتبري ، وتحرير المجسطي ، وتحرير أقليدس ، وتحرير أكرمانالاوس ، وأخلاق ناصري ، وروضة التسليم ، ومطلوب المؤمنين ، وشرح الإشارات ، وكتب في التنجيم وأخرى في الفلك ، وباقي مؤلفاته ظهرت بعد أن فتح هولاكو بغداد . وتوفي في ١٨ ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ — ١٢٧٤ م في بغداد ، ودفن في الكاظمية ، وكان قد تمّ الرصد في السنة التي توفي فيها الخواجه .

صلات الفلك بعلم الاختيارات

كانت ثقافة الخواجه منوعة وفي علوم كثيرة ، ولكنها ترجع في الحقيقة إلى الفلسفة الإشراقية مع علم بالفلسفة اليونانية ولكن موضوع بحثنا الآن علم الفلك وما يتعلق به من علوم ، مثل الاختيارات أو التنجيم (علم الأحكام) ، وبهذا العلم تقدم الخواجه لدى هولاكو خان ، وهو من العلوم المعتبرة عند الإسماعيلية ، ولم يكن مقصوراً عليهم ، بل دخل المملكة

الإسلامية بدخول علوم الأوائل ، وإن حادث بناء بغداد يستند اليه بأستطلاع آراء المنجمين في ذلك العهد ، كما أن الخلفاء كانوا يسيرون بمقتضاه وفي أيام الخليفة المعتصم قال الشاعر أبو تمام قصيدته البائية المشهورة :

السيف أصدق إنباء من الكتب | في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في | متونهن جلاء الشك والريب

ومنها :

أين الرواية ؟ بل أين النجوم وما | صاغوه من زخرف فيها ومن كذب ؟
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة | ليست بنبع اذا عدت ولا غرب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة | إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

وهذه في ذم علم التنجيم وكذا ذمه علماء وشعراء كثيرون ، مثل قول بعضهم :

أحساب النجوم ، حملتمونا | على شيء أرق من الهباء !
علوم الأرض قد خفيت عليكم | فمن أنباكم علم السماء ؟

وقول الآخر

دع الاعتراض فما الأمر لك | ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله | فمن خاض لجة بحر هلك

وفي أيام الخلافة العباسية لم ينقطع الأشتغال في علم الاختيارات ، ومن هذه المؤلفات (الاختيارات الزمانية للأعمال الكلية) كتب للأمير إقبال الشرابي ، ومنه نسخة نفيسة دخلت حديثاً خزانة المتحف العراقي في بغداد وفي كتاب ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد مجموعة كبيرة في أحكام النجوم ص ٩٣ ، وفي كتاب أحوال وآثار خواجه الطوسي جملة منها ، وأن المغول يعتقدون بصحته ، وأن وصية منكوقاآن سبقت الإشارة إليها ، وأن اتصال الخواجه بهولاكو وإفتاءه من مؤيدات ذلك وكتب الأختيارات في المملكة الإسلامية كثيرة

لاسهواء بعض مشاهير الرجال في الممالك ، وفي كشف الظنون جملة كبيرة منها [١] ، وكذا للخواجه ، ويأتي الكلام على مؤلفاته

رصد مراغة

إن ملازمة الخواجه الطوسي لهولاكو بسبب تعلقه بعلم الاختيارات ، كان من نتائجها أن شوقه الخواجه فأمر ببناء الرصد في مراغة فشرع في البناء في جمادى الأولى سنة ٦٥٧ هـ — ١٢٥٩ م ، فجلب له العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية انتخب علماء أكابر في الفلك مشهوداً لهم بالقدرة العلمية ، وكانت المصاريف باهظة جداً

اعترض هولاكو خان على قيمة الرصد العلمية وأهميته من جراء أن المقدرات إذا كان يجري حكمها ولا مفرّ منه ، فما معنى وجود الرصد ؟ فضرب له الخواجه الطوسي مثلاً في نفس الرصد ، فأمر بطست رفع الى أعلى الرصد ، وأن يطرح من جانب ليس فيه أحد ، ومن ثم ظهر له صوت ، فاضطرب الحضار الذين في جهة الرصد الأخرى دون أن يعلموا بما فعل ، فالتفت الخواجه إلى هولاكو ، وبين له الفرق بين من يفاجأ وبين من يعلم بما يقع [٢] .

علماء الرصد

من العلماء الذين قاموا بالمهمة :

(١) الخواجه الطوسي نفسه

(٢) الكاتبيّ القزويني : من ايران ، ويعرف بـ (دَبيران) وهو أبو الحسن علي ابن محمد الكاتبي القزويني المتوفّى سنة ٦٧٥ هـ ، وله مؤلفات كثيرة ويعد من كبار علماء الكلام من الشافعية وترجمته في فوات الوفيات ٢/١٥١ وله : الشمسية في المنطق ، وحكمة العين ، ومؤلفات كثيرة

(١) كشف الظنون . مادة (الاختيارات) وبينها كتب قديمة ١/٣٤ الطبعة الجديدة باستنبول ١٩٤١—١٣٦٠ هـ

(٢) فوات الوفيات في ترجمة الخواجه الطوسي

(٣) ركن الدين الاسترابادي : من الموصل ، وهو السيد ركن الدين الحسن بن محمد ابن شرفشاه [١] توفي سنة ٧١٥ هـ — ١٣١٥ م وفي تاريخ ابن الوردي : توفي في السنة التالية ، ومنهم من يقول بعدها

(٤) الفخر الخلاطي : من بتليس (بدليس)

(٥) المؤيد العرضي : من دمشق ، وله كتاب مهم في الهيأة

(٦) الفخر المراغي : من الموصل

(٧) محي الدين المغربي [٢] ، وتوفي سنة ٦٨٢ هـ — ١٢٧٤ م ، وفي كشف الظنون جاء تاريخ وفاته غير صحيح ، ولعله مصحف

(٨) قطب الدين الشيرازي : توفي سنة ٧١٠ هـ — ١٣١٠ م . وترجمته في كتاب (الفلاكة والمفلوكون) ص ٧٣ ، وفي منتخب المختار في علماء بغداد ، وله كتاب أختيارات مظفري في الفارسية

(٩) شمس الدين الشيرواني

(١٠) الشيخ كمال الدين الإيجي

(١١) حسام الدين الشامي

(١٢) نجم الدين الأسطرلابي .

(١٣) صدر الدين علي ابن الخواجه الطوسي

(١٤) نجم الدين الكاتب البغدادي

(١٥) قومنجي (تومهجي) الصيني الملقب (سينك سينك) أي العارف .

(١٦) أبن الفوطي : هو كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ، وتوفي ٣٠ المحرم

---

(١) ترجمته في كتاب الفلاكة والمفلوكون ص ١١٥ ، والسلوك ٢/١٥٨ قسم ١ منه ، وكتاب دول الاسلام للذهبي ٢/١٧١ ، والدرر الكامنة ٢/١٧ وعقد الجمان ج ٢٢ مخطوطة أيا صوفيا في استنبول

(٢) ترجمته في تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٤٨٩ ، وذكرت مؤلفاته في تاريخ علم الفلك في العراق

سنة ٧٢٣ هـ ـ ١٣٢٣ م . وترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين ، وفي التعريف بالمؤرخين ١٥٨/١ ، وفي مقدمة حوادث المئة السابعة .

(١٧) أصيل الدين حسن ابن الخواجه الطوسي

وعلماء كثيرون من تلامذة هؤلاء عملوا في الرصد ، ولا شك أنهم جمهرة كبيرة قلّ أن تملك هـذا العدد منهم أمة في تلك العصور وهؤلاء ليسوا كل ما تملك ، وللاحتكاك العلمي بهذه الجمهرة أو المجموعة قيمته العظيمة فهذه تكوّن مجمعاً فلكياً عظيماً للاشتراك في المباحث الراقية في مستوى عال ، وفيها تعارف بين العلماء وارتباط بالثقافة ، ومثلها أعمال الخليفة المأمون في جمع العلماء للفلك وفي مجالس علمية أخرى ، ومثله خلفاء آخرون ، وإن الاتصال العلمي الذي كان يجريه مظفر الدين كوكبري للتعرف بعلماء الأقطار بمناسبة المولد الشريف ، فيبذل للواردين ما يليق بهم من احترام مما ولّد أن يظهر تاريخ المستوفي في ذكر الواردين الى إربل بهذه المناسبة ، أو بمناسبات أخرى وقبل ذلك كان الإمام أبو حنيفة يجمع أصحابه ، ويستطلع آراءهم عما يرد من استفتاء ، وكان المبرّز فيهم عافية الفقيه المعروف ، فكان لا يقطع أمراً حتى يستطلع رأيه

إن الأستاذ الطوسي جمع بين معارف أهل الأقطار ، وهو عمل جليل ، لم يستطع أن يعمله بمفرده وهذا ما يعين درجة العناية بالرصد وبهؤلاء العلماء ، وعلى هـذا قال التقي محمد ابن زين الدين معروف الراصد المتوفّى سنة ٩٩٣ هـ ـ ١٥٨٥ م في كتابه (سدرة المنتهى) : إن الخواجه الطوسي لم يكن (مرصده) مراعاة جيداً ، لاشتغاله بالوزارة ، وتسليمه دار الرصد الى من لا يساويه أو يقاربه في الفضيلة [١] وأعتقد أن الإتقان والجودة قد بلغا الغاية ، إلا أن الفروق لا تظهر إلا بعد حين ، فينال التحقيق محله ، وأن التجارب ومرور الزمان قد أظهرا التصحيح ، وهذا ما عرف أيام أولوغ بك رصده ومثله ما فعله الفلكي الشهير (كاسيني) ،

(١) كشف الظنون ٩٠٧/١ .

ثم أتى بعده (لالند) فصحّح ما قام به الفلكيون قبله ، وفي هذه الأيام بلغ غاية النهاية من الإتقان ، فالتقصير من الطوسي لم يظهر إلا بعد التجارب لزمن طويل ، كما أنه أصلح ما كان قبله من أزياج

علماء فلك آخرون

وعرف بعلم الفلك آخرون لم يشاركوا في الرصد ، منهم :

(١) أثير الدين المفضل الأبهري

(٢) الشريفي : وله كتاب تاج المداخل في الفلك ، نقله الغياثي صاحب التاريخ الى اللغة العربية ، وشرح التذكرة للخواجه الطوسي (تاريخ علم الفلك في العراق) ص ٢٦

(٣) أبن طاووس : وله كتاب فرج المهموم في أحكام النجوم ، طبع في النجف

(٤) ابن ميثم

(٥) شمس الدين محمد السمرقندي : في ماردين ، وله شرح تحرير المجسطي ، وأشكال التأسيس اختاره من كتاب اقليدس في ٣٥ شكلاً . عندي مخطوطة منه بخط الشيخ سلطان ابن ناصر الجبوري .

(٦) العلامة الحلي (ابن المطهر) .

(٧) أبن الخوام .

وبين هؤلاء من عاصر الطوسي ، ومنهم من جاء بعده في أيام المغول ، وتلاهم آخرون . ويهمنا أن نقول إن مجموعة هؤلاء العلماء في الفلك تدل على علاقة أكيدة بالعلوم الرياضية . ولو تحرينا ما في كل قطر من الفلكيين ، لزاد العدد ، وكل هؤلاء من علمائنا ، ومن نتاج المدارس ، فهي رعى الثقافة ومنها الثقافة الفلكية ، والشام لا تقل عن بغداد . والمؤيد العرضي كان من أكابر علماء الفلك ولا يزال أثره في الرصد وآلاته وأسباب عمله مشهودة ، ومنه نسخة في خزانة مدرسة السپهسالار ، ذكرت في فهرس (دانشكده معقول ومنقول) وكان ممن كتب في الأرصاد ابن الهيثم في كتاب الأرصاد ، وللخازني الآلات العجيبة وهذا

الـكتاب يشتمل على عمل الرصد ، كما أن كتاب أبن الهيثم يشتمل على النظر في فن الرصد [1] .

وكان نشأ علم الفلك في العراق في أوائل الدولة العباسية ، وبنيت أرصاد ، وعني بها عناية كبيرة ومن بغداد انتشر في الأقطار ، فتكونت معاهد علمية ضارعت ما في الدولة العباسية ، وزاد نشاطها في ايران وفي مصر والشام في عهد العبيديين (الفاطميين)

وفي أيام المغول أزدهر علم الفلك على يد الخواجه الطوسي ، وكان النشاط فيه عظيماً بعد أن أصابته جفوة أو نكسة ، فبني الرصد ، وظهر في العراق جماعة من علماء الفلك كانوا أقرب الى الاتصال بما جرى في إيران ، بل كان بين العراق وإيران وبلاد الروم (في الاناضول) وما وراء النهر اتصال مكين وحكومتها واحـدة والمطالب العلمية مشتركة لا سيما بغـداد ، وكانت عاصمة الدولة المغولية في الشتاء كما كانت تبريز ثم السلطانية عاصمتهم صيفاً ، ويعوّل علماء العراق على مخلفات أسلافه ، ولم يغفل التطور الجديد بفضل المدارس وما فيها من أسـاتذة ، والفضل في ذلك كله للخواجه الطوسي في بناء الرصد وجمع العلماء

خزانة مراغة

هذه كانت عظيمة لما جمع من كتب نفيسة ومهمة جلبت اليها من بغداد والعراق والجزيرة وربوع الشام ذهب الخواجـه مرتين الى بغداد في سنة ٦٦٢ هـ - ١٢٦٣ م لجمع الـكتب ، فتكوّنت منها خزانة مراغة [2] ، وبلغت نحو أربع مئة ألف كتاب ، فذاع صيتها في الأقطار ، وصارت تشد الرحال اليها ، فكانت خير غذاء ، ولم تكن مقصورة على كتب الفلك ، وإنما حوت علوماً جمة وأبن الفوطي استمد منها ، وأستعان بها في ثقافته وما أظهر من مؤلفات جليلة ، وكذا آخرون لا يحصون لا سيما في الفلك وفروعه

غنائم كتب الاسماعيلية

كان المغول حينما اكتسحوا بلاد الإسماعيلية طلب عطا ملك الجويني من هولاكو أن يدخل

---

(١) ارشاد القاصد ص ١١٩

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ١/٢٤٧ .

مكتبهم ، ويخرج منها الكتب النافعة ، وكانت فيها مؤلفات مهمة في الفلك والآلات الفلكية مثل الكرامي والحلق والأسطرلابات وغيرها من كتب تنجيم ، وبين هذه الكتب (سرگذشت بابا سيدنا) ، استولى عليها ، فكانت غنائمه رابحة ، وبينها نسخ من القرآن الكريم مذهبة ومحلاة وخطوطها نفيسة ، كل هذه زادت في خزانة مراغة وخدمت الرصد خدمة عظيمة

بلدة مراغة

وكانت مراغة مدينة كبيرة من مدن أذربايجان ، وفي القديم أصلها قرية في جبل سهند على ضفة نهر يدعى (افراه رود) وهذه القرية كانت تسمى بأسم هذا النهر ، وفي ولاية مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم (سنة ١١٤ هـ ـ ١٢٦ هـ) سميت بمراغة في حرب مغان لوقوع مذبحة دعيت بالمراغة ، وأطلقت على هذه القرية [١] . وان هولاكو في جمادى الأولى سنة ٦٥٧ هـ كما في حوادث المئة السابعة أمر ببناء الرصد هناك ، ولا يزال أثرها باقياً فرصد الخواجه وجماعته الكواكب ، وعينوا طولها ودرجات عرضها ، وهناك صنف الخواجه الزيج الايلخاني ، وان المؤيد العرضي (مؤيد الدين برمك بن مبارك العرضي) كتب كتاباً في آلات هذا الرصد وأسباب عمله ، ففصّل ذلك تفصيلاً زائداً ، ودوّنه في كتابه المذكور ، وكان حكيماً فريداً ورياضياً عظيماً ، توفي في ٧ رجب سنة ٦٦٤ هـ ـ ١٢٦٦ م ، ومما قاله : « ولنذكر الآن الآلات التي عملناها بالرصد المحروس بمدينة مراغة على التل الذي بالجانب الغربي منها بالقرب من المدينة في سنين منها ما هو قبل الستين والستّ مئة الهجرية » [٢] .

وجاء في تلخيص الآثار :

« مراغة مدينة كبيرة مشهورة بأذربايجان ، كثيرة الأهل ، غزيرة الماء ، وافرة الثمرات ، بها آثار عديدة للمجوس ومدارس وخانقاهات ، وبها بستان تسمى (قيامت آباد) عساحة

---

(١) دانشمندان أذربايجان ص ٣٧٧ وفيه أحوال مراغة التاريخية

(٢) حوادث المئة السابعة ص ٣٤١ ، وجامع التواريخ ٢/٢٧٧

فرسخ في فرسخ ، وبقربها جمة (كذا) يفور الماء الحار منها يأتيها أهل العاهات للاستحمام ، ومن مفاخرها القاضي صدر الدين المشهور بالجود والكرم ، ومن خيراته سور مدينة قزوين » اهـ .

وفي (روز نامهٔ علميهٔ دولت عليهٔ ايران) جاء كلام مختصر في رصد مراغة ومحله يقال له (رصد داغي) أي (تل الرصد) أو (جبل الرصد) ، وهناك رسمت خارطة بذلك الرصد ، وذلك في العدد السابع منها المنشور بتاريخ غرة صفر سنة ١٢٨١ هـ [١]

ونعود الى الرصد فنقول كان مسبوقاً بأرصاد عديدة معتبرة ، أشهرها :

(١) رصد أبرخس .

(٢) رصد بطليموس

(٣) رصد المأمون ، بني سنة ٢١٤ هـ .

(٤) رصد البتاني في حدود الشام .

(٥) الرصد الحاكمي بمصر .

(٦) رصد بني الأعلم ببغداد .

هذا ، وللعراق نصيب في المشاركة برصد مراغة في المال وفي الكتب .

مؤلفات الخواجه الطوسي

إن الخواجه له مؤلفات عديدة ، ولا تزال الأيام تكشف عن بعضها ، ولا يسع المقام ذكرها جميعها ، وهذه أشهرها :

(١) الزيج الإيلخاني :

ان بناء الرصد حقق مطالب فلكية عديدة ، من أهمها : الزيج الإيلخاني ، شاركه في عمله جماعة من العلماء ، كتبه بالفارسية ، وذكر فيه جنكيز خان وأولاده وكيفية أستيلائهم على الممالك وظهورهم ، ثم قال : إن هولاكو خان قهر همذان ، وأستولى على بغداد ، وأزال الخليفة ، حتى

---

(١) دانشمندان أذربايجان ص ٣٧٨

وصل الى حـدود مصر ، ودمر البغاة وأما أرباب الفنون المتنوعـة ، فقد احترمهم ، وأعزهم ، ووضعهم في الموضع اللائق ، وأنا العبد النصير من طوس ، فصرت الى همـذان ، فأخرجني من هناك ، وأختارني لعمل الرصد ، وطلب العارفين بالرصد ، ودعاهم لعمله ، وأمر أن تجمع له الكتب من بغداد والشام والموصل للاستعانة بها والاستفادة منها ، حتى تم الرصد

وجعل هذا الزيج مرتباً على أربع مقالات :

(١) في التواريخ (٢) في سـير الـكواكب ومواضعهـا طولاً وعرضاً (٣) في أوقات المطالع . (٤) باقي أعمال النجوم

ومن هذا الزيج نسخة في جامعة كمبرج ، وأخرى في الخزانة الوطنية بباريس ، وعندي عدة نسخ منه بينها ما هو ناقص الورقة الأولى

وكانت الأزياج قبله كثيرة ، الا أنها بمرور الأيام ظهر نقصها ، فأصلحها الزيج الإيلخاني ، وكتب بعده آخرون أزياجاً موضحة للزيج الإيلخاني أو مختصرة له وكلها ذات علاقة بـه ، ودام العمل به الى أن ظهر زيج أولو غ بك ، فقد حققه ، وأصلح فيه اصلاحاً مهمّاً

ويلاحظ أن السنة الإيلخانية مشت على هذا الزيج ، وعمل بها ، وأعتبرت سنها سنة خراجية أي هجرية شمسية ، وذلك اعتبـاراً من ١٢ شهر رجب لسنة ٧٠١ هـ

وفي أيام السـلطان أبي سعيد ضربت النقود على التاريخ الإيلخاني سنة ثلاث وثلاثين وسنة أربع وثلاثين إيلخانية ، ولم تظهر بعدها نقود على السنين الإيلخانية ، الا أن العمل بالسنة الإيلخانية دام مدة في جبايـة الضرائب ، وتكلمت على السنة الخراجية أو المالية في تاريخ العراق بين احتلالين ٧/٤٦

(٢) بيست باب :

هو في الأسطرلاب على عشـرين باباً (بيست باب) منه نسخة في خزانة آيا صوفيا وفي خزائن كتب عديدة . أوله : الحمد لله حمد الشاكرين ، وهذه المقدمة ليست منه ، ويظن أن آلة الأسطرلاب الموجود في (لينينـگراد) المقدم الى المجمع العلمي فيها كان مما يستعمله الخواجه

الطوسي ، قال ذلك المسيو دورن . والظاهر أنه من أسطرلابات الإسماعيلية ، وكان من الغنائم التي أخذت منهم ، فاستولى عليها عطا ملك الجويني ، وبمناسبة الاحتفال طبع فيجامعة طهران .
وعندي نسخة منه باللغة العربية تحتوي على عشرين باباً ، كتبت سنة ١٢٣٥ هـ ، وهذه نقلت عن الفارسية ، ولم يعيّن اسم ناقلها

وعلى هذا الكتاب شروح كثيرة ، منها :

(١) شرح الشيخ عبد العلي بن محمد بن حسين البيرجندي (البرجندي) ألفه سنة ٨٩٣ هـ — ١٤٨٧ م ، وتوفي سنة ٩٣٤ هـ ١٥٢٧م أوله : « فاتحة خطاب درهر باب وخاتمة هرحال ... الخ » ا هـ [١] وعندي مخطوطة منه برقم ٩٠٤ كتبت سنة ١٢٧٤ هـ — ١٨٥٧ م ، وأخرى أقدم منها ليس لها تاريخ ، وفيها أشكال هندسية متقنة ، ومنه نسخة في جامعة طهران قسم ٣ ص ٩٠٤

وللخواجه كتب أخرى في الأسطرلاب لم تشهر اشهار بيست باب

والأسطرلاب لفظ يوناني ، ويرجح ذلك صاحب مفاتيح العلوم ، ومنهم من قال : اللفظة فارسية ، أصلها (ستاره باب) ، ومنهم من بالغ في قدمها ، ونسبها الى ابن ادريس (ع) ، وهو (لاب) ، فقيل (سطرلاب) مما يدل على قدم هذه الآلة

وأول من عمل هذه الآلة من العرب المسلمين أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري كان من علماء الفلك أيام الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ هـ — ٧٥٤ م ، ١٥٨ هـ — ٧٧٥ م) ، وهذا الأسطرلاب قد فقد

ثم تلته مؤلفات كثيرة ، وفي كشف الظنون جملة منها في مادة (أسطرلاب) ، وجملة في مادة رسالة في الأسطرلاب

وفي فهرس مجلس الأمة الإيراني جملة كبيرة من المؤلفات في الأسطرلاب ، منها (كتاب استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الأسطرلاب) للبيروني ، وجاء في الفهرست :

---

(١) خزانة مجلس الأمة الإيراني ٢/١٠٤

وفي صناعة الأسطرلاب كتب كثيرة في اللغة العربية ، منها : (كتاب الكامل) لشهاب الدين أحمد بن محمد الفرغاني ، وله (صنعة الأسطرلاب بالهندسة) ، و (صنعة الأسطرلاب والبرهان عليه) لأحمد بن محمد بن كثير ، و (صنعة الأسطرلاب للطريق الصناعي) لمنصور بن علي بن عراق ، و (العمل بالأسطرلاب) لأمية بن أبي الصلت ، إلى آخر ما ذكر من مؤلفات .

وذكرنا في تاريخ علم الفلك ما تمكنا من ذكره من مؤلفات في الأسطرلاب . وذكر الأستاذ أحمد مختار صبري رسالة في دار الكتب المصرية سماها (تذكرة أولي الألباب في استيفاء العمل بالأسطرلاب) للشيخ أبي القاسم أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ... اعتمدها في بحثه ، كما اعتمد غيرها والصواب في اسمه على ما جاء في ذيل كشف الظنون أبو القاسم أحمد بن علي بن ابراهيم . وألقى الأستاذ محاضرة في الأسطرلاب وتاريخه عند اليونانيين والإسكندرانيين ، ونشرها في رسالة

وفي خزانة مشكاة أسطرلابات مع تصاويرها وبيان رسائل فيها ومهمنا كثيراً وفي الخزائن أسطرلابات كثيرة تحتاج الى تدوين صحيح ومتقن وإلى مقابلات لمعرفة مؤلفيها . ولا يزال البحث بكراً ، ولم يحقق فيه عن جميع الأسطرلابات الموجودة في خزائن الكتب العامة .

وجاء في قاموس الرياضيات للأستاذ صالح زكي بحث موسع في الأسطرلاب لا يقل مكانة عن غيره ١/٣٠٣ — ٣١٠ ، وفيه بيان الأسطرلابات التي تنسب إلى مشاهير العلماء ، أو تعين لنا عصرها مما وصل الينا ، ومنها ما هو منسوب ، ومنها ما هو بخط العلماء المشاهير الذين يرجع اليهم ويؤخذ بتحقيقهم واتقانهم للتوصل الى ما هو معتمد وموثوق به توقياً من الغلط ، لا سيما في عصر لا نستطيع أن نأخذ العلم من أفواه الرجال ، فمن الأولى أن نأخذ المعتمد من المخلفات المنسوبة في الأسطرلاب وفي سائر العلوم ، وقد قيل قديماً :

وإنك لن ترى للعلم شيئاً   يحققه كأفواه الرّجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه   وخذه من الرّجال بلا ملال

ولا تأخذه عن كتب فتافى   من التصحيف بالداء العضال

وهنا لا يمكن أن نذكر جميع كتب الاسطرلاب لما بعد الطوسي ، وإنما محله تاريخ علم الفلك . وفي هذه الحالة اقتصرنا على من له علاقة به ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى مقال للأستاذ كوركيس عواد في مجلة سومر لسنة ١٩٥٧ م ج ١٣

(٣) الزبدة في الهيأة :

فارسية ، وهي توضح أحوال الأفلاك والأجرام ، وهذه مطبوعة ، ومنها نسخة خطية في خزانة مجلس الأمة الايراني

وتسمى هذه الرسالة (زبدة الإدراك في هيأة الأفلاك) ، نقلها الى العربية أفضل المتأخرين ملك الفقهاء والحكماء والمتكلمين نصير الملة والحق والدين يحي بن محمد الكاشي . كذا جاء في نعته وأوله : « الحمد لله فاطر السموات ومدورها . ومبدع الكواكب ومنورها ، الخ » نقله الى العربية مبدياً أنه قصد أن تعم فائدته منه نسخة بخط الشيخ محمد السماوي وصلت إلى الأستاذ صادق كمونة المحامي ، ولهذا الناقل (كتاب النكت) يحوي خمسين مسألة في المغالطات والنكات في الكلام والفلسفة ، رأيته في عين المجموعة

(٤) الرسالة المعينية :

في الهيأة ، كتبها باللغة الفارسية ، وتحتوي على أربع مقالات ، وفي كل مقالة عدة أبواب قدمها إلى معين الدولة أبي الشمس بن عبد الرحمن وهذا الكتاب يسمى بـ (المفيد) أيضاً ومنه نسخ في خزانة مجلس الأمة الإيراني ، ونسخة منه لدى الأستاذ صادق كمونة المحامي ، وقد طبعت في إيران ، وكذا صورت نسخة منها في رسائل مهرجان الخواجه الطوسي ، وطبعت في مطبعة الجامعة بطهران بمناسبة الاحتفال بالخواجه الطوسي .

(٥) رسالة حل ما لا يحل :

في توضيح مشكلات الرسالة المعينية ، ونسخها الخطية متعددة في مختلف خزائن الكتب ، وفي فهرس خزانة مشكاة في جامعة طهران (حل مشكلات معينية) ، وطبع في جامعة طهران

بمناسبة الاحتفال

(٦) كتاب الثمرة في أحكام النجوم :

ترجمه من بطليموس إلى الفارسية بإشارة من الصاحب بهاء الدين محمد الجويني ، وشرحه الخواجه الطوسي بالفارسية ، وهو في التنجيم ، منه نسخة في دار الكتب المصرية ، وكذا شرح الأصل العربي المهندس أحمد بن يوسف المصري كاتب آل طولون ، منه نسخة في خزانة المشهد الرضوي كتب بخط أبي علي الحسين بن عبد الرحمن الصوفي الرازي سنة ٣٧١ هـ وورد في كشف الظنون شروح كثيرة له ، منها شرح الخواجه بالفارسية

(٧) سي فصل في الهيأة ومعرفة التقويم : وعندي مخطوطة منه برقم ٣٥٩ وعليه بعض التعليقات ، وعندي مختصره ضمن مجموعة وعليه بعض شروح كتبت سنة ١٢٣٤ هـ ـ ١٨١٨ م ، وسماها وسيلة في التقويم للسيد المنجم

وشرحه :

(ا) بدر الطبري سنة ٨٢٤ هـ ـ ١٤٣١ م

(ب) ميرزا محمد رضا المستوفي بن محمد شفيع المعاصر لشاه عباس الثاني ، وهذا الشرح بالفارسية أيضاً ألفه سنة ١٠٦٩ هـ ـ ١٦٥٨ م منه نسخة في خزانة مجلس الأمة الايراني [١] .

(ج) كتاب ربيع المنجمين ، فارسي ، منه نسخة في خزانة مجلس الأمة الإيراني وگاه شماری ص ٣٠٠

(٨) المختصر في علم التنجيم ومعرفة التقويم :

كتب باللغة العربية ، ولم يعرف شارحه ، منه نسخة في خزانة برلين (گاه شماری ص ١٦٨) ، وفي خزانتي نسخة مخطوطة منها ضمن مجموعة

(٩) رسالة مختصرة في الأسطرلاب : أولها : « الحمد لله رب العالمين » ، وتحوي خمسة عشر فصلاً ، وفي خزانتي مخطوطة ضمن مجموعة

---

(١) خزانة مجلس الأمة الإيراني ٢/٩٤ .

(١٠) رسائل الخواجه الطوسي :

وهي ١٦ رسالة ، طبعت في مجلدين في مطبعة المعارف العثمانية في حيدر آباد دكن سنة ١٣٥٩ م ، ومن هذه الرسائل ما هو من تأليف الخواجه ، ومنها ما حرره ومن هذه الرسائل (الرسالة الشافية) ، نقـد بها أقليدس في الشكل الثالث ، وأشار اليها الأستاذ شمس الدين محمـــد السمرقندي في كتابه أشكال التأسيس ، كما نقد شمس الدين السمرقندي ابن الهيثم والجوهري وجماعة منهم الخواجه في رســالته هذه ، ومنهم أثير الدين الأبهري وأبن واصل صاحب (مفرج الـكروب) في التأريخ ، وفي هذه ما يوضح في التأريخ علاقة الهندسة بالتطور العلمي عند العرب

وفي تحرير الأُكر جرى الأمر على هذا المنوال ، مثل أُكر مانالاوس من علماء الهندسة . عندي مخطوطته التي حررها الخواجه الطوسي في جمادى الأولى ســـنة ٦٥١ هـ وذكرها في رسائله ، وكذا مخروطاته

(١١) تحرير المجسطي :

من الـكتب المنقولة الى العربية في أوائل العهد العباسي ، نقله جملة علماء ، وحرره الخواجه الطوسي ، أوله : « أحمد الله مبدأ كل مبدأ وغاية كل غاية » ألفه لحسام الدين حسن بن محمد السيواسي ، وكان تحريره في ٥ شوال سنة ٦٤٤ هـ ، ومنه نسخ في خزانة آيا صوفيا ، وفي كتاب المخطوطات العربية في دور الـكتب الأميركية للأستاذ كوركيس عواد قال : بهـــذا الاسم مخطوطة لأبي عبد الله محمد كتبت ســـنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤ م ، ومنه نسخة في خزانة جامعة (كولمبيا) في نيويورك مؤرخة قبل سنة ٧٣٣ هـ - ١٣٣٢ م ، وهو في الهيأة

والمجسطي نال عناية كبيرة من العلماء ، وإن البيروني نقده في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة) ، وأبدى في كتبه آراء معارضة له ، وكذا الصوفي وجــه نقـده عليه وعلى البتـاني في رصده [١] .

(١) مقالة للأستاذ حسن اللاعثمان في مؤتمر العلوم الأول في الاسكندرية

وشرحه :

(١) شمس الدين محمد السمرقندي ، وهو شرح مشتمل على مشكلاته في مجلد ، ومنه نسخة في خزانة المتحف العراقي في بغداد وفي خزانة مجلس الأمة الإيراني [١]

(٢) شرحه بعض المتأخرين أوله : « الحمد لله الأول بلا ابتداء ... الخ » ، وأوضح عنه صاحب كشف الظنون ولم يمين مؤلفه

(٣) تفسير التحرير للنظام الأعرج النيسابوري ، وهو نظام الدين حسن بن محمد النيسابوري المعروف بالنظام الأعرج ، أوله : « السعد قرين من صدّر كلامه بالحمد لواهب السعادة الخ » اه وقال في القطب الشيرازي إنه أشار متّعنا الله بطول مدته أن الحواشي علم منصوب عند الطرّاق ... فيخلق أن يفرغ لتفسير التحرير فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ هـ - ١٣٠٤ م . منه نسخة في خزانة مشكاة في جامعة طهران قسم ٢ ص ٨٦٤

(٤) حل الشكوك من تحرير المجسطي : منه نسخة في خزانة آيا صوفيا ، ولعله نفس كتاب شمس الدين السمرقندي

(١٢) تحرير أقليدس في أصول الهندسة والحساب ، أوله : « الحمد لله الذي منه الابتداء واليه الانتهاء الخ » ، وجاء في مقدمته : وبعد فلما فرغت من تحرير المجسطي رأيت أن أحرر كتاب (أصول الهندسة والحساب) المنسوب الى أقليدس الصوري بايجاز غير مخل حرره في ٢٢ شعبان سنة ٦٤٦ هـ » منه نسخة في خزانة آيا صوفيا وفي خزانة المتحف العراقي في بغداد ، وعندي نسخة مخطوطة منه برقم ٤٣٨ وأخرى برقم ٥٧٣ ، بل عندي نسخ عديدة منه . وكان قد نقل منه كثيرون ، وشرحوا هذا الكتاب ، فجاء تحرير الخواجه مهمّاً في الموضوع . وعليه (حاشية) للشريف الجرجاني ، وشرحه موسى بن محمد المعروف بـ (قاضي زاده الرومي) بلغ بها الى آخر المقالة السابعة كتبت سنة ١٠٨٠ هـ وجاء في مجلة المخطوطات العربية ٣/١٣ في مقال للدكتور حسين علي محفوظ : منه نسخة في خزانة ميرزا محمد عليخان تربيت في تبريز .

---

(١) خزانة مجلس الأمة الإيراني ٢/٨٨

وجاء في كشف الظنون ذكر حاشية أولها : « الحمد لله الذي رفع سطح السماء »

ورأيت من كتاب أقليدس الأصلي نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق ، وفي آخرها تكملة لهذا الكتاب في الموسيقى ، مع أن باقي النسخ خالية من بحث الموسيقى ، ويصح الاستدراك على الأستاذ فارمر بها على كتابه المصادر في الوسيقى العربية .

هذا واشكال التأسيس لشمس الدين محمد السمرقندي مقتبس من تحرير أقليدس ، وعندي نسخة منه بخط ناصر بن سلطان الجبوري وتحتوي على ٣٥ شكلاً .

(١٣) التذكرة في الهيأة :

كتاب مختصر جامع لمسائل الفن وبعض دلائله ، مشتمل على أربعة أبواب ، ويسمى (التذكرة النصيرية في الهيأة) نال عناية من العلماء لما كان لمؤلفه من الشهرة في علوم الفلك ، ويعد من أجل الكتب المدرسية ولم يهمل أو يقل الاشتغال به الا بكتاب (الملخص في الهيأة) للچغميني ، ومنه نسخة في الأحمدية بحلب وفي خزانة الجامع الأزهر ٦/٣٢٥ ، وفي آياصوفيا رقم ٢٥٨٩ ، أولها : « الحمد لله مفيض الخير إلى آخره » وفي مواطن أخرى

ومن شروحه :

(١) شرح التذكرة للشريفي ، ولم نعثر على نسخة من هذا الشرح ، وكان أعتمده الخفري في شرح التذكرة ويعد شرح الشريفي من أقدم الشروح ، بل لم نعلم شرحاً قبله

(٢) شرح قطب الدين الشيرازي العالم المعروف

(٣) شرح النظام الأعرج المسمى بـ (توضيح التذكرة) ، وهو المحقق نظام الدين حسن ابن محمد النيسابوري المتوفى بعد سنة ٧١١ هـ — ١٣١١ م ، ويحوي زبدة الفن . وهو شرح بالقول وعلى صغر حجمه كثير المعنى ، منطوٍ على زبدة أنظار المحدثين والقدماء ، قال الشارح : « وهو على وجازته يصعب على المبتدئين إدراكه ، فاقترحت طائفة من أخلائه شرحه ، فشرحه ، وأتحفه الى المولى الأعظم أقضى قضاة العالم نظام الدين علي بن محمود اليزدي ، والتزم إيراد المتن بتمامه ، ورسم أشكاله بالحمرة وأشكال الشرح بالسواد ، وفرغ من تأليفه في غرة شهر ربيع الأول

سنة ٧١١ هـ — ١٣١١ » وهذا في عهد المغول ، ومنه نسخة في الأزهر ٦/٣٢٧ وفي خزانة مجلس الأمة الايراني ٢/٩١ وأخرى في خزانة البلدية في الاسكندرية الا أنها لا تخلو من نقص وعندي نسخة منه بتاريخ ١١٣٨ هـ — ١٧٢٥ م وبرقم ٣٠٥

(٤) شرح السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ — ١٤١٣ م ، ومنه نسخة في آياصوفيا ، ونسخة في خزانة المتحف العراقي في بغداد ، أولها : « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً » ، ونسخة أخرى في برلين ذكرها صاحب (گاه شمارى)

٥) شرح البيرجندي (البرجندي) هو الشيخ عبد العلي بن محمد بن حسين البيرجندي ، منه نسخة في خزانة مجلس الأمة الإيراني ، أولها : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وبسط على بساط الساهرة »

٦) شرح الخفري ، وهو من تلامذة سعد الدين وشرحه ممزوج ، أدرج فيه ألفاظ الشرح الشريفي وغيره من الشروح ، وسمّاه بـ (التكملة في شرح التذكرة) فرغ من تأليفه في المحرم سنة ٩٣٢ هـ — ١٥٢٥ م ، منه نسخة في خزانة المتحف العراقي ببغداد

هذه أشهر مؤلفات الخواجه الطوسي التي وصلت الينا في الفلك وما يتعلق به ، ومن أراد الاستقصاء فليرجع الى ماكتبه الأستاذ (مدرس رضوي) في كتابه (أحوال وآثار خواجه طوسي) وكان اشتغال الرجل في علم الأوائل مهماً ، ويعد أصلاً في الثقافة الفلكية في عصره ، وكذا في العلم الرياضي وفي التنجيم فيعتبر من أكابر المشتغلين بهـا وبالفلسفة الاشراقيـة (الأفلاطونية الحديثة) ولا شك أن انصراف الباطنيـة الى هذه العلوم كان كبيراً جـداً ، أو بالتعبير الأولى اعتقدوا بصحة هذه العلوم أواعتبروها عقيدة فالوا اليها ميلة واحدة ، والآن لم تبق لها إلا قيمتها التاريخية للثقافة وتطوراتها لمختلف العصور والغرض معرفة العلم ، ولا يهم ما اذا اعتقد القوم بها أو لم يعتقدوا وكان هولاكو ممن اعتقد بصحتها ، وكان لايتجرك إلا بأمرها لاسيما التنجيم . وعلى كل حال كان أثرها على الباطنية وغلاة التصوف كبيراً ، وموضوع بحثنـا

اشتغال الخواجه بهذا العلم وما يتعلق به ، ولعله السبب الأكبر في تقدمه لدى هولاكو ، فتمكن من إقناعه في (بناء الرصد)

وتظهر قيمة مؤلفات الخواجه الطوسي بما نالت من عناية من علماء كثيرين ، بالنقل إلى العربية ، وبالشرح والتعليق وما اكتسب من شهرة ومكانة علمية والاشتغال العلمي بهذه العلوم لم ينقطع من جراء أن المؤلف أدرك دقائق الفن ، وزادت الاشتغالات ، وتكاملت من آخرين عملوا معه في الرصد ، ولم تترك الملاقة بآثاره ، ومنها يتكون مجموع عظيم وإذا كانت فقدت اليوم هذه الآثار مكانتها العلمية ، فانها لم تفقد قيمتها التاريخية ولا التطور في تاريخ الثقافة ، فكان لها الأثر في التكامل الى أن بلغ مدىً بعيداً في هذه الأيام سواء في إتقان الآلات أو إيجاد آلات جديدة أو إثارة بحوث في طبقات الجو ، وفي علاقة أرضنا بالمجموعة الشمسية أو المجموعات والمنظومات الأخرى فالعرب مهدوا البحوث ، وطبقوا علم البحار على الفلك ، وظهر سليمان المهري وأبن ماجد وأضرابهما وهنا نقول إن الأستاذ الطوسي لم يستبد في العمل ، وإنّما أستخدم علماء الأقطار ، واستفاد من خبرتهم ومكانتهم ، فكان الاشتغال عظيماً ، واستخدم تلاميذ للتدريب ، وأستطلع آراءهم ، فتمرنوا على تقوية المعرفة ، وللمذاكرة والمداولة محلها في الكشف والايضاح عن الأغراض العلمية ومباحث الطوسي ومن معه تستند إلى بناء الفكرة على ما عند العرب من مخلفات علمية جمعها خزانة مراغة

ومن جهة أخرى لا تنكر علاقة الطوسي بالعراق من حين الفتح الى تاريخ وفاته وكانت قبل هذا حياته متصلة بالاسماعيلية فبعد الشروع في بناء الرصد نال منصب صدر الوقوف مكان الأستاذ صفي الدين الأرموي [1] ، وكان يمارض الخواجه قاضي القضاة ببغداد ، فلم يفلح في مزاحمته في هذا المنصب أو في التدخل في الوقوف هذا ، ولا محل لتفصيل أحوال القائمين بالرصد مع الخواجه ، ولا علاقة المؤلفين بآثار الخواجه لمختلف العصور ، فهذا يطول ، كما أنه في مؤلفاته الأخرى من فلسفية وكلامية ذو علاقة وصلات مكينة ، ولها موطن آخر .

(١) الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ص ٢٢

المراجع

الوافي بالوفيات ، والعبر للذهبي ، وفوات الوفيات ، وحوادث المئة السابعة ، وآثار الشيعة الإمامية ٥٤/٤ ، وابن كثير ٢٦٧/١٣ ، وأخبار الحكماء للشهرزوري جاءت فيها ترجمته تكملة للأصل ، وروضات الجنات ص ٦١٥ وفيه تفصيل مؤلفاته مع ذكر العلماء الذين اشتغلوا في الرصد ، وجامع التواريخ ٢٧٨/٢ ، ودانشمندان‌اذربيجان ص٣٨٧ ، وعقد الجمان ، والشذرات ، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ١٣١/٢ وترجمه من المعاصرين : الأستاذ في جامعة طهران المدرس الرضوي ، أطنب في حياته بكتابة أحوال وآثار الخواجه الطوسي ، وكذا الأستاذ الفاضل محمد مدرسي الزنجاني من أساتذة جامعة طهران ، وآخرون من الأساتذة وحضر الاحتفال به جماعة تعرض بعضهم لترجمة الخواجه الطوسي

وكل أصحاب هذه المؤلفات يشهدون بسعة علمه ، ولكنهم ينقمون في الأكثر على علاقته بالإسماعيلية ، وعلى اتصاله بهولاكو ، وعلى فتواه في فتح بغداد

عباس العزاوي

دراسات في العقل والدماغ

آراء الفلاسفة القدماء في العقل

أقدم الفلاسفة تحديداً للعقل الانساني سقراط الحكيم ، فقد وضع العقل مقابل الحواس ، وفرق بين عالم الحس الذي يحتوي على الجزئيات من الأشياء وعالم العقل الذي يتكون من الإدراكات الكلية Universals التي يقوم بها العقل دون الحواس وهذه الإدراكات الكلية يصل اليها العقل بطريقة الاستقراء : فيستعرض الجزئيات ، ويجمع الصفات الجوهرية المشتركة بينها ، ويبعد الصفات العرضية التي يتصف بها بعض الجزئيات دون بعض وهكذا يميز العقل بين الأنواع والأجناس ، ويضع لها (تعريفاً) . وأنتهى سقراط الى أن هذه المدركات العقلية الكلية للأشياء هي صور ذهنية ليس لها مدلول يطابقها في العالم الخارجي ، فالانسان « حيوان ناطق » هو إدراك كلي لنوع الانسان ، غير أن هذا النوع ليس له وجود إلا في الذهن ، والذي يوجد هو أشخاص هذا النوع .

ولما جاء أفلاطون ، قرر أن هذه الإدراكات الكلية في العقل ليست من عمل العقل بالذات ، بل هي صور لإدراكات كلية موجودة في الخارج هي (المثل Ideas) ، ومعرفة الانسان إنما هي تذكّر لتلك المثل

أما أرسطو فقرر أن معرفة الإنسان تجيء عن طريق الحواسّ ، وأن المدركات الكلية إنما هي من أعمال العقل وليس لها وجود إلا في أذهاننا ، وهذا هو الصحيح ، إلا أن أرسطو حين عالج مشكلة العقل استخدم الأسس التي بنى عليها فلسفته في الوجود والخلق ، وهي المتركزة حول الهيولى (المادة) والصورة فالهيولي هي مادة الوجود التي يكون منها كل شيء ، أو هي بعبارة أخرى كل شيء بالقوة (Potentiality) والصورة هي جميع الصفات التي تنصب

على المادة فتجعلها شيئاً بالفعل (Actuality) بعد أن كانت شيئاً بالقوة . ولذلك فقد ميّز بين « العقل الذي تصير منه كل الأشياء [1] » ، وهو العقل بالقوة ، وربما أراد به الاستعداد المتنوع الناشئ عن اتصال العقل بالبدن ، وبين « العقل الذي بفعله تحدث كل الأشياء » أما الجزء الأول فهو العقل بالقوة أو العقل الهيولاني ، وهو أشبه بمجال الاحساس والتخيل في الدماغ ، وهو المجال الذي لابد أن يعمل العقل (الفاعل) فيه بالتجريد حتى يستخلص منه (الكلي) ؛ وأما الجزء الثاني فهو علة فاعلة تحدث المعقولات ، وهو بمثابة الصورة التي قصدها أرسطو ، ويعبر عنها أرسطو بالعقل الفاعل ، وهو الذي تصير به المعقولات بالقوة (أي الاحساس والتخيل) معقولات بالفعل (مدركات كلية) وقد عبر فيلسوفنا الكندي عن هذا المعنى بالعقل الأول ، والعقل الثاني فالعقل الأول علة جميع المعقولات والمعقول الثواني [2]

وخلاصة هذه الفلسفة في العقل هي أن الدماغ به الإحساس والتخيل ؛ هو العقل الهيولاني وهذا الإحساس والتخيل يجعل منه العقلُ الأولُ (مدركات كلية) وهذا العقل الأول ، اتفق الفلاسفة على أنه شيء نازل على الدماغ من الخارج ، فهو كما وصفه أرسطو : « شبيه بالنور ، مفارق (للجسم) غير ممتزج (بشيء آخر) وهو متى فارق (الانسان) عاد الى الحالة التي كان عليها قبل اتصاله بالانسان . وهذا وحده هو اللامائت الأبدي [3] » ولم ينكروا كون الدماغ عضو التفكير بالقوة ، لكنه بالفعل يحتاج الى عقل أول هو علة تحويل المعقولات بالقوة الى معقولات بالفعل

لكن أرسطو قال بالعلل الأربع التي أيده فيها العلم الحديث . تلك العلل هي : العلة المادية ، والعلة المحركة ، والعلة الصورية ، والعلة الغائية . وقد ركز أرسطو هذه العلل في اثنتين سماها الهيولى (المادة) والصورة كما ذكرنا ؛ لأن العلل الثلاث ، الصورية والمحركة والغائية ، يمكن رجوعها

---

(١) ترجمة النص اليوناني من كتاب النفس لأرسطو (رسائل الكندي الفلسفية) للأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ٣٣٤

(٢) رسائل الكندي الفلسفية (رسالة في العقل) ص ٣٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٣٧ .

إلى شيء واحد سماه أرسطو الصورة والغرض من هذا بيان « أن المادة أو القوة في أثناء تحولها الى صورة ، أو فعل ، ليست تسير من الخلف بحركة ميكانيكية بحتة ، إنما تسيّرها (الغاية) ، وتجذبها اليها . وهذا أساس (الغائية Teleology) في فلسفة القرون الوسطى وقد أصبحت الغائية مبدءاً علمياً مقبولاً ، لأنها تعالج نظاماً آلياً يمكّن من التحرك الى غاية وقد استخدم العلم الحديث ما يمثل الفلسفة الغائية في الحركة المتجهة الى غاية ، وهي الآلية التي تمكن الاجسام من التحرك الى غاية ، وتسمى هذه الآلية بالفيدباك (Feed-back) ، وهي أساس اختراع الرادار والقذائف الموجهة . وقد ثبت أن الدماغ والجهاز العصبي كله قد ركبت أجزاؤه للاشتغال على هذا الأساس .

قول جالينوس وأطبائنا القدماء في تشريح الدماغ والقوى النفسانية

في الدماغ ثلاثة أبطن : المقدم ، والوسط ، والمؤخر والقوى النفسانية ثلاث : (١) الحس المشترك والتخيل وهما في البطنين المقدمين التخيل هو إدراك ما ليس بحاضر كأنه حاضر . (٢) الفكر ، وهو في البطن الأوسط (٣) الذكر وهو في البطن المؤخر من بطون الدماغ وهذه القوى النفسانية الثلاث ، التخيل والفكر والذكر ، يستمد كل منها قوته من (الروح الحيواني) النابع من القلب من بخار الدم الصافي (وهو غير الروح الانساني ، أي النفس الناطقة) وتعمل القوى النفسانية واحدة بعد أخرى : فالقوة التي يتم بها التخيل تتصور الأشياء وتتخيلها في البطن المقدم ، ثم تلقيها الى الفكر في البطن الأوسط ؛ أما القوة التي يتم بها الفكر فهي تنظر في الأشياء التي كان تصورها بالتخيل ، فإن كانت من الأشياء التي تعمل ، عملت ؛ وإن كانت من الأشياء التي تحفظ ألقتها الى الحفظ ؛ والقوة التي يتم بها الحفظ تحفظ الأشياء التي عملت بالفكر أو الظن ، وتصوّرها وتطبعها في موضعها . وهذه القوة يسميها ابن سينا (القوة المتذكرة) أو (الذكرة) ، وهي المسترجعة لما غاب عن الحفظ من مخزونات الفكر هذا موجز قول جالينوس وأطبائنا القدماء في تشريح الدماغ والقوى النفسانية

أو العقلية .

المصطلحات أو التعريفات

Mind : جاء فى قاموس إلياس بمقـابل هذه الـكلمة : عقل ، بال ، ذهن ، فكر ، رأي .

وقد حصرت جماعة علم النفس المصرية ترجمة هذا اللفظ بالذهن ، وسوف نستعمل هذه الـكلمة . أما كلمة (عقـل) فقد جاءت فى ترجمة علم النفس لأرسطو مقابل Intellect أحياناً ، و Nous فى أحيان أخرى (*)

Consciousness : يقابلها فى قاموس إليـاس تسع كلمات : وعي ، شـعور ، وجدان ، الشعور بالوجود ، يقظة ، صحو ، صواب ، عقل وقـد استعملت جماعة علم النفس المصرية مقابل هذه الـكلمة لفظ (شعور) ، وفى مقابل Incousciousness لفظ (لاشعور) أما لفظ (وجدان) فقد استعمله فيلسوفنا الـكندي فقال (تُوجِدنا) بمعنى تجعلنا نشعر . وقـد شاع فى زماننا استعمال كلمة (شعور) .

وهناك ألفاظ تتعلق بالشعور وتعتبر مراتب له أو حالات من حالاته ، كالوعي (Awareness) وهو من معاني الشعور ، واليقظة (Wakefulness) والانتباه (Attention)

والنفس ، كما جاء في الفلسفة القديمة ، أوسع شمولاً من العقل الذي يعتبر قوة من قواها . وكذلك الذهن ، فإنه كالعقل قوة من قوى النفس . وربما أعتبرنا العقل والتعقّل نتيجة لأعمال الذهن الذي يقال له (Mind)

وعلى هذا الأساس يكون الشعور (أي Consciousness) أي الوجـدان ، كما قال الـكندي ، ركناً من أركان الذهن ، والركن الآخر من أركان الذهن ما نسميه بالحافظة Memory ، ويلحق بهذين الركنين قوى أخرى مقومة للذهن لابد منها للتعقّل ،

(*) أما (النفس) فهي تقابل كلمة Psyche

مثل الإحساس Sensation والانفعال Emotion والانتباه Attention ؛ فان الذهن مكون من تماسك هذه الأجزاء وأنصهارها في وحدة متماسكة

مقومات الذهن Components of Mind

١ — الشعور Consciousness :

ومن معانيه الوعي (Awareness) : قال الأستاذ روسل برين [١] .. الشعور ليس شيئاً يمكن تعريفه بلغة أخرى ، وإنما نتمكن من الإشارة الى معناه بأن نذكر حالات يتجلى فيها الشعور فانا إذا أسمع صوتاً ، أو أرى لوناً ، أو أتذكر شيئاً ، أو أنفعل من شيء ، أو أفكر في شيء ، فأنا أشعر ؛ فالشعور هو صفة مشتركة بين هذه الحالات التي نسميها بحالات الشعور وليس هناك سبب لأن يكون وجوده مستقلاً عنها ، كما أن الألوان لا توجد مستقلة عن الأشياء الملونة بها »

والشعور أي الوعي ، لا يقوم الذهن إلا به ، ولا يمكن أن نتصور أية ظاهرة للتعقل في فقدان الشعور ولذلك كانت عملية الوعي الركن الأول لأعمال الذهن ، وأقدم الظواهر العقلية نمواً في الدماغ .

اتجهت جهود العلماء الى البحث عن أعمال الدماغ على أسس حديثة منذ تبين أن تلك الأعمال إنما يحركها إخلاء قوة كهربائية تتولد في خلايا النسيج العصبي وقد اتخذت البحوث اتجاهاً مثمراً حينما أصبح في متناول الباحثين دراسة الفعالية الكهربائية للدماغ بواسطة الآلة الراسمة لها ، وهي (الالكتروانكيفالوغراف) وتمهد السبيل للباحثين بتقدم العمليات الجراحية على الدماغ ، وتطور الاختبارات على الحيوانات تطوراً ساير التقدم الحديث في التشريح

---

(١) Brain. Vol LXXHI. 1950 P. 465

والفسيولوجيا والفارماكولوجيا وكان الاتجاه فى السنين الأخيرة متركزاً حول منطقة تتولى إدارة الشعور ، وكانت الأدلة تشير الى أن مثل هذه المنطقة فى الدماغ تدعو اليها ضرورة قيام الشعور الذي هو أساس التعقل ، وكذلك ضرورة توحيد الأجزاء التي يتكون منها الذهن وقد برهنت العمليات الجراحية على المخ على أن الحالات التي اضطر فيها الجراح الى حذف قشر المخ حذفاً كاملاً في شق منه ، لم يؤثر فى الشعور ، وهو يدل على أن إدارة الشعور ليست من اختصاص قشر المخ . واذا كانت هناك منطقة تعنى بالشعور ، فهي خارج قشر المخ وقد تصدى للبحث عن هذه المنطقة جماعة من الباحثين ، كان فى مقدمتهم الأساتذة (بانفيلد Penfield) و (ماگون Magoun) و (گلهورن Gellhorn Gilhorn) ، وكانت النتيجة التي أجمع عليها الرأي هي أن المنطقة المسيطرة على الشعور هي فى القسم العلوي من ساق المخ المسمى بالجهاز الشبكي (Reticular System) ، هـذا الجهاز يرسل فى حال اليقظة تيارات مواصلة تجعل قشر المخ مستعداً للعمليات العقلية ، وله وظائف مهمة أخرى سـنأتي على ذكرها عنـد بياننا للأعمال الذهنية الأخرى ، وتختلف فينا درجة الوعي بالنسبة الى ما يكون عليه هذا الجهاز من الفعالية ولهذا الجهاز اتصالات كثيرة ذات شأن كبير فى العمليات العقلية نأتي على ذكرها كلما ذكرنا واحدة من تلك العمليات . فهو بالدرجة الأولى جهاز الانفعالات النفسية وجهاز الوعي ، وفيه تنصهر الإحساسات التي تأتي بها الحواس من العالم الخارجي لتكون منها معارفنا ومحفوظاتنا . وهو من أجل هذه الوظائف متصل بقشر المخ من جهة ، وبالأجهزة الحاسة من جهة أخرى ، وفى خدمته أعصاب الجهاز المستقل Autononic الذي يضبط به حالاتنا النفسية .

٢ — الادراك الحسي Perception :

هذا الإدراك من أهم وسائل معرفتنا للعالم الخارجي وللإحساس نوع آخر من فهم هذا . فان ما نعرف به العالم الخارجي ذلك الذي يأتينا من الحواس الخمس ، وخاصة العين والأذن فان ما يأتي به السمع والبصر يتم إدراكه فى قشر المخ . وأما النوع الآخر من الإحساس ، فهو ما سماه فرويد بـ (Affect) ، وهو يعبر عن الشعور باللذة والكراهية

جواباً لمنبه ، وكذلك هو مركب انفعالي يرافق حالة ذهنية . وهــذا يتم إدراكه فى ساق المخ ، (وهو يحقق للنفس ما تحققه القوة الشهوانية والقوة الغضبية) . ليس هذا موضع البحث في كيفية انتقال المحسوسات السمعية والبصرية وسائر محسوسات الحواس الخمس ، من صور مادية ذات مكان وزمان الى صور مجردة معقولة ندرك معانيها في أذهاننا ، تلك معضلة دونها صعوبات كثيرة ، وغرضنا بيان الأسس التي لا يتم إدراك حسي من دونها .

أولاً — ينبغي لك لأن تدرك المحسوسات أن تكون واعياً ، كما ذكرنا ، ووعينا إنما يتم بعمل (الجهاز الشبكي) الذي يسكن الجزء الأعلى من ساق المخ كما ذكرنا . فقد تحقق للأستاذ ماگون[1] بالتجارب التي أجراهـا على القطط والقرود أن ساق المخ تأتيه طائفتان من المحسوسات : (١) التي تحمل المحسوسات من الحواس كالعين والأذن وغيرها وهـذه تمر من جانب الساق وتنتهي فى مراكزها المعلومة فى قشر المخ ، ولا يؤدي انقطاعها الى فقـدان الشعور بالذات ، لكن بانقطاعها ينقطع مورد معرفتنا عن العالم الخارجي ، وهي جزء مهم جداً من محتويات الشعور (٢) والتي تحمل المحسوسات من داخل الجســم (Proprioceptive) وهي تنتهي فى وسط الساق بالجهاز الشبكي الذي يدير آلة الوعي وسائر الأعمال النفسية كما ذكرنا

ثانياً — ينبغي أن يتم توحيد المحسوسات أو صهرها بحركة لا يزال يحيط بهـا الغموض ، ولـكن رسمها الأستاذ بانفيلد بنظرية بناها على أسس تجريبية تجعلها قريبة من الحقيقـة ، وهي النظرية التي أوضح فيها كيفية الإدراك لما يصادفـه الأحياء من الخبرات اليومية فى العـالم الخارجي ، وحفظها فى سجلات الذاكرة ، واسترجاعها ، والاستفادة منها فى بناء الحكم على ماهية الخبرات العقلية الدارجة كما سنذكره عند ذكرنا للمحافظة

أما نظرية الأستاذ بانفيلد فى كيفية إدراك المحسوسات ، فهي بالاجمال : أن جميع ما تأتي به حواسنا من العالم الخارجي ، بعد أن يصل إلى مراكزه فى قشر المخ ، ينبغي أن يتوحد وينصهر فى ساق المخ حيث الجهاز الشبكي للاستاذ (ماگون) وقد أطلق الأستاذ بانفيلد على

(١) Archives of Neurology and Psychiatry. February 1952.

الجزء الذي يتم به إجمال المحسوسات وصهرها (وهي العملية الضرورية للادراك) اسم الجهاز المخي المركزي (Centrencephalic System) إن هذا الجهاز يتوحد فيه ما جاءت به الحواس من العالم الخارجي بعد مروره من محطات الإحساس في قشر المخ وهذا الإجمال والصهر للمحسوسات في الجهاز المخيّ المركزي يلحق به في هذا المكان من العناصر النفسية ، تفهم معاني الخبرة والإحساس بالعاطفة التي حركتها الخبرة ويتصل هذا الجهاز اتصالاً وظيفياً بمراكز النطق ، وبأغلب فصوص المخ ، كالفص الجبهي ، والفص الصدغي الذي فيه مستودعات الذاكرة ، وسائر أنحاء القشر المخي التي يتم التعقل بتكاتفها

هذا وقد جاءت بحوث الأستاذ (گلهورن Gilhorn) [1] بنتائج قيمة تساعد على فهم الآلية الفسيولوجية التي ينبني عليها الحس والإدراك الحسي ، نلخصها فيما يلي :

يستنتج مما شاهده الأستاذ (ماگون) ، نتيجة لبحوثه ، أن قشر المخ يتسلم نوعين من الدوافع العصبية (Impulses) في الأقل : الأول ما تتغير به فعالية القشر المخي كله تقريباً ، وهو ما يرسله الجهاز الشبكي من ساق المخ الى القشر كله (تتوقف حالة اليقظة على هذه الدوافع العصبية) ، والثاني ما ينبّه مراكز الحواس في قشر المخ كمراكز السمع والبصر وسائر الحواس الخمس .

وقد أيدت بحوث الأستاذ (گلهورن) أولاً أن الجهاز الشبكي [1] يعتمد عليه الوعي والشعور ، ثانياً أن مراكز الحواس في قشر المخ لم يؤثر في حيويتها ونشاطها فتور الجهاز الشبكي وعطبه ، أعني أن هذا الجهاز اذا اعتراه الخمول ، كما يقع في حال السبات العميق ، وأرسلنا في هذه الحال ما ينبه قشر المخ من ناحية المراكز البصرية (بتوجيه النور الى العين مثلاً) ، وجدنا تلك الناحية لا تزال مستجيبة للنور ويدل هذا على استقلال الجهازين من حيث عمل كل منهما مستقلاً عن الآخر ولكن الحقيقة هي أن عمل أيهما مستقلاً عن الآخر لا يؤدي الى إدراك

---

(١) Brain 1954, P. 141

(٢) يدخل ضمن هذا الجهاز ما نسميه بالسرير البصري Thalamus

المحسوس ، لأن ذلك لا يم إلا بتآزر الجهازين وبعبارة أخرى اننا اذا منعنا ما يتسلمه قشر المخ من المحسوسات عن طريق الحواس الخمس ، لم نعدم بذلك ظاهرة الوعي بالذات ، غير أننا بعملنا هـذا قد قطعنا معين المعرفة عن العالم الخارجي ، والمعرفة أهم ما يتضمنه الشعور . ومن جهة أخرى نحن اذا دمرنا الجهاز الشبكي نفسه ، وجدنا أن ذلك لا يؤثر فى مراكز الحواس من حيث قابليتها لأخذ المحسوسات كما هي ، غير أن انعدام الجهاز الشبكي يحرم قشر المخ الدوافع القويـة التي لا يم إدراك المحسوسات إلا بوجودها إذن فأي إدراك حسي لا بد أن يتضافر فيه الجهازان فكيف يم هذا التضافر ؟

لقد عالج الأسـتاذ گلهورن هذه القضية فاستقر لديه رأي بناه على التجربة وهو : أن البواعث العصبية التي يرسلها الجهاز الشبكي فى حال التنّبه تتفاعل هي والبواعث العصبية التي تصل الى قشر المخ عن طريق الحواس وهذا التفاعل بين نوعي البواعث ضروري لإدراك ما جاءت به الحواس ، لأن البواعث العصبية الآتيـة من الجهاز الشبكي (وهي تحمل قوى الانفعال) تؤدي عند تفاعلها هي والبواعث العصبية الحاملة للمحسوسات الى تغيير فى الإحساس لا بد منه فى عملية الإدراك ويظهر أثر هـذا التغيير فى مراكز الحواس فى قشر المخ حيث تقوى استجابة هذه المراكز على المحسوسات وتتسع رقاعها . إذن ما يؤديه الجهاز الشبكي من الخدمة فى عملية الإدراك هو تحوير الإحساس لمصلحة قضية الإدراك ، وآلته فى هذا التحوير ما يحويه من عوامل الانفعال النفسي الذي هو معدنه ومصدره ومالك زمامه

أما مسألة انتقال الأشياء المحسوسة من العالم الخارجى الى الذهن عن طريق الحواس فهي مسألة عويصة جـداً كيف تنتقل الأشياء والمشاهد فى عالمنا الخارجى الى أذهاننا فندركها ونحن نراها ونسمعها من بعيد إن صورها المرئية والمسموعة تقرع أسماعنا وأبصارنا ، فتأخذ رؤوس الأعصاب تلك الصور بأشكالها وأصواتها ، فتؤديها الأعصاب فى شكل موجات كهربائية الى محطات لها فى قشر المخ حيث تستحيل الى نماذج تدركها الذات الشاعرة . تلك مسألة ليس غرضنا التعرض لها الآن ، وإنما نريـد أن نبين تأثير سـاق المخ فى قضية الإدراك

الحسي وعدم إمكان الإدراك بمجرد وصول المحسوسات الى مراكزها فى قشر المخ ، بل لا بد للتعقل من حدوث تغيير أساسي فى طبيعة المحسوسات بتأثير الحركة الانفعالية التي يقودها ساق المخ ، ومعنى ذلك بالنتيجة أننا لو لم ننفعل لم ندرك ما نسمع وما نرى ، وبمعنى آخر نحن نفهم ما نسمع وما نرى بحركتنا الانفعالية التي يسيطر عليها ساق المخ ولا ينحصر تأثير الحركة الانفعالية بإدراكنا الحسي ، بل يتناول من مظاهرنا النفسية ما هو أكثر تعقيداً ، كتحصيلنا المعرفة وحفظنا لما نكتسب والحركة الانفعالية فى الصبا أقوى منها فى الكهولة ، ولذلك صحّ ما قيل فى المثل « العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر » ، إننا نحفظ ما حدث فى صغرنا أكثر مما نحفظ فى كهولتنا

الانفعال Emotion

رأينا أن ساق المخ يدير أمر اليقظة والشعور ، والإدراك الحسي ، وهناك عمليات نفسية أخرى يديرها ساق المخ ، وهي : المعرفة ، والتذكر ، والانتباه . ونقصد بساق المخ القسم الأعلى منه ويتضمن السرير البصري (Thalamus) وتحت السرير (Hypothalamus) ، وفيه ما دعاه الأستاذ (ماكون) بالجهاز الشبكي ، وكذلك ما سماه الأستاذ (بانفيلد) بالجهاز المخي المركزي

أما الانفعال فهو الظاهرة النفسية التي تتجلى فى ساق المخ ، وهو جزء من جهاز للانفعال واسع النطاق ، وهو كما جاء فى كتاب الأستاذ (روسل برين [1]) مؤلف من رقعة واسعة من قشر المخ تتناول التلفيف الزناري (Gyrus Cinguli) وتلفيف حصان البحر (Hyppocampus) وقرن أمّون (Cornu ammonis) وتتكون ظاهرة الانفعال من دوافع كهربائية تدور بين قشر المخ وتحت السرير ، وتلك الدوافع تصدر من القشر المخيّ تارة ، ومن تحت السرير تارة أخرى ، فهي اذا بدأت من قشر المخ تنشأ من (قرن أمّون) ثم تتحول الى (الجسم الحلمي) (Mamillary Body) ومنه تنتقل الى النواة السريرية الأمامية

---

(1) ص ٩٣٣ .

(Anterior Thalamic Nucleus) ثم الى قشر التلفيف الزناري ويضيف الأستاذ (روسسل برين) ان هذه الدورة تجعل بالامكان صدور الانفعال إمّا من قشر المخ (بالتفكير) ، وإما من تحت السرير (بالحس) .

والمنطقة التي هي تحت السرير (ايبوتا لاموس [١]) تملك قياد العصب المستقل (الاوتونوس) الذي يتمكن به ساق المخ أن يعرب عن الانفعال بتغير جسماني ظاهر للعيان في بدن المنفعل فكل انفعال يسجله ساق المخ تتكون لاظهاره في بدن المنفعل صورة خاصة من أعمال العصب المستقل ، وبعبارة أخرى فان نماذج الانفعال المختلفة يصاحبها أنواع مختلفة من أعمال العصب المستقل فتارة تكون أعمال هذا العصب مركزة في فرعه السمپاتوي فيظهر أثر الانفعال في الوجه (اصفرار أو احمرار) وتارة يكون تركيزها في فرعه الپاراسمپاتوي الحاكم على المعدة والامعاء والمثانة فيظهر أثر الانفعال بانطلاق البطن وسلس البول وهذا التركيز في أعمال العصب المستقل يتبع الاستعداد النفسي ونوع الانفعال ، ولكل منا ميله الخلقي لاظهار انفعاله بالسمپاتوي أو الپاراسمپاتوي ونحن نسمي المظاهر النفسية الناشئة عن تهييج أحد هذين العصبين بالخُلُق (Mood) ، وهو مظهر الانفعال فى الذات الشاعرة . فلكل حالة انفعالية أو (خُلُق) نوع من الأوامر من ساق المخ للمناطق التي يحكم فيها العصب المستقل من جهة ، ولقشر المخ من جهة أخرى وأعمالنا سواء أكانت بأبداننا أم بأذهاننا ، تتبع ما نكون عليه من الحالة الانفعالية أو الخُلُق ففي حالةٍ ما تتيسر لنا الأعمال سواء أكانت بدنية أم ذهنية ، وفى حالةٍ من حالاتنا النفسية تقف قابلياتنا الذهنية والبدنية وقوفاً تاماً ، وما ذلك إلاّ لأن ساق المخ يرسل فى حالاتنا الخلقية الخاصة تيارات تطلق قابلياتنا من عقالها وتنبعث تلك القابليات فى سبيلها حرة مطلقة

---

(١) الايبوتا لاموس hypothalamus أو تحت السرير هو القسم العلوي من ساق المخ الذي يتكون منه قاع البطن الثالث من بطون الدماغ وشيء من جداره ، ويتضمن تصالب العصب البصري ، والجسم الحلمي ، والحدبة الرمادية ، والقمع ، والنخامية العصبية

The Memory الحافظة

الحافظة هي القوة التي يحفظ ونتذكر بها ما خبرناه وما طرأ علينا من حوادث الماضي وهي تتكون من ثلاثة أعمال : التسجيل Registration ، والحفظ Retention ، والتذكر Recall .

وقد رسم الأستاذ بانفيلد [1] الطريقة التي تتم بها هذه العمليات الثلاث كما يلي :

إن ما تأتي به حواسنا من صور ما نصادفه فيعالمنا الخارجي ، بعد أن توصله الأعصاب إلى مراكزه في قشر المخ ، يتحول إلى الساق حيث يكون (الجهاز الدماغي المركزي Centrence phalic Systeme) ، وفى هذا الجهاز (الذي يقابله ما سماه أطباؤنا القدماء بالحس المشترك) ينصهر ما جاءت به حواسنا من المحسوسات ، وتتكون من الصورة العقلية لما خبرناه فى عالمنا الخارجي ، وهى الصورة التي ينبغى أن يرسلها هذا الجهاز إلى الفصّين الصدغيين من قشر المخ للتسجيل والحفظ والجهاز الدماغي المركزي فى أثناء تكوينه للصورة العقلية للأشياء المحسوسة يضيف اليها من عنده قوة الفهم للصور وما تستحق منا من حركة انفعالية وهذه القوة والحركة الانفعالية ، يستوحيها الجهاز من سائر المراكز الدماغية التي هو على اتصال بها وهكذا فان حوادثنا الماضية لا تسجل جامدة ، بل يكون تسجيلها بما صاحبها فى نفوسنا من الفهم لمغزاها ومن العواطف التى حركتها فى نفوسنا ، وإدماج هذه العناصر النفسية المهمة بالصور المحسوسة يتم بهذا الجهازالذي تلتقي فيه محسوساتنا والعناصر النفسية الضرورية لتعقل المعقولات وعلى هذا الشكل تسير ذكريات ما صادفنا ، للتسجيل فى (الفصّين الصدغيين) من دماغنا وإن خبراتنا إذن سواء أكانت فكرية أم حسية لا تبلغ معانيها ذاتنا الشاعرة ، ولا تحرك فينا ما تستحق من العاطفة إلا في هذا الجهاز المتصل بأهم مناطق الدماغ لغرضي الفهم والانفعال والتعبير بالنطق ، كالفصين الجبهي والجداري والباحات المكلفة بوظائف النطق والحس من المخ

[1] جراح كندي اشتهر ببحوثه في الذاكرة واختصاصه بجراحة الدماغ

هذا ما ذكره الأستاذ بانفيلد فيما يخص الأساس التشريحي للحفظ والذاكرة وقد رسم الطريقة التي يتم بها تسجيل الخبرة فى (الفصين الصدغيين) بعد أن تتكون الصورة العقلية لها فى (الجهاز الدماغي المركزي) الذي هو فى ساق المخ وصوّر كيفيـة التذكر ومستودعات الذاكرة فى الفصين الصدغيين من قشر المخ ، وشبه هذه المستودعات بخزانة ذات عـدة مجلدات تتضمن الصور العقلية لـكل ما خبره الإنسـان فى حياته الماضية ولـكن المهم أنْ نفهم أنّ ما أراده الأستاذ بانفيلد بالتسجيل ليس تسجيلاً لصور الحادثة فى لوحة خالية خاصة بكل حادثة ، بل التسجيل فى قشر المخ هو تسجيل لعمل زمرة يتم به من الخلايا المخية ، وأعني بذلك تسجيل إعادة تمثيل الحادثة حين التذكر لها وعمل الخلايا فى هذا الشأن يشبه ما يقوم به أفراد الجوقة الموسيقية ، فإن هـؤلاء الأفراد لا يزيدون على عدد معين ، لـكنهم يحفظون من الأغاني وأنواع الألحان ما لا يمكن حصره . وهكذا تكون الزمرة من الخلايا ففي استطاعتها أن تعيد تمثيل مئات وألوف الذكريات وإحياؤها فالخلية الواحـدة تشـارك فى أدوار كثيرة من إحيـاء روايات الماضي فالتسجيل هو تسجيل الخلايا لما تقوم به من الأدوار فى إحيـاء ذكريات الحوادث ، فاذا أنت تذكرت حادثة وقعت لك فى صباك فقد أثرت فى عدد من خلايا تلك الحادثة دورات كهربائية تمثل لك تلك الحادثة تمثيلاً سـيمائياً فى ذاتك الشـاعرة . وتحفظ الخـلايا الدورات الـكهربائية لتلك الحادثة وتعيدها كلما دعت الحاجة إليها

مراتب الحافظة :

إن أبسط أنواع الحافظة هو ما نسميه بالحافظة الآلية ، وهي التي تساعد على إعادة ما يقـال لنا من الأرقام والجمل المركبة من ألفاظ تركيباً غير مفيد لمعنى وفي قمة أنواع الحافظة ما يمكننا من تذكر حادث جرى لنا في الماضي تذكراً صحيحاً بفصوله المتعاقبة وبما بعث في نفوسنا من خلجان . ويمتاز هذا النوع بخواص ، أهمها أن تشعر أن الحادث إنما وقع لك في الماضي ، وأنك شاعر أن حوادثك الماضية إنما وقعت الواحدة تلو الأخرى ، وانت على علم بأن تاريخ حيـاتك السابقة مكوّن من هذه الحوادث

أما الشرط الأول ، فقد ينعدم فى تشوش الحافظة ؛ فان صفة القدم قد تلصق بالحوادث الحاضرة إن شيئاً من هذا قد يعرض لنا بحال الصحة فنزى الشيء الجديد ، وكأننا رأيناه سابقاً ولكن الحالة المرضية هي أن يعترينا شيء من الذهول (وخاصة فى حالات الصرع) فنرى كل ما يجري حولنا كأننا رأيناه سابقاً ففي هذه الحالة تلتصق صفة القدم بالحوادث الجديدة وأما الشرط الثالث ، وهو شعورنا بملكية ماضينا مع المحافظة على التسلسل الزمني لحوادث ماضينا ، فهو أساس شعورنا بالوجود وتنبني عليه إنيّتنا [1]

ومن مراتب الحافظة التي هى بين أبسطها وأعلاها ما نسميه بالمخيلة وهى التي تمكننا من تخيل الصورة التى رسخت فى الذهن بالرؤية المتكررة ، كصورة دار أو صديق ألفنا رؤيتهما . فإننا نستطيع أن نتخيل دارنا القديمة أو صورة أبينا أو جارنا وكذلك بالمخيلة نستطيع أن نهتدي الى المكان الذي ذهبنا اليه سابقاً ، وبالمخيلة نستطيع أن نتخيل شوارع المدينة التى رأيناها ، أو نتخيل تصميماً هندسياً ، وهلم جرّا فاذا عدم الخيال ، تعذر علينا إيجاد الصورة الذهنية لما رأينا من الوجوه والتصاميم والطرق والمناظر مع سلامة أبصارنا ، ومع إدراكنا لما نرى وبالحافظة أيضاً نستطيع أن نشخص الصورة التى رأيناها سابقاً إذا عرضت علينا مرة أخرى ؛ ذلك لأننا إذا رأينا شيئاً ، رأيناه سابقاً ، نعود الى صورة ذلك الشيء المحفوظة فى أذهاننا ، فنقارن الشيء الجديد بتلك الصورة وحينئذ تتبين لنا وجوه الشبه والمغايرة بين ما نراه الآن وما رأيناه فنحكم بماهية الشيء فالحافظة إذن تعيننا على الحكم على ماهية الأشياء أو الحوادث التي نراها ، وتعصمنا من الخطأ فى تفسيرها ؛ فإن حكمنا على ماهية الأشياء وتفسيرها لا يصح بعدم الحافظة ، والحافظة أول ما يعدم من القوى العقلية فى المدمنين والشيوخ أصحاب التصلب الشرياني .

الدكتور هاشم الوتري

(١) هذا من مصطلحات فيلسوفنا الكندي ، والإنية أو الأنية تقابل كلمة Identity

الفتوة وأطوارها (*)

وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

الفتوة في اللغة صفة الفتى ، وهي على حسب نظري في الاشتقاق مأخوذة من الفتى كما أن الرجولة مشتقة من الرجل ، وقاعدة علماء الصرف أن الاشتقاق يكون دائماً من أسماء المعاني لا اطراد لها في رأيي فكثير من المشتقات تؤخذ من أسماء الذات .

والفتوة في الاصطلاح الاسلامي هي : مجموع الصفات التي يتحلى بها الفتى من الشجاعة والسخاء ، والايثار والعصبية الدينية والصدق والوفاء والحياء ، واتباع الحق ونصر صاحب الحق ، والمطالب به وإخلاص العبادة وإغاثة المضطر ورعاية النساء واليتامى

وقد وُصف الامام علي بن أبي طالب بالفتى يوم وقعة أحد قال المولى علي القاري نقلاً من كتاب فردوس المجاهدين : « أول ما قيل : لافتى إلا علي يوم أحد وذلك أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أعطى الراية لعلي فقاتل هو ورجال من الصحب الكرام . وروي أنه لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله — ص — تحت راية الأنصار وأرسل الى علي أن قدم الراية . فتقدم ونادى بين الصفوف « أنا أبو القَصمْ » وبارز وقاتل حتى قيل في حقه : لافتى إلا علي ».[1]

وقال علاء الدين السكتواري : « وزيد بعد ذلك ، لما انتقل إلى عليّ وصاية ووراثةً السيف المشهور المسمى بذي الفقار ، قول [بعض] الأخيار العلويين : لاسيف إلا ذو الفقار . وهو اسم سيف النبي — ص — [2] »

وقال عزالدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني الشافعي في سيرة علي بن أبي طالب : « وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكثر به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب اليه

(*) خلاصة محاضرتين ألقيتا في المجمع العلمي العراقي في آخر موسم المحاضرات من سنة ١٩٥٧ م

(١) كتاب الأوائل والأواخر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٩ الورقة ٣٧ »

(٢) محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر « ص ٦٩ »

حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها : أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك . فان أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتباً وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه وقصروه عليه وسموه (سيد الفتيان) وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور أنه سمع من السماء يوم أحد :

لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي[1] »

والتعريف الذي ذكره ابن أبي الحديد المدائني للفتوة هو تعريف صوفي ، وقد كثرت تعاريف الفتوة على حسب اختلاف المعرّفين ، فالصوفية نظروا إليها بمنظار الزهد والايثار والسلوك الروحاني ، كما جاء في التعريف المقدم ذكره ، وآخرون نظروا إليها بمنظار الحياة الاجتماعية . قال معاوية بن أبي سفيان : « الفتوة أن توسع على أخيك من مال نفسك ولا تطمع في ماله ، وتنصفه ولا تطالب بالانصاف ، وتكون تبعاً له ، ولا تطلب أن يكون تبعاً لك وتحمل منه الجفوة ولا تجفوه ، وتستكثر قليل برّه ، وتستقلّ ما يصل منك إليه[2] » وفي هذا التعريف إيثار وزيادة عليه من مكارم الأخلاق

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم المعروف بابن المعمار الحنبلي البغدادي في كتابه « الفتوة » : « اعلم أن الفتوة اسم موضوع يقال على أنحاء : أحدها في اصطلاح العرف عبارة عن صفات محمودة اتسم بها شخص على وجه مخصوص وامتاز بها على أبناء جنسه فأوجبت له اسم فتى ويشهد لذلك قوله تعالى : إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم[3] وأما السُنّة فقد ورد في الفتوة أخبار المختار منها ما رواه جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله — ص — : لفتيان أمتي عشر علامات قيل يارسول الله : وهل لأمتك فتيان قال : نعم وأين الفتوة الأولى من فتوة أمتي ؟! قيل : وما تلك العلامات يارسول الله ؟ قال : صدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الكذب والرحمة لليتيم وإعطاء السائل وبذل

(١) شرح نهج البلاغة « ج ١ ص ٩ طبعة البابي الأولى » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٤ ص ٣٦٨ من نسختنا الخطية المنقولة مصححة عن نسخة المتحف العراقي المصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق

(٣) سورة الكهف « الآية ١٣ ، ١٤ »

النائل وإكثار الصنائع وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء[1] »

ولا نستطيع أن نبسط القول في ذكر جميع ما قيل في الفتوة فذلك يسوّد جزءاً مستقلاً ، وإنما نريد أن نذكر أن الفتوة من حيث هي مذهب إسلامي ديني اجتماعي قد تطورت كسائر المذاهب الدينية الاجتماعية في الاسلام وغيره وقد جرى تنازع في ادعائها فالمتصوفون يعتقدون أن فتوتهم في رُبُطهم وخانقاهاتهم وتكياتهم هي الصحيحة ، والشجعان الأسخياء السادرون يظنون أن فتوتهم هي الفتوة العملية الصحيحة ، إن التطور المادي العملي أسرع من التطوُّر الروحاني النظري ، فلذلك تغيرت الفتوة إلى غناء وشراب عند الراغبين في الدنيا واللهو والمتعة والحرية والتسلط ، وانقلبت الشجاعة المشرفة الى شطارة وعيارة ، فصارت فتوة مزيفة وأصبح الفتيان في الأمة طبقة متميزة كل التميز ، حتى في الملابس والكلام . والظاهر أن حكام الدول الاسلامية وأمراءها كانت قد انحرفت سيرهم عن السبيل السوي الاسلام ، فوجد الفتيان طريقاً إلى مآربهم وتبديل مشاربهم ، والناس على دين ملوكهم [2] وقد وصف الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من أهل القرن السادس فتوة زمانه وفتيانها وإذا هم من الشجعان الأشرار المعروفين بالعيارين قال : « العيارون يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزني ولا يكذب ، ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ، ويسمُّون طريقتهم الفتوة ، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ، ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كالباس الصوفية للمريد المرقعة [يعني الجبة المرقعة] وربما سمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة زور لا تصح وربما كانت من مغرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة ، وربما

(١) كتاب الفتوة لابن المعمار « الورقة ٥ — ٦ من نسخة دار الكتب بتوبنكن بألمانية ، في خزانة الدكتور تقي الدين الهلالي »

(٢) ولنذكر مثالا من ذلك قال الطبري في سيرة الوليد بن عبد الملك : « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعض بعضاً عن البناء والمصانع ، فولي الخلافة سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نساء وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري ، فلما ولي عمر بن العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم القرآن ومتى ختمته وما تصوم من الشهر ؟ »

افتخر أحدهم بالصبر على الضرب [1] »

وقد تطورت الفتوة تطوراً عجيباً على اختلاف العصور ولا أرى بأساً في الحديث عن أهم أطوارها ، وأعظم أدوارها لاظهار الفروق فيها وبيان تاريخها وتأكيد أن التطور لا يسلم منه مذهب اجتماعي أبداً ؛ فقد جاء في أخبار أبي كعب حنين الحيري ، من كبار المغنين في أيام بني أمية ، وقد أخذه هشام بن عبدالملك معه مرة الى الحجاز يغنيه ، أنه قال : خرجت الى حمص التمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون ؟ فقيل لي: عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فجئت إلى أحد الحمامات فدخلته فاذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أني غريب ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي الى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا فقلت لهم : هل لكم في مغن يغنيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً فأتيت به ، فابتدأت بأراجيز معبد ، فكأنما غنيت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سرّوا به ... » إلى أن يقول : « فلما أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجهاً الى الحيرة [2] . وذكروا أنه كان في أول أمره يحمل الرياحين الى بيوت الفتيان والموسرين من أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين بالحيرة [3]

وبهذا الخبر نعلم أن سماع الغناء كان من عادات الفتيان في أوائل القرن الثاني للهجرة ثم إن خالد بن عبد الله القسري والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك حرّم الغناء بالعراق ، وكان متناقض السيرة فدخل عليه حنين الحيري ومعه عود تحت ثيابه فقال لخالد : أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرّ ذلك بي بهم . فقال خالد : وما صناعتك ؟

---

(١) الناموس في تلبيس ابليس « ص ٤٢١ » الطبعة الأولى

(٢) الأغاني « ٣ : ٣٤٦ ، طبعة دار الكتب المصرية

(٣) المرجع المذكور « ص ٣٤٥ » .

فكشف عن عوده وقال : هذا العود فقال له خالد : غنّ ، فحرّك أوتاره وغنى أبياتاً لعدي ابن زيد العبادي :

أرواحُ مودِّعُ أمْ بكورُ لك فاعمد لأيٍّ حال تصيرُ
ويقول العُداة أودى عديٌّ وعديٌّ بسخط رب أسيرُ
أيها الشامت المعيِّرُ بالدهـ... ـر أأنت المبرَّأ الموفورُ ؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرورُ
من رأيت المنونَ خلّدن أم مَن ذا عليه من أن يضام خفيرُ ؟

فبكى خالد القسري وقال له : قد أذنت لك في الغناء وحدك خاصةً فلا تجالس سفيهاً ولا مُعربداً . فكان حنين اذا دعي إلى حفلة للغناء قال للحاضرين : أفيكم سفيه أو معربد . فاذا قيل له : لا دخل المجلس[1]. وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد أن خليلان الأموي كان يتغنَّى ويرى ذلك زائداً في الفتوّة ، وكان خليلان الأموى شريفاً ذا سعة ونعمة[2]

وعلمنا من خبر حنين الأول أيضاً أن من عادات فتيان ذلك الزمان الشُرب أعني شرب المسكر ، قال الجاحظ : « بل قد رأينا أصحاب النبيذ والفتيان يتمدحون بكثرة الشرب كما يتمدحون بقلة الرزق[3] »

وذكر الجاحظ أيضاً عن محمد بن أبي المؤمل من معاصريه في القرن الثالث أنه قال : « من لم يشرب على الريق فهو نِكس في الفتوة ودَعيّ في أصحاب النبيذ » وذكَروا أن أحمد بن الفرج الحمصي كان يتفتى أي يعد نفسه من الفتيان وكان يشرب المسكر مع فتيان مُردان بسوق الرَّسْتَن سنة ٢١٩ هـ[4]

(١) الأغاني « ٢ : ١٥٢ ، ٣٤٨ »
(٢) الكامل « ٢ : ١٩٦ » طبعة الدلجموني الأزهري
(٣) كتاب البخلاء « ص ١٨٩ طبعة مطبعة ابن زيدون ص ١٨٩ »
(٤) كتاب البخلاء « ص ١٥٨ » ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٤ : ٣٣٩—٣٤١ » .

وفي الربع الأول من القرن الثالث للهجرة تميّزت هـذه الفتوة اللاهية العابثة تميزاً تاماً بصفاتها وأحكامها ومصطلحها ، وصار لها من يتولى الافتاء في أحكامها ويعرف بقاضي الفتيان ومن اشهر بقضاء الفتيان « أبو الفاتك بن عبد الله الديلمي الملقب بقاضي الفتيان » وكان يسكن بباب محلة الكرخ بالجانب الغربي من بغداد ويجتمع عنده الفتيان ، وهو يملي عليهم آداب الفتوة لذلك الزمان ومن ذلك قوله : « الساقي لا ينبغي أن يكون محدثاً ولا مغالطاً ولا محابياً ولا حريصاً ولا مفكراً ولا ومتكئاً ولا محتبياً ولا مشغلاً بأمر غيره » وله فصول في آداب الفتوة [1]

وقال الجاحظ : « قيل للحارثي بالأمس : لِمَ تبيح الطعام لمن لا يحمدك ، ومَن إن حمدك لم يُحسن أن يحمدك ، ومَن لا يفصلُ بين الشهي الغذيّ والغليظ الزهم ؟ قال : يمنعني من ذلك أبو الفاتك فقيل له : ومَن أبو الفاتك ؟ قال : قاضي الفتيان قيل له : فما قال أبو الفاتك ؟ قال قال : الفتى لا يكون نشافاً ولا نشالا ولا مرسالاً ولا لكاماً ولا مصاصاً ولا نفاضاً ولا دلاكاً ولا مقوراً ولا مغربلاً ولا محلقاً ولا مسوغاً ولا مُبلماً ولا مخضراً ، فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطّاع والقطّاع والنهاش والمداد والدفاع والمحوّل [2] ؟

وقد ذكر جماعة من المؤرخين أن المتوكل على الله العباس أمر بقطع أذن نديمه أبي عبد الله ابن حمدون ونفاه الى تكريت على حسب قانون الفتيان [3] ، وهذا يدل على أن المتوكل كان يعد نفسه من الفتيان . وأشهر من عثرنا على سيرته من أدباء الفتيان « إسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب البهراني » قال ابن شاكر الكتبي في سيرته : « كان رجلاً شأنه الفتوة ومُعاشرة الشطار والتصيُّد بالكلاب وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشاداً كأنه يتغنى في إنشاده وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم من مُراجعته من حسن ألفاظه ،

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٩٧ »

(٢) البخلاء « ص ١٠٥ »

(٣) المجموع اللفيف « نسختي المصورة ، الورقة ١١٣ » .

حُبسَ مرة بجناية جناها فقال الشعر في السجن ثم ترقى حتى مدح الملوك ودُوّن شعره ، ولم يزل على رسم الفتوة وضرب الطنبور الى أن توفي في حدود سنة ثلاثين ومائتين ومن شعره :

النحو يبسُط من لسان الألكنِ والمرء تكرِمُهُ إذا لم يلحَنِ
وإذا طلبت من العلوم أجلَّها فأجلُّها عندي مقيم الألسُن [1]

وفي ذكر الخطوط العامة لسيرة إسحاق بن خلف بيان لفساد الفتوة في القرن الثالث للهجرة وخطرها على المجتمع ، وعلمنا من كلام نقله مؤلف كتاب « نثر الدرّ » من بعض كتب الجاحظ أن الفتيان في ذلك العصر كانوا يغرون الشبان بالدخول في تلك الفتوة العارمة السادرة الشاطرة الشاطرة ، قال قال الجاحظ : إن الشطّار ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقول له : لا يكون الغلام فتى أبداً حتى يُصادف فتى وإلا فهو تكش — والتكش عندهم هو الذي لم يؤدبه الفتى ولم يخرجّه — » . قال « فما الماء العذب البارد بأسرع في طباع العطشان من كلمته هذه إذا كان للغلام أدنى هوى في الفتوة وأدنى داعية إلى الشطارة [2] »

وانقلب الفتيان شطاراً عيارين يحلّون بالآداب وينشرون الاضطراب ويخيفون السُبُل ويقلقون الأمة ، وهم في كل ذلك يستندون إلى سند مروي ، وأقوال منقولة ، ومذهب يدّعون له القدم ، ويجرون للفتوة أموراً يدعون أنها لا تتم إلا بها ، ومن كلام هؤلاء الفتيان الشطار في الافتخار « أنا الموج الكدر ، أنا القفل العسر ، أنا النار ، أنا العار ، أنا الرحى إذا دار ، مشيت أسبوعين بلا رأس ، وأكلتُ جميع ما في قدور الهراس ، أقطفُ رأسك وأجعله زرّ قيصي ، أستسقيك فلا أعطشك إلا في الجحيم، وأشربك فلا أبولك إلا على الصراط المستقيم ، ويلك لو كلمني الفيل لم يخرسْ أو البحر لم ينبسْ أو عضني الكلب لم يفرس أو زارني النمرود وكذّ التقدّس ، أصدقائي أكثر من خوص البصرة وخردل مصر وعدس الشام وحصى

---

(١) فوات الوفيات « ١ : ١٦ ، ١٧ » طبعة محمد محي الدين عبد الحميد

(٢) كتاب نثر الدر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٤٩٠ الزرقة ٥٣ »

الجزيرة ، وشوك القاطول وحنطة الموصل وقصب البطائح ونبق الأهواز ، أشرب الرمل فأخرأ صخرا وأبلع التمر فأخرأ نخلا [1] » وكانوا يسمون الطنبور « الجرب » لأن الأجرب لا يدع الحك ولأن اللهج بالطنبور لا يكاد يضمه من يده [2]

وقد ذكرنا أن الفتيان كانوا متميزين عن غيرهم حتى في الملابس : قال أبو بَراح يشكو قلّة الفتيان : « ذهب الفتيـان فما ترى فتىً مُفْرقَ الشعر بالدهن ، معلقاً نمله ، ولا ديكين في خِطار إلا صديقاً له صديق إن قرَضنا وإنْ عُوقب جيزع ، وإن خلا بصديق فتى خبّبـهُ ، وإن طال حبسُه ضجر ، ولا ترى فتى يُحسن أن يمشي في قيده ولا يخاطبُ أميره » ، وقال أبو عبايـة « رى زقاق براقش وبسـاتين هزارمرد ما كان يسلكهُ غلام إلا بخفير وهم اليوم يخترقونه » فقال له رجـــل : هذا من صلاح الفتيان فقال أبو عباية : لا ولـكن من فسادهم [3]

فأبو عبايه متأسف على أن الفتيان كفُّوا عن قطع الطريق على الناس في ذلك الزقاق وتلك البساتين وعدّ ذلك من فسادهم لأنهم فقدُوا شجاعهم وركوا عدوانهم على الناس وإخافتهم السبيل ، والسلب والنهب

وأظهر ملابس الفتيان سراويل تعرف بسراويل الفتـوة وحـزام يشد به خصر الفتى عنـد تفتيته (أي جعله فتى في عداد الفتيـان) ويظن بعض الباحثين [4] إن كلمة « شـفالري Chevalerie » الفرنسية التي بمعنى « الفروسيـّة » مشتقة من « سروال » العربية التي هي مفرد سراويل الفتّـوة ، مع إضافة الـكاسعة « ري Rie » إليها للدلالة على الاسم ومن العراقيين اليوم من يسمّي السروال القديم الوجود « الشروال » ، وإنما يحاوّل بهذا القول نسبة الفتوة

(1) نثر الدر المذكور « الورقة ٥٣ أيضاً »

(2) المجموع اللفيف « نسختي المصورة ، الورقة ١٧٥ »

(3) البيان والتبيين « ٣ : ٢٢٠ — ٢٢١ »

(4) La Tradition Chevaleresque der Arabes par Wacyf Botros. Paris 1919.

الافرنجية الى الفتوة العربيّة وليس ذلك ببعيد

وكان الفتيان يشربون في حال التفتية ماءاً مشوباً بالملح ، لأن الملح من الواد المقدّسة فهو يصلح كل ما فسد ويستعمل في أكثر الأغذية والأطعمة ، وله فوائد أخرى ، والحكمة في شربه ممزوجاً بالماء أن الماء عذب والملوحة ضد العذوبة فكانْ فيه إشارة الى أن الفتى ينبغي أن يصبر على البأساء والضرّاء ، وأن يحتمل البلاء ، ويشكر على النعماء ، وأن يحمل الرفيق في كل رحب ومضيق [1]

وقد جاء في كتاب القابسات لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي قوله لبعض أصدقائه : « وفي الجملة أسألك بالملح الذي يتقاسم به الفتيان ظرفاً أن تعذرني من تقصير تعثر عليه [2] » .

وذكر أبو حيان عن النوشجاني أن الفتوة كانت تشمل في القرن الرابع الكرم والمجد والجود والعفّة والنجدة وكبر النفس وعلو الهمّة وسائر خصال الفضل والخير وأن المروءة أشد لصوقاً بباطن الانسان فكانت الأولى أخص والثانية أعم أي لا فتوة لمن لا مروّة له وقد يكون ذا مروة ولا فتوّة له فأما إذا اجتمعت فقد أخذ الحبل بطرفيه وملك الأمر بحنويه [3] .

والعجب كل العجب من أبي حيان التوحيدي كيف جمع في كتبه هذا الوصف الجليل للفتوة زمانه مع الخبر الذي ذكره عن قاضي الفتيان ، فقد أورد هذا الخبر القبيح لفتيان القرن الثالث للهجرة في كتابه « البصائر والدخائر » بقوله : « قيل لقاضي الفتيان [4] ... » . وقد طبع الجزء الأول من كتاب البصائر والدخائر المرحوم الأستاذ أحمد أمين والسيد أحمد صقر ، ولم يعرفا عن قاضي الفتيان شيئاً وتصحف عليهما شيْ من الكلمات في هذا الجزء وغيره ، وقد ذكرنا أنه أبو الفاتك الديلمي . وكان بعده للفتيان قضاة قلما عُني التاريخ بهم ، فمَن ذكروا منهم

(١) الفتوة لابن المعمار « نسخة توبنكن الورقة ٦٢ » .

(٢) المقابسات « ص ٧٤ طبعة الهند »

(٣) المقابسات « ص ٩٦ » من الطبعة المذكورة

(٤) البصائر والذخائر « ١ : ١٦٥ » طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر

شمس الدين بن البعلبكيّ قال المؤرخ أبو شامة المقدسي في وفيات سنة « ٦٠٧ » ﻫ وهي سنة وفاة البعلبكي : « وفيها توفي شمس الدين بن البعلبكي ... وكان قاضي الفتيان بدمشق [وكانت وفاته] في العشرين من صفر وهو الذي بُعث إلى مصر ليشد الملك الكامل بن العادل الأيوبي فتوة للخليفة لما جاء من بغداد الأمر بذلك [(١)] » يعني بالأمر المذكور أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله مجدد الفتوة ومُوحد العرب والمسلمين ، وسيأتي حديثنا عنه .

ويجب أن نلاحظ في القرن الرابع للهجرة عظم الفرق بين الفتوة النظرية والفتوة العملية واختلاف الأعمال عن الأقوال أعني عـــدم القيام بحقوق الفتوة وآدابها أولاً ومخالفة أعمال الفتيان لقانونها ثانياً ولا خير في الأقوال إذا لم تعضُدها الأفعال والأعمال في كل أمر من الأمور وكل شأن من الشؤون

وكان من الطبيعي والبديهي معـاً أن تتأثر الفتوة بالحال الاجتماعيـة في القرن الرابع فقد تفاقمت في العراق وخصوصاً بغداد العصبية المذهبية ، باحتلال بني بويه للعراق وهم من الفرس المتشيعين ، وكان بديهياً أن ينصروا المذهب الذي يعتقدونه ، وأهله ذوو أقلية ، فثار بين الطوائف نزاع مسلح ذهبت فيه النفوس والأموال وساءت به الأحوال ، وامتزجت الفتوة بالعيـارة والشطارة ، والفتن المذهبية الدموية

قال عز الدين بن الأثير في حوادث سنة « ٣٦١ » : « وفي هذه السنة وقعت ببغداد فتنة عظيمة وأظهروا العصبية الزائدة وتحزّب الناس وظهر العيارون وأظهروا الفساد ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من أستنفار العامة للغزو فاجتمعوا وكثروا ، فتولد بينهم من أصناف النبوية والفتيان والسنة والشيعة والعيارين ، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور ، وفي جملة ما أُحترق محلة الكرخ وكانت معدن التجار والشيعة ، وجرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي الحسين الموسوي والد الشريف الرضي والوزير أبي الفضل الشيرازي عداوة [(٢)] » .

(١) ذيل الروضتين « ص ٦٩ »
(٢) الكامل في حوادث سنة « ٣٦١ ﻫ »

والسبب في استنفار العامة للغزو ، والصحيح للدفاع ، أن ملك الروم أغار على الرها وغيرها من نواحي الجزيرة حتى بلغ نصيبين وسبى المسلمات والمسلمين وأحرق بلادهم وأخربها وفعل مثل ذلك بديار بكر وكان ذلك في السنة عينها أي سنة ٣٦١ فقدم جماعة من أهل البلاد المستباحة المجتاحة الى بغداد مستنصرين مستنفرين ، وقاموا في الجوامع والمساجد والمشاهد وذكروا ما فعله الروم من القتل والأسر والسبي والنهب والاحراق وانضمَّ إليهم كثير من عوام بغداد وقصدوا دار الخليفة الطائع لله العباسي وأرادوا الهجوم عليها لأنه الخليفة المسؤول عما يصيب المسلمين أدناهم وأقصاهم ، فمنعهم الحراس وأغلقت دونهم أبواب دار الخلافة فتكلموا على الخليفة عما استقبح ذكره جماعة من المؤرخين فلم يذكروه ، وقد نسبوا الخليفة الى العجز عما أوجب الله على أئمة المسلمين من حياطتهم ورعايتهم وحفظ بلادهم وأموالهم وأعراضهم فضلاً عن نفوسهم [1] .

وظهر في تلك الفتنة عدة قواد من الفتيان العيارين وتقسموا السلطة في بغداد [1] . وأشهر أولئك القواد ابن كبرويه وأبو الدود وأبو الذُباب وأسود الزُبد وأبو الأُرضة وأبو النوابح ، وكان أسود الزبد عبداً يأوي الى قنطرة الزبد ببغداد ويلتقط النوى ويستطعم من يحضر هناك باللهو واللعب وهو عُريان لا يتوارى إلا بخرقة ولا يؤبه له ولا يُبالى به ومضى على ذلك دهر ، قال أبو حيان : فلما حلت الفتنة وفشا الهرج والمرج ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله طلب سيفاً وشحذه ونهب وأغار وسلب وظهر منه شيطان في جلد إنسان وصبُح وجهه وعذُب لفظه وحسُن جسمه وعشِق وعُشِق والأيام تأتي بالغرائب والعجائب . ولما دعيَ قائداً وأطاعه الرجال وأعطاهم الأموال وفرّق فيهم وطلب الرئاسة عليهم صار جانبه لا يرام ، وحماه لا يُضام ، فما ظهر من حُسن خلقه مع شرّه ولعنته وسفكه للدم وهتكه للحرمة وركوبه للفاحشة وتمرُّده على ربه القادر ، وما لـكه القاهر أنه اشترى جارية كانت عند النخاسين بألف دينار ، وكانت حسناء جميلة ، فلما حصلت عنده حاول منها حاجة فامتنعت عليه ، فقال لها : ما تكرهين مني ؟ قالت : أكرهك كما أنت فقال لها : فما تحبين ؟ قالت : أن تبيعني .

(١) المرجع المذكور في السنة المذكورة

قال : أو خير من ذلك أعتقُك وأهبُ لك ألف دينار قالت : نعم . فأعتقها وأعطاها ألف دينار بحضرة القاضي ابن الدقاق وعند مسجد ابن رغبان . فعجب الناس من نفسه وهمته وسماحته وصبره على كلامهـا وترك معاقبتها على كراهتهـا فلو كان قتلها لـكان ذلك من فعله في أمثالها [1]

وقد علمنا من الخبر السابق أنه في هذا العصر ظهر الفتيان النبوية ، وفي الحق أن الفتـوة صارت بيوتاً وأحزاباً وقبائل كالنبوية والخليلية والشُحينية والموَلّدية والرهاصية ، وكان بعضهم يخطيءُ بعضاً في مبادئهم وأقوالهم وأفعـالهم [2] ، ونجد في أوائل القرن الخامس طائفـة منهم ببلاد الشام يعرفون باسـم « الأحداث » جمع الحدث وهو الشاب ، وأشهرهم أحداث مدينـة حلب ، وقد ساعد الأحداث الحلبيون الأمير أسد الدولة صالح بن مرداس الـكلابي على احتـلال حلب سنة « ٤١٥ » وانتزاعها من سلطان الدولة الفاطمية وخليفتهـا يومئذ الظاهر لاعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وقد جعل الأمير صالح أبا المرجى سالم بن مستفاد الحمداني غلام سيف الدولة بن حمدان مقدمهم سنة ٤١٥ هـ [3] ثم انتزع الفاطميون حلب من بني مرداس الـكلابيين ، وفي سنة ٤٣٤ هـ استدعى الحلبيون وفيهم الأحداث أي الفتيان معزالدولة أبا علوان ثمال بن صالح وابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس فوصل ثمال قبل المقلد ودخل حلب واجتمع إليه الأحداث [4]

وهـكذا ظل أحداث حلب ينصرون أميراً ويخذلون آخر ، ويتلعبون بالسياسة والرياسة ، ومن ذلك أن المستنصر بالله الفاطمي أنفذ في سنة ٤٤٨ نُوابه ليتسلموا حلب وفيهم مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي فأقام بحلب وعدل في الرعية وأحسن السـيرة ورخصت

(١) الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي « ٣ : ١٦٠ — ١٦١ »

(٢) الفتوة لابن المعمار « الورقة ١١ »

(٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب « ١ : ٢٢٧ ، ٢٤٩ » تأليف ابن العديم الحلبي

(٤) المرجع المذكور « ١ : ٢٦١ » .

الأسعار في أيامه ، وكأن الدهر حسده فطالب الأحداث منه مالاً فقال لهم « قد أخذتم واجبكم المقرر على الكمال وتسلفتم أيضاً فلا تطمعوا في وصول شيء آخر إليكم » فعصاه الأحداث وغدروا به وأرسلوا إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ، واستقدموه وكان قد حاصر حلب ومعه بنو كلاب وقاتل الأحداث وغيرهم سبعة أيام ثم رحل عنها مخفقاً ، ولما وصل سلموا إليه حلب وأرسل الفاطميون جيشاً ضخماً من المغاربة بقيادة ناصر الدولة الحسين بن الحسن الحمداني فهرب الأحداث من حلب وانضموا الى بني كلاب (١) ، وكان مكين الدولة العقيلي قد تحصن في قلعة حلب لما غدر به الأحداث فنزل منها عند اقتراب الجيش الفاطمي من حلب هو وأصحابه فنهبوا مدينة حلب وقتلوا من وجدوه من الأحداث وعدتهم أربعون حدثاً وقبضوا على مائة وخمسين آخرين وصلبوا في محلات حلب جماعة من القتلى للارهاب والارعاب ونهبوا كل موضع جليل فيها من المواضع التي يعرفونها وقيسريات الوكلاء والتجار وغير ذلك(٢).

ثم صارت حلب الى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي سنة « ٤٥٢ » فحاصره عمه معز الدولة ثمال بن صالح ، فأغلق محمود باب حلب في وجه عمه ولكن قوماً من أحداث حلب فتحوا لثمال باب قنسرين ودخل أصحاب ثمال حلب الى أن وصلوا إلى درب البنات ، فنزل محمود من القلعة إليهم وأخرجهم ولم يقتل منهم أحداً ، وقبض على زعماء الأحداث الذين فتحوا باب قنسرين ومنهم ابن حبّون وابن المغازلي (٣) .

ثم جمع الأمير ثمال عسكراً وعاد إلى حلب فحاصرها ودخلها وانهزم ابن أخيه محمود فأسر ثمال أكثر جنوده والأحداث الذين كانوا معه وهم كندي وصُبيح وابن الأقراصي والشطيطي واللبّاد وأصحابُهم (٤) ثم اصطلح العم وابن أخيه على أن تكون حلب للعم وهو الأمير

(١) المرجع المذكور « ١ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ »
(٢) المرجع المذكور « ص ٢٧٨ » والكامل في حوادث سنة ٤٥٢
(٣) زبدة الحلب « ١ : ٢٨٢ »
(٤) المرجع المذكور « ١ : ٢٨٣ »

معز الدولة ثمال ولما استقر ثمال في القلعة نفى من الحلبيين الأحداث القدماء جماعة وصلب منهم خمسة عشر رجلاً ، وبلغه أن قوماً منهم مضوا إلى أنطاكية وكلموا واليها في أن يسلموا إليه معرّة مصرين وهي بُليدة على نحو من ثلاثين كيلو متراً من حلب ويطرّقوه إلى غيرها وقالوا له : « يحرُبنا في حلب وأصحابنا تحت أوامرنا » . فلما علم ذلك ثمال عقبهم وظفر بجماعة منهم فقتلهم وهم ابن أبي الريحان وابن مطر وابن الشاكري وبهلول ، وترك الباقي [1] .

وما أجد فسحة لأن أذكر من أخبار أحداث حلب وغيرها أكثر من هذا فان لهؤلاء الفتيان المعروفين بالأحداث أخباراً كثيرة ، وردت في كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » للقاضي الأديب والسفير الأريب كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن المديم وكامل ابن الأثير ومرآة الزمان لأبي المظفر يوسف بن قزأغلي المعروف بسبط ابن الجوزي وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة عبد الرحمن المقدسي ، ولم أجد من الباحثين المعاصرين من أشار إلى حقيقة هؤلاء الأحداث وذلك مما يعنى على ذكرهم وبيان أوليّتهم ، فيكون لهم بحث مستقل وموضوع مفرد [2]

وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الفتوة العيارة الضالّة مقاومة شديدة من ولاة الأمر والحكام لاخلالها بالأمن وإزالتها الاستقرار وانتهابها الأموال وسفكها الدماء المحرّمة باسم الدين أو المذهب ، فمن فِتنها ما جرى سنة « ٤٢٤ » هـ وما بعدها فقد ظهر ببغداد في الفتيان العيارين القائد أبو علي البُرجمي وكثر أتباعه من العامة حتى ثاروا على خطيب الجمعة بجامع المهدي بن المنصور بالرصافة وقالوا له : « إن لم تخطبُ لأبي علي البرجمي فلا تخطب للخليفة ولا للملك » قال ابن الأثير : « وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوّة وله مروّة ، لم يعرض لامرأة ولا لمن

(١) المرجع « ١ : ٢٨٧ »

(٢) ومراجع ذلك « مرآة الزمان في حوادث سنة ٤٥٨ » و « ج ٨ ص ٤٨ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ » والكامل « ٩ : ٨٠ » و« ١ : ٨٨ » و« ١١ : ٢٨ » ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب « ١ : ١٥ ، ٣٨ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٢٧ » و« زبدة الحلب ٢ : ٤٥ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢١ » وكتاب الروضتين « ١ : ٣٣ » من الطبعة الأولى

يستسلم إليه »[1]

وفزع العباسيون من الفتوة بعد أن علموا أن خالصة الملك ريحان الاسكندراني من رجال الدولة الفاطمية بمصر ، قد اتخذ المدينة المنورة مقاماً وانتدب لرئاسة الفتيان في البلدان وكاتب الراغبين في الفتوة وكاتبوه وذلك في الثلث الأخير من القرن الخامس للهجرة ، وممن اتصل بخالصة الملك هذا من أهل بغداد « عبد القادر العباسيّ الهاشمي البزاز » فقد صار شيخ الفتيان وكان يكتب لكل منهم منشوراً ولقب نفسه بكاتب الفتيان ، وممن دخل فيها أبو نصر محمد بن عبد الباقي الخباز المعروف بابن الرسولي الأديب الكاتب فألف فيها رسالة يذكر فيها معناها وفضائلها وقانونها ، ولعل هذه الرسالة أول كتاب ألف في الفتوة ، وقد جاء فيها قوله :

« الحمد لله معز الفتيان والفتوة وجاعلها إرث الامامة والنبوة ، [الذي جعل] لأهلها أنساباً وسماهم بها أحباباً ، فهي حلاوة يجدها العارفون ، ويقف عندها الراغبون ، يرغب فيها من عرف معانيها ، وتسمو إلى مراتبها نفسُ متعاطيها ، وما زالت منذ آدم ، ظاهرة مع العالم ، وقام هو بحقها ، فلما انتهت مدته أوصى بها الى شيث مستحقها ثم انتقلت إلى نوح فصرفها الى سام ثم ظهرت في الخليل — عليه الصلاة والسلام — [ثم في إسماعيل] فحاز الفضل العميم ، كما نطق به الكتاب القديم : وفديناه بذبح عظيم ثم ظهر لموسى منها ما بطن ، ففوّض الى هرونَ منها أوفى السُّنن ، ثم ظهرت في المسيح الأمين ، المبشر بسيد المرسلين[2] » .

وذكر كلاماً كثيراً وشرح تقليده للموافقين له على ذلك الأمر وذكر أسماءهم وأنسابهم وما يتعلق بهم في مقدار كراستين . وكان الموافقون له الداخلون في هذه الفتوة « مائة ونيفاً » من الأشراف والأعيان وزعماء البلدان ، وكان ابن الرسولي هذا يعقد اجتماعهم في مسجد براثا بغربي بغداد وهو مسجد بني على رواية أن الامام علي بن أبي طالب لما خرج لقتال الخوارج صلى

(١) الكامل في حوادث ، سنة ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ »

(٢) المنتظم « ٨ : ٣٢٦ — ٧ » ومرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٧ »

فى موضع المسجد ودخل حماماً فى قرية براثا [1] ولذلك كان من مساجد الشيعة ، وكان مسدود الباب مهجوراً ففتح ابن الرسولي بابه وقلع البـــاب العتيق ونصب عليه باباً جديداً ورتب فى المسجد من يُراعيه ، فعلم به وبأصحابه جماعة من أصحاب أبي القاسم عبد الصمد بن عمر الواعظ الشافعي وكان ينتحلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحنبلون ، فأنكروا فعله وشكوه الى ديوان الخلافة العباسية وعظّموا عند الخليفة أمره على سبيل الاستنكار والاستهجان لا على سبيل الاستحسان وقالوا : إن هؤلاء القوم يدعون لصاحب مصر ويجعلون ذكر « الفتوّة » عنواناً لجمع الكلمة على هذا الباطن والباطل ، فكتب الوزير عميد الدولة بن جَهير الى الخليفة المقتدي بأمر الله مطالعة بحالهم فصدر أمر الخليفة بالقبض على كاتب الفتيان عبد القادر الهاشمي ومحمد بن عبد الباقي بن الرسولي ، فقبض عليهما فى ذي الحجة من سنة « ٤٧٣ » وعُثر على كتب لابن الرسولي كثيرة منها كتاب كتبه الى خاصة الملك ريحان الاسكندراني المقدم ذكره ، فاستخلاه الوزير ابن جهير وسأله عن الداخلين فى الفتوة فذكر أسماءهم وكتبها الوزير ، وصدر الأمر بالبحث عنهم فقبض على جماعة منهم وهرب الباقون ، واستفتى الفقهاء فى أمرهم فأفتوا باستئصالهم والزامهم الرجوع عن مذهبهم فى الفتوة وكفهم عنها ، وجعل شحنة بغداد من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي أي حاكم بغداد العسكري ، التفتيش عن الفتيان ذريعة الى الشنقصة أي ابتزاز الأموال بالوسائل الباطلة ، ووضع المصانعات المالية عليهم فنهبت دورهم [2]

ولكن الفتّوة على اختلاف أحزابها وبيوتها وقبائلها لم تستأصل بذلك الكبس ولا بذلك الحبس والابتزاز والتشريد ، بدلالة أننا نرى بين أخبار التاريخ أحداثاً للفتوة متقطعة معدومة الصلة ، لأن الفتوة العارمة الظالمـــة الشاطرة لا تظهر إلا فى أيام ضعف الحكام ، فمن ذلك ظهورها ببغداد ونواحيها سنة « ٥٣٢ » على عهد الخليفة المقتفي لأمر الله العباسيّ بحدد الدولة

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي « براثا »

(٢) المرجعان المذكوران سابقاً

العباسية وفي سلطنة السلطان القبيح السيرة السفاك مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، والخليفة يومئذ مغلوب على أمره ، ومفكر في استنقاذ الدولة العباسية من استعباد حكامها القاهرين الظالمين ، وكان زعيم الفتيان إذ ذاك ابن بكران العيار ، فعظم أمره واستشرى فساده وأيده زعيم آخر يعرف بابن البزاز ، وأراد أن يضربا سكة بأسمائهما ، وكان والي بغداد يومئذ حسام الشرف أبو الكرم بن محمد الهاشمي ، فأمر ابن أخيه أبا القاسم حامي محلة باب الأزج ومنها اليوم باب الشيخ عبد القادر الكيلاني أمره أن يأخذ الفتوة لنفسه من يدي ابن بكران ويكون من اتباعه الفتيان ليأمن شره ، ففعل أبو القاسم ، ثم احتال الوالي على ابن بكران وابن البزاز فقتلهما [1] . وفي سنة « ٥٦٣ » استفحل شر الفتيان العيارين واحتمت كل جماعة منهم بأمير من أمراء الدولة السلجوقية أو ابن وزير أو كبير فأخذوا أموال الناس ظاهراً ، وكان يكبسون الدور بالليل وبأيديهم الشموع ويدخلون الحمامات وقت السحر فيأخذون ثياب المستحمين ، ويدخلون الخانات ويهددون أصحابها بالاحراق وقتلوا جماعة من رجال الشرطة حتى صار الناس لا يخرجون من دورهم بعد المغرب ، ورتب العيارون لأنفسهم جواسيس على الناس يدلونهم على أصحاب الأموال ، وأغلق الناس دكاكينهم وخاناتهم وكسروا منابر الجوامع احتجاجاً على اختلال الأمن وأغلقوا أبواب الجوامع وعزل الوالي أبو الكرم الهاشمي نفسه وحلق رأسه وتصوف وأقام في بعض الخانقاهات أي « الرُبُط » ، فأجبروه ثانية على ولاية أمر الأمن ببغداد [2] .

وقد رأى ابن جبير الرحالة الأندلسي في سنة ٥٧٩ جماعة من الفتيان النبوية المتعصبين على الرافضة قال في وصف بلاد الشام : « وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة وهم أكثر من السنيين بها وقد عمّوا البلاد بمذاهبهم وهم فرق شتى منهم الرافضة ... وسلط الله على هذه الرافضة طائفة تعرف بالنبوية (وهم) سنيون يدينون بالفتوة وبأمور الرجولة كلها . وكل من

(١) الكامل في حوادث سنة « ٥٣٢ » « ١١ : ٢٥ »
(٢) الكامل في حوادث سنة « ٥٣٦ »

ألحقوه بهم لخصلة يروبها فيه منها يحزّمونه السراويل فيلحقونه بهم ولا يرون أن يستعدي أحد منهم في نازلة تنزل بهم ، لهم في ذلك مذاهب عجيبة ، وإذا أقسم أحدهم بالفتوة أبرَّ قسمه ، وهم يقتلون هؤلاء الروافض أينما وجدوهم ، وشأنهم عجيب في الأنفة والائتلاف[1] »

هكذا كانت حال الفتيان النبويّة في بلاد الشام وقد ذكرنا من أحزاب الفتوة الخليليّة ولعلها منسوبة الى خليل الرحمن إبراهيم — ع — والرهاصية وهي منسوبة الى عمر الرهاص والشحينية والمولديّة ، قال ابن المعمار الحنبلي : « وكل منهم ذهب الى رأي ، ولقد كانُوا يحكمون ببطلان من لم يحاضروه ، وإنما ينقــلون ما ينقلون عنهم إنكاراً ، فلما لم يقضُوا في الفتوة بأحكامها ولم يقصُّوا فيها أثر السلف الصالح ولم ينسِجُوا على منوالهم كثر الاختلاف بينهم ... فلمـا انتهى ذلك إلى عصر سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — أنعم نظره التام وفحصه الكامل في النسب فاختار كبيراً في الفتوة (هو) الشيخ العابد الصـــالح الحميد عبد الجبار بن صالح البغدادي — رحمة الله عليه — لما كان عليه في الحقيقة من حسن السيرة والطريقة وانتقلت اليه — صلوات الله عليه — عن الشيخ عبد الجبار[2] ... »

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله ، لما رأى ما عليه العالم الاسلامي من التشتت والضعف والاختلاف ، والانحراف والتمادي ، والتمادي في التنازع وإثارة الشرّ بينهم ، واشتداد قوة الافرنج المعروف بالصليبيين وتمكنهم في طراز البحر الرومي المعروف بالبحر الأبيض المتوسط ، وتقوي دويلاتهم وتنقصهم للبلاد الاسـلامية الاسلامية شيئاً فشيئاً أمر الدول الاسلامية بتأييد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولو لا ذلك ما استطاع صلاح الدين اجتياح بلاد الافرنج التي احتلوها من بلاد الشام ولا الثبات بازائهم ، ولما فتح صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣ أرسل إليه الخليفة الناصر بلوح مكتوب عليه كتابة ليعلقه على باب المدينة فعلّقه وهذا نص الكتاب :

---

(١) رحلة ابن جبير « ٢٨٠ » طبعة بريل

(٢) كتاب الفتوة لابن المعمار « الورقة ١ ، ١١ من النسخة المقدم ذكرها

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . الحمدلله الذي أنجز وعدَه ، ونصر عبده ، وأقام خليفته القائم بحق الله ، وسيد عترة رسول الله وثمرة شجرته الطيبة المعرقة إليه أبا العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين — أسبغ الله ظله على الاسلام والمسلمين ، وشدّ عضُده بولده وولي عهده أبي نصر محمد عدّة الدنيا والدين ، وأعاد إليه تُراثه ، وأصار إليه ميراثه ، من البيت المقدّس على رغم أنف المشركين ، أجري هذا الفتح على يد محيي دولته وسيف نصرته والقائم بطاعته : والمخلص في عبوديته ، والمجاهد تحت رايته يوسف بن أيوب معين أمير المؤمنين » [1]

ورأى الناصر أن العالم الاسلامي يحتاج الى تجديد قوته ، وإحياء همته وإعادة اتحاده وتوحيد منهجه ، لمقاومة الافرنج الصليبيين من الغرب والكُرج من الشمال ، والسلجوقيين وأتباعهم من الشرق ، والمحافظة على استقلال البلاد الاسلامية ، فعمد إلى الفتوة وفيها أعظم قوة لمن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيماً عظيماً ، فاستعملها الناصر وربى في الدول الاسلامية جيلاً جديداً شجاعاً محارباً مجاهداً كامل فضائل النفس وفضائل البدن ، كالفروسية والعلم بالحرب والقتال ، والمسايفة والرمي والمراماة ، وابتدأ ذلك بسلوك الطريق المشروع فأخذ فتوته من الشيخ عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي رئيس الفتيان في زمانه ، قال القاضي شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم القحطاني الهمداني الحموي الشافعي في تاريخه المظفري المحفوظة نسخة منه في مكتبة البلدية بالاسكندرية :

« وفي سنة ٥٧٨ أحضر الامام الناصر لدين الله الشيخ عبد الجبار صاحب الفتوة وسأله أن يلبس سراويل الفتوة فألبسه إياها وشرب لعبد الجبار ماء الفتوة وأعطاه خمسمائة دينار وخلع على ولده شمس الدين علي ، وكان عبد الجبار هذا شيخاً حسناً له اتباع كثيرون ثم تفتى الى الناصر لدين الله خلق من الملوك والأكابر ، وكان هذا الفعل (أي الفتوة) يستحث الناس على التعاضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السر وصدق اللهجة والعفة عن المحارم وأرباب الفتوة يسندونها

(١) خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي « ص ٢٠٨ » .

بالمنمنة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام — وناهيك بذلك شرفاً وفخراً وعظمة وقدراً » (١)

وقال نور الدين علي بن أحمد السخاوي الحنفي في كلامه على قبرسلطان الفتوة في زمانه علاء الدين المؤنسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ : « كان ابتداء هذا الأمر — أعني الفتوة — في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وذلك أن ندماء الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله حسنوا له أن يكون فتى، وأحضروا له رجلاً يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح، له أتباع كثيرة ومعه ولده شمس الدين [علي] فتقرر الاجتماع ببستان مقابل التاج ثم حضر عبد الجبار وابنه شمس الدين علي وصهره يوسف العقاب وندمان الخليفة وألبس عبد الجبار الخليفة الناصر لدين الله سراويل الفتوة وأخبره أنه لبسها من شيخ شيخ وثم ثم الى علي بن أبي طالب — رضي الله — عنه » (٢)

قال ابن المعمار الحنبلي : « فعند ذلك طفق الناس فضلاؤهم وبهاليلهم مهرعين الى التشرف بالانتماء إليه — صلوات الله عليه — لما اتصف به من الأخلاق النبوية ، والخلال الطاهرة الزكية، حتى استرق بجوده أهل البلاد ، وأشرب حبه في قلوب العباد ، وسلكوا الى تشريفه فجاجاً ، ودخلوا في حزبه أفواجاً ، متعنا الله بدوام دولته ، بمحمد وعترته »(٣) هذا قول ابن المعمار الحنبلي في كتابه « الفتوة » الذي ألفه باسم الناصر لدين الله

وقال إلياس بن أحمد النقاش في كتابه الفتوة بعد ذكره اختلاف الفتيان في البلدان وسلوكهم طريق الضلالة وإثارتهم الفتن وإتيانهم البدع وارتكابهم الذنوب وميلهم الى المجادلة والمكابرة ، قال : « الى أن شرف الله تعالى الفتوة وكرمها وأعلى منارها وعظمها بسيدنا ومولانا الشجرة الامامية والدوحة النبوية والسلالة العباسية وخليفة [الشريعة] الربانية إمام المؤمنين

(١) التاريخ المظفري « الورقة ٢١٢ تحت الأرقام ١٢٩٢ ب »

(٢) تحفة الأحباب وبغية الطلاب « ص ١٧ طبعة مصر سنة ١٩٣٧ » دلنا عليه الأستاذ الحصان

(٣) كتاب الفتوة « الورقة ١٣ » .

وخليفة رب العالمين الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إمام المشارق والمغارب لا إمام للمسلمين سواه ، ولا قبلة للدين إلا إياه ، صلى الله عليه وعلى آله وذريته فشــــيد بنيانها ، ومهد أركانها وألف أحزابها ، وأرشد طلابها وأظهر أنوارها وأوضح برهانها » (1)

وقد كان الناصر أهلاً لأكثر من هذا المدح وذلك لتوحيده العرب والمسلمين بعد أن نسوا الاتحاد، وإعادته إليهم عزهم بعد ضياع وافتقاد ، وهذا أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى بحلب سنة ٦١١ هـ يقول في كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » : « فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب وكان الواجب أن نبتدئ بذكر مدينة السلام — حرسها الله تعالى — إذ بهـا إمام المسلمين وخليفـة الموحدين وأمير المؤمنـين وابن عم سيد المرسلين الامام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ... الذي رفع المظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنـكر وأقام حدود الله وأحيا سنة رسول الله وعمر الشريعة وأظهر الصنيعة ، وفقه الله لطاعته ، وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته بمحمد وآله وعترته ... » (2)

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله جدّد بالفتوة شــــباب الأمة ووحدها في الداخل والخارج وجعل بغداد المركز العالي للسياسة في الشرق والغرب ، حتى إن أحد أمراء المانيـة كتب إليه كتاباً يطلب فيـه الدخول في فتوته كما ذكرت جريـدة « لُدَيْبا Le Debat » الفرنسية (3)

ثم رأى الناصر لدين الله أن نزاعاً يحدث آونة بين أحزاب الفتيان فيحدث فشلاً في الأمة وضعفاً ، فضلاً عن إخلاله بالأمن وتأدّيه الى سفك الدماء فأصدر في سنة « ٦٠٤ هـ » منشوراً بابطال جميع الفتوة القديمة وإثبات فتوته وحدها ، وجعله مرجع الفتوة الأعلى وإمامها الأسمى

---

(1) فتوة إلياس النقاش « ١ ، ٢ من نسخة استانبول المطبوعة »

(2) كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات « ص ١ ، ٢ طبعة جانين سورديل بدمشق »

(3) La Traditon Chevaleresque des Arabes. par. Wacyf Botros P. 25 id Paris 1919

قال تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي البغـــدادي في حوادث سنة « ٦٠٤ هـ » المذكورة :

ذكر نقل الفتوة وما تجدد منها : في هذه السنة أُهدرت الفتوة القديمة وجُعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضي الله عنـه ـ القبلة في ذلك والمرجوع اليه فيـه ، وكان هو قد شرَّف عبد الجبار بالفتوة إليه ـ وكان شيخاً متزهداً ـ فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعام وسأل ملوك الأطراف الفتوة ، فنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة وانتشر ذلك ببغداد وتفتى الأصاغر والأكابر [1] »

وفي اليوم التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة أصدر مرسوماً بتقرير قواعـد الفتوة وأنَّ الحدود الشرعية لا تسـقط بالفتوة ، فمن قتل النفس المحرَّم قتلها قُتل بعـد أن تنزع منه سراويل الفتوة ، ومن آوى مجرماً عُوقب ولعُن عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « من آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً [2] »

وفي سابع عشر رجب من السنة المذكورة أحضر الى باب البدرية من أبواب دار الخلافة العباسيّة ببغداد فتيان من الفتيان كانا قد اشتركا في قتل رجل ، فنزعت منهما سراويلات الفتوة وقُتلا توسيطاً أي قطعا بالسيف نصفين قصاصاً لهما لقتلهما النفس المحرمة وأخرجت جثتهما فأُلقيتا على باب البدرية ، فارتدع بهما أمثالهما وانحسمت مادة النزاع والفساد والقتل وانكف العوام عن تطاولهم [3] .

وممن لبس سراويل الفتوة للناصر لدين الله من ملوك الأطرف الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب الأيوبي ملك مصر والشام يومئذ وأبناؤه : الملك الكامل محمد والملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى ، والملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي

---

(١) الجامع المختصر وعنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٢٢١ »

(٢) المرجع المذكور « ص ٢٢٢ — ٢٢٥ »

(٣) المرجع المذكور (ص ٢٢٨)

ملك حماة والملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو السلجوقي ملك بلاد الروم أي تركية ، وشهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الغور أي أفغانستان الحالية وما حولها من الهند ، والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي ملك حلب وما حولها وملك شيراز سعد بن زنكي وصاحب جزيرة كيش في الخليج الفارسي وغيرهم [1] قال أبو الفداء في حوادث سنة « ٦٠٧ هـ » :

« وفي هذه السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وأن ينتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه [2] » .

وقال ابن الفرات في ترجمة الخليفة الناصر لدين الله : « فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من لبس منه السراويل ورمى له ، فلبس سائر ملوك الآفاق سراويلات الفتوة له وادّعوا له في البندق ووصل رسوله الى حماة في أيام الملك المنصور [محمد بن عمر الايوبي] صاحب حماة وأمره بأن يلبسَ للخليفة ويُلبسَ الأكابر له ، فأمر الملك المنصور الشيخ سالم بن نصر الله بن واصل الحموي بعمل خطبة في الفتوة ، فعمل خطبة بديعة في هذا المعنى واستشهد بآيات من القرآن العزيز منها قوله تعالى : سمعنا فتىً يذكرهم ومنها قوله تعالى إذ أوى الفتية الى الكهف . وغير ذلك من الأخبار والآثار فقرئت هذه الخطبة بحضرة الملك المنصوروالأكابر ، وكان قاضي حماة في ذلك الزمان القاضي برهان الدين أبو اليسر بن موهوب ، فأمره الملك المنصور بلبس سراويل الفتوة في المجلس فلبسها ولبسها الجماعة [3] »

وقال تقي الدين المقريزي في حوادث سنة ٦٠٧ : « وفيها شرب ملوك الأطراف كأس

---

(١) نكت الهميان في نكت العميان « ص ٩٣ » والسلوك لمعرفة دول الملوك « ١ : ١٧٢ » وذيل الروضتين « ص ٦٩ » والمختصر في أخبار البشر « ٣ : ١١٩ طبعة استانبول » وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٤ ص ٣٨٤ » من نسختي الخطية

(٢) المختصر في أخبار البشر « ٣ : ١١٩ »

(٣) تاريخ ابن الفرات « المجلة الأسوية مج ٦ س ٢٨٥ سنة ١٨٠٨ » ، « والفتوة والخليفة الناصر» للمستشرق الألماني دراز تيشنر في « المنتقى من دراسات المستشرقين ١ : ١٩٤ » وهي في التاريخ أوسع

الفتوة للخليفة الناصر لدين الله لتنتمي كل رعية إلى ملكها ففعلوا ذلك وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها وألبس كلاً منهم له وسقاه كأس الفتوة. وكان الخليفة الناصر مغرماً بهذا الأمر وأمر الملوك أيضاً أن تنتسب اليه في رمي البندق وتجعله قدوتها فيه [1] » وقد ذكرنا قبل هذا شمس الدين بن البعلبكي قاضي الفتيان الذي بعث الى مصر ليُفتي الملك الكامل للناصر لدين الله بالوكالة

ويفهم مما نقلنا من الأخبار أن الفتيان كانوا يتعاطون الرمي بقوس البندس وهي التي تطوّرت بعد شيوع استعمال البارود فنشأت منها البندقية، وأن الناصر لدين الله أمر الملوك أن ينتسبوا إليه في الرمي ويجعلوه إمامهم، وقد صنف الناصر لدين الله الطيور التي تُصاد بحسب قانون الفتوة أربعة عشر صنفاً وسمّاها « الطير الجليل » وتسمى طير الواجب أيضاً وهي: النسر والعقاب واللغلغ واللقلق ويسمى السبيطر أيضاً والعناز والمرزم والتمّ والغرنوق والأنيسة والكركي والبجع ويسمى الكيّ والحبرج وهو الحبارى والصوغ والاوز [2] . وقد ألف الشيخ العالم الفقيه الشافعي محمد بن إسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال الشافعي معيد المدرسة النظامية كتاباً في أحكام صيد الطير الجليل سماه « المقترح في المصطلح » قال في أوله: بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى واسطة العِقد، ومالك الحل والعقد، والمؤيد باتباع الحق، والمسدد بكلمة الصدق، والمتخلق بأخلاق الله الناصر لدين الله، بلغه [الله] من الآمال كل النهاية ومن العز والكرامة وأقصى الغاية » الى أن يقول « وبعد فأقول إنه قد استوجب علي حقاً أن أجمع في طريقة البندق مختصراً حاوياً لما تفرّق من أحكامه ومسائله، وأبين كيفية استيعاب أواخره عن أوائله وأن أجعل لها القواعد الشرعية، كالضابط والمرد، والأصول الفقهية دعامة في القبول والرد [3] ... »

(١) السلوك « ١ : ١٧٢ »
(٢) المقترح في المصطلح لابن ودعة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس الورقة ١ »
(٣) المقترح في المصطلح « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس، الورقة ٤ »

وقد انتقد بعض المؤرخين على الامام الناصر لدين الله عنايته بالفتوة ولم يوفق للصواب في نقده ، لأن الناصر كان قد وحد الأمة الاسلامية ، وأحيا عز العرب وناموسهم بمساعيه وأعماله ومنها تجديد الفتوة ، وأعاد الى العرب استقلالهم المسلوب والى الاسلام قوته وبهجته ، وإن نظرة المربي للأمم الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، والأمة العربية في مواطنها زهاء نصف قرن من الزمان يختلف ، بالبداهة ، عن نظر مؤرخ محدود الفكر ضئيل الهمة متأثر بالحوادث الشخصية ، والأمور السياسية في عصره وفي الحق أن خلافة الناصر التي دامت سبعاً وأربعين سنة ، وفتوّته البارعة وجمعه كلمة الأمة وتدريبها على أنواع الرياضة البدنية لبناء أجسام قويّة ، وعلى استعمال أنواع السلاح لاعداد جيوش قاهرة وربية جيل جديد شجاع مدرب على القتال والقراع كانت من أسباب الفخر والاعتزاز عند العرب والمسلمين وكان من نتائج الفتوة توحيد الجيوش الاسلامية (1) .

واتبع الخلفاء العباسيون الذين جاءوا بعد الناصر لدين الله أثره في العناية بالفتوة والقيام برسومها ورعاية الفتيان في البلاد الاسلامية ، على اختلافهم في الحماسة لها ، بالاضافة إلى ميل أنفسهم إليها ، فابنه محمد الظاهر لم يبق في الخلافة زمناً نستطيع أن نتبين به مقدار عنايته بها ، فانه توفي سنة « ٦٢٣ هـ » ودامت خلافته من أول شعبان سنة « ٦٢٢ هـ » إلى الرابع عشر من رجب سنة « ٦٢٣ هـ » (2) وسيأتي أنه تفتى من أبيه (ص ٧٣) واستخلف بعده ابنه منصور المستنصر بالله وكانت عنايته بالفتوة كبيرة مستدامة ، قال بروكلمان : « وكان قد تعاقب على عرش بغداد بعد وفاة الناصر الخليفة الحازم ذي الهمة العالية سنة ١٢٢٥ م خلفاء مستضعفون » (3) .

وكان مولد المستنصر سنة « ٥٨٨ هـ » في السنة الثالثة عشرة من خلافة جده الناصر لدين الله ، قال الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : « كان جدُّه الناصر يقرّبه ويسميه القاضي

(1) راجع مثال ذلك « النجوم الزاهرة » في ملوك مصر والقاهرة « ٦ : ٢١٣ ، ٢١٤ » .

(2) الكامل في حوادث سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٣ .

(3) تاريخ الشعوب الاسلامية « ٢ : ٢٧١ من الترجمة العربية »

لهديه وعقله وإنكار ما يجده من المنكر [1] » وقال ابن النجار : « نشر العدل في الرعايا ، وبذل الانصاف في القضايا ، وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات ، وأقام منار الدين ، وقمع المتمردة ونشر السُنَن ، وكف الفتن ، وحمل الناس على أقوم سَنَن ، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام ، وجمع الجيوش لنصرة الاسلام ، وحفظ الثغور وافتتح الحصون [2] » . ومن آثاره المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، ولا يزال أكثرها قائماً شاهداً بالفخامة والضخامة وغرامه بعلوم الدين والطب

وأراد المستنصر أن يرتفع الى سند عال في الفتوة ، فحسن له جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي أن يلبس سراويل الفتوة من علي بن أبي طالب وأفتى بجواز ذلك ، فتوجه المستنصر الى مشهد علي بالنجف ولبس السراويل عند الضريح ، وكان جلال الدين بن المختار هو النقيب في ذلك [3] .

وكان المستنصر يُفَتِّي الملوك والأعيان بطريقة الوكالة ، ففي سنة « ٦٢٦ هـ » أنفذ فخر الدين أبا طالب أحمد بن الدامغاني والشيخ شمس الدين أبا البركات عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل وسعد الدين حسن بن الحاجب إلى جلال الدين منكوبرني بن خوارزمشاه محمد بن تكش مع رسول كان وصل منه ، وهو يومئذ على خلاط محاصراً لها ، وأرسل اليه معهم بتشريفات وكراع ولباس الفتوة ، وكل الخليفة فخر الدين بن الدامغاني في تفتيته من الخليفة وكان الشيخ أبو البركات عبد الرحمن نقيب الفتوة ، وكان ذلك بموجب سؤاله

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٤٧٢ طبعة الهند »

(٢) المرجع المذكور « ص ٤٧٢ »

(٣) الحوادث الذي سميناه الحوادث الجامعة وليس به « ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ » قال المؤلف : « كان جلال الدين عريق النسب كبير القدر أديباً فصيحاً ، حفظ القرآن في نيف وخمسين يوماً ... وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام ، وكان يفتي فيه ويرجع الى قوله ، ولم يزل على ذلك الى أيام الخليفة المستنصر بالله فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي — ع — وأفتى بجواز ذلك ... » وذكر أنه توفي سنة « ٦٤٩ هـ »

ووصول رسول منه بطلبه فخلعوا عليه خلعة الخليفة المستنصر بالله وألبسوه سراويل الفتوة [1].

وفي سنة « ٦٣٤ هـ » في خامس صفر منها قدم نور الدين أرسلان [2] شاه بن عماد الدين ابن زنكي صاحب شهرزور فتلقاه موكب الديوان ورفع قدره وخلع عليه ، وأسكن بدار النقيب الطاهر معد الموسوي بالمقتدية ، واستُدعي في اليوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور الى البدرية من مواضع دار الخلافة فحضر عند شرف الدين إقبال الحبشي الشرابي مقدم الجيوش يومئذ فشرّفه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله وخلع عليه [3].

وفي سنة « ٦٣٤ هـ » أيضاً حضر الشيخ عبد الله الشرمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية ، بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرابي وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله [4]

وفي سنة « ٦٣٧ هـ » هرب من العراق قطب الدين سنجر المعروف بالياغر المستنصري أحد أمراء الجيش العباسي وفي صحبته جماعة من المماليك فلقيه أبو علي بن غنام أمير عرب الشام فقبض عليه وأتى به الى بغداد تحت الاستظهار وأحضر ابن غنام الى البدرية وخلع عليه وشرّف بلباس الفتوة من الخليفة ثم رجع الى مستقره [5]

وكان سقوط الدولة العباسية سنة « ٦٥٦ هـ » ركوداً لأمر الفتوة في بغداد والعراق ، ثم ظهرت الدولة العباسية الصُورية في مصر فظهرت معها الفتوة ، ففي سنة « ٦٥٩ هـ » في يوم عيد الفطر ركب السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر والشام مع الخليفة المستنصر بالله الثاني تحت المظلة وصليا صلاة العيد ظاهر القاهرة وحضر الخليفة خيمة السلطان

(١) الحوادث « ص ٥ ، ١٤ »

(٢) في معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي لزمباور « ص ٣٤٣ » أنه ابن عز الدين مسعود الثاني بن نور الدين أرسلان الأول ولعل ذلك خطأ

(٣) الحوادث « ص ٨٨ ، ٨٩ »

(٤) الحوادث « ص ٩٠ ، ٩١ »

(٥) الحوادث « ص ١٣٠ » .

بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر [1] وقد أوضح المفضل بن أبي الفضائل خبر التفتية هذا بأن قال : « ثم تجهز السلطان بيبرس الى الشام في تاسع عشر رمضان ورغب في لباس الفتوة فألبسه الخليفة قبل سفره ، ونسبة الفتوة من الامام علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه [2] ... »

وفي سنة « ٦٦١ هـ » في ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سئل الملك الظاهر بيبرس الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي : هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته العباسيين الطاهرين أو من أوليائهم المتقين ؟ فقال : لا . والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود ، فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة ، وأن يمنحه ما كان ابن عمه — رضي — افترضه ، ولبس الخليفة في الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره في مثل ذلك ، وباشر اللبس [3] الأتابك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان ، بحق لبسه من الامام المستنصر بالله [الثاني] أمير المؤمنين ولد الامام الظاهر ، وأبوه لجده الناصر لدين الله والناصر لعبد الجبار ... لسلمان الفارسي للامام الطاهر التقي علي بن أبي طالب — رضي — وحمل السلطان الى الخليفة من الملابس لأجل ذلك بليق بجلاله [4] »

وهذا يدل على رواج أمر الفتوة في عصر المماليك بمصر والشام واستمرار قوتها منذ أيام الأيوبيين إلى ما بعدها من العصور ، وكان أمرها على العكس في العراق لأنها من رسوم العباسيين وآيينهم ، وفي بعضها ما يثير الفتن ، ففي سنة « ٦٨٦ هـ » من حكم السلطان أرغون بن أبغا بن هولاكو كثر اهتمام عوام بغداد بقتل السباع ، كما جرت عادة الفتيان ، وجرى بينهم فتن كثيرة وحروب بين أهل المحال فأنكر الديوان ذلك وتقدم باحراق السباع لاطفاء الفتنة ومنعوا

---

(١) السلوك للمقريزي « ١ : ٥٠٩ »

(٢) النهج السديد « ص ٨٤ ، ٨٥ » ونسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٥٢٥ الورقة ٧ » ومفرج الكروب نسخة الدار المذكورة ١٧٠٢ الورقة ٤١٢ »

(٣) الصواب « الالباس » لأنه ألبسه سراويل الفتوة

(٤) السلوك « ١ : ٤٩٥ — ٤٩٧ » .

بعد ذلك من الخروج لقتل السباع [1]

وكان أمثال هؤلاء ينعم عليهم بشيء من البر عندما يؤذن لهم في الخروج لقتل السباع أيام الخلفاء ، قال بعض المؤرخين في حوادث سنة « ٦٤٠ هـ » : « سأل جماعة من شبان المحال أن يؤذن لهم في الخروج الى قتل السباع ، فاذن لهم جرياً على العادة القديمة في أيام الخليفة الناصر لدين الله وأنعم عليهم بشيء من البرّ فاجتمع من كل محلة جوق وخرجوا مجتازين في عمود البلد [بغداد] وبين يديّ كل جوق الدّبّابة بالدفوف والزمور والمغاني وسائر الملاهي [2] ... » ثم حدثت فتنة بينهم استوجبت إرسال الجند إليهم وقمعهم

وانتشرت الفوة في بلاد الروم المعروفة بالأناضول وبآسية الصغرى منذ أيام الخليفة الناصر لدين الله ، وقد وصف ابن بطوطة الرحالة المشهور الفتيان « الآخية » وذكر عاداتهم [3] . وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « قونية » مثلاً أنه نزل منها بزاوية قاضيها المعروف بابن قلمشاه وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا ، وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — ع — ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة [4] وفي الخبر ما يشعر بتطورها إلى فتوة الأصناف

وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « اصفهان » فتوة طبقات وأصناف في الثلث الأول من القرن الثامن للهجرة ، قال : « وفي أهل أصفهان كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الأطعمة ، تؤثر عنهم فيه أخبار غريبة ... وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم كبيراً منهم يسمونه (الكلو) وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات ، وتكون الجماعة من الشبان

---

(١) الحوادث « ٤٥٣ »

(٢) الحوادث « ص ١٧٥ » ، وتراجم أمثال هذه الحادثة في الجامع المختصر وعنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ١٤٦ ، ١٤٨ » وغيره من كتب التاريخ

(٣) رحلة ابن بطوطة « ١ : ١٨١ ١٨٧ من طبعة مصر »

(٤) رحلة ابن بطوطة « ١ : ١٨٧ » .

الأعزاب وتتفاخر تلك الجماعات [1] ونحن وإن لم نجد في الخبر اسم الفتيان فقد رأينا واضح الدلالة على أصنافهم وأوصافهم ، وقد قدمنا شيوع الفتوة بمصر في القرن التاسع للهجرة «ص٦٥» ويؤيد هذا التطوُّر كتاب الفتوة الشائع المتأخر الزمان العديد النسخ في خزائن كتب العالمين ، وفي آخر نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ذات الأرقام ١٣٧٧ في الورقة (٣٨) ما هذا نصه « تم بعون الله وحسن توفيقه في آخر شعبان يوم السبت عند الغروب سنة ١١٤٥ » وهذا التاريخ يدل على أن تطوُّر الفتوة الى الأصناف حدث قبل نهاية القرن الحادي عشر للهجرة ، قال مؤلف هذه الفتوة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى جنان النعيم ، إنه تواب كريم ، غفور رحيم الحمد لله الذي جعل الفتوة لباس التقوى وخلمة الأنبياء وسلك فيها من اختص من عباده الأولياء والأصفياء ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد الأصفياء محمد المصطفى وابن عمه علي المرتضى وعلى آله وأصحابه وآل بيته الأتقياء أما بعد فقد روي عن السيد محمد بن السيد علاء الدين بن الرضي — عفا الله تعالى عنه — أنه مصنف هذه الفتوة ومعرفة هذه الطرائق والحقائق وأركان الشريعة »

« واعلم يا طالب الفتوة وسلوك الطريق — هداك الله الى مواقيت السائرين ، وأوصلك إلى منازل الواصلين ـ واعلم أن أركان الفتوة والشدّ (كذا) لاتتهاون أن أركان الفتوة يأخذ القراض ويأخذ العهد ويتوب ، وشرط الشدّ أن يوفي حق الله تعالى واعلم يا طالب الفتوة والشد لا تتهاون في بساط الشدّ وأن تطبخ الحلاوة وتفرقها بين الحاضرين في الشدّ سواء وتدور بها من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان ، وإذا سلمها كيف يسلمها وإذا أخذها كيف يأخذها من حاملها وأهل المحفل كيف يلقمون بعضهم بعضاً وإذا طالب أحد حقاً كيف يأخذه وإذا صار خطأ من الطريق يقف عند صف النعال ... [2] »

(١) الرحلة المذكورة « ص ١٢٥ »

(٢) الفتوة « ١٣٧٧ الورقة ١ـ٣ »

ثم ذكر الأئمة والأعيان الذين ينتسب اليهم فتيان ذلك الزمان على حسب أصنافهم وذلك في أثناء الكلام على شد الفتوة في أيام النبوة قال : « وقام علي في الحال فشد سبعة عشر رجلاً من أصحابه أولهم سلمان الفارسي ، شده وأجازه ، وكان في خدمة النبي ـ ص ـ وكان حلاقاً وعاش من العمر ثلاثمائة سنة وهو مدفون في المدائن [١] الثاني : عمر بن أمية الضمري ، شده وأجازه ، وجميع السعاة والشطار تنسب اليه وهو مدفون بحمص الثالث : بلال الحبشي ، شده وأجازه وجميع المؤذنين تنسب اليه وهو مدفون في دمشق الرابع : بريدة الأسلمي ، شده وأجازه وكان يحمل سنجق النبي ـ ص ـ وكل من يحمل سنجقاً ينسب اليه ، وهو مدفون في مروان [٢] وراح شهيداً . الخامس : ذو النون المصري شده وأجازه وبعثه الى سلطان مصر المقوقس يدعوه الى الاسلام فجبّه وآمن برسالة محمد ـ ص ـ وكان ذو النون ماهراً في علم الطب وجميع الأطباء والجرائحية تنسب اليه وهو مدفون بمصر . السادس : سهيل الرومي ، شده وأجازه وجميع المشايخ الأحياء (وفي نسخة وسلسلة التخاوي) تنسب اليه وهو مدفون في حوران . السابع حسن البصري [٣] ، شده وأجازه وجميع المشايخ تنسب اليه وهومدفون ببخارى وعاش مائة وسبعين سنه . الثامن : قنبر علي ، شده وأجازه وجميع السياس (أي السُوّاس) تنسب اليه وهو مدفون ببغداد [٥] ومات شهيداً من يد الحجاج ـ عليه من الله ما يستحق ـ

(١) عرفت اليوم بسلمان باك أي سلمان الطاهر ، وللحلاقين عيد يزورون فيه سلمان الفارسي في كل سنة ويفعل فعلهم كثير من أهل اللهو والبطالة والملاهي .

(٢) اسم جبل قيل إنه بأكناف الربذة وقيل حصن « معجم البلدان »

(٣) ذو النون لم يكن من الصحابة ولا من التابعين ، ولكن فتيان ذلك الزمان يعدون من ليس بالحسبان

(٤) الحسن البصري من التابعين ولم يكن من الصحابة ، وتجوز نسبة شد علي له عقلا لا نقلا لأنها لم تثبت تأريخاً

(٥) نسب اليه قبر ببغداد في محلة تنسب اليه تعرف بمحلة قنبر علي ، وهي آخر محلة قراح ابن رزين في أيام العباسيين ، وكان في هذه المحلة تربة بني جهير الكبراء الوزراء ، منها قبر عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير وجماعة من ولده « المنتظم ٩ : ١١٨ ، ١١٩ » وتلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٤٧ » ثم دفن فيها =

وعاش من العمر تسعين سنة . التاسع : كميل بن زياد ، شده وأجازه ، وجميع المصنفين تنسب اليه وراح شهيداً من يد الحجاج لأنه كان يقتل الناس بغير حق وهو مدفون بالكوفة العاشر : عبـــد الله بن عباس ، شده وأجازه وجميع المفسرين تنسب اليه الحادي عشر : المدرجي ، شده وأجازه وجميع البهالوين (جمع البهلوان) والامارة تنسب اليه لأنه كان بهلوان عصره عند الامام علي ، وأعطاه الامارة وعاش مائتي سنة وهو مدفون بالكوفة الثاني عشر : جومرد القصاب ، شده وأجازه وجميع القصابين تنسب اليه وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون ببغداد الثاني عشر : أبو ذرالغفاري ، شده وأجازه ، وجميع البراذعية تنسب اليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في حصن منصور الرابع عشر : أبو الدرداء العامري ، شده وأجازه وأعطاه إجازة بأخذ العهد على الفقراء وكل شيخ وكل فقير ينسب اليه وعاش مائتين وثلاثين سنة وهو مدفون بمعاملة مخه الخامس عشر : أبو عبيدة المرمزي (كذا) ، شده وأجازه وكان رئيساً في الأنصار وكل من كان رئيساً ينسب اليه وعاش مائة وتسعين سنة وهو مدفون في المرمز . الســـادس عشر : أبو النضر عبد الله ، شده وأجازه ، وجميع الحياك

= جهير بن عبد الله بن الحسين بن جهير سنة ستمائة للهجرة « التلخيص المذكور ٤ : ٢٣٠ » وممن دفن فيها سبط ابن جهير أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الموصلي سنة أربع وأربعين وخمسمائة « ابن الدبيثي ، نسخة المجمع ، الورقة ١٥٣ » وابن النجار ، نسخة باريس ٢١ » ومن عجب التاريخ أن فى هذه المقبرة دفن الشاه منصور بن زينل القرەقوينلي سنة « ٨٧٤ » هـ بعد أن طرحت جثته في الميدان فأكلتها الكلاب « التاريخ الغياثي ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ » وذكر هذا القبر صفاء الدين عيسى البندنيجي في مترجمه « جامع الأنوار في مناقب الأخيار ص ٣٧٨ » قال : « ومنهم قنبر علي — ك — قال المؤلف ما ترجمته أنه مولى علي — ك — ومدفنه باتفاق أهل العراق فى بغـداد في الموضع الذي يزار الآن قات وعرف محلة قنبر علي ولكن أكثر الناس على أنه استشهد بقتل الحجاج بن يوسف ودفن في واسط » وذكره الصديقي الدمشقي في رحلته الى بغداد سنة ١١٣٩ هـ قال : « وأتينا صحبة الصديق الأوحد قاصدين تكية رفيع المرقد فلما وصلنا الى زيارة سيدي قنبر خادم ركاب سيدي الأفخر... قرأنا الفاتحة وكنا زرناه غير هذه المرة الناجحة» « الورقة ٥٦ » . وفي مباحث عراقية للمحقق يعقوب سركيس « ١ : ٣٢٤ » أنه ورد في حوادث سنة ١٠٥٧ هـ اسم « ميدان قنبر علي »

(الحوكة) تنسب اليه وعاش سبعاً وثمانين سنة وهو مدفون في اكر (كذا وفي نسخة بالري) السابع عشر : المعجز ، شده وأجازه وجميع القصارين تنسب اليه ، وبعده جلس الامام علي على السجادة وأمر سلمان الفارسي أن يشد الباقي من الصحابة باجازة النبي - ص - وأجازه الامام علي - رضي - والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب [1] ... »

وفي خزانة كتبي نسخة من كتاب الفتوة هذا ، قال مؤلفه فيه بعد ذكره ما يشبه الذي نقلت: « وكان أولهم [2] عمران البربري ، شده وأجازه وجميع الخبازين تنسب اليه وهو مدفون بالري . و (٢) علي بن بنيامين ، شده وأجازه ، وجميع السمانين تنسب اليه وعاش مائة سنة وعشرين سنة وهو مدفون بالقدس . و (٣) أبو عمرو بن عبد الباسط ، شده وأجازه وجميع من يدخل النار ينسب اليه ، وهو مدفون بالري و (٤) سلمان الكوفي ، شده وأجازه وجميع السقائين تنسب اليه وعاش مائة وستين سنة . و (٥) عبد الله المصري ، شده وأجازه ، وجميع الدلالين تنسب اليه وعاش تسعين سنة و (٦) عبد المحسن بن عثمان ، شده وأجازه ، وجميع نواطير نواه الحمام (كذا) تنسب إليه وهو مدفون في بغداد و (٧) سلطان أخي بابا ، شده وأجازه وجميع الدباغين تنسب اليه وعاش مائة وستين سنة وهو مدفون في مدينة مروي (كذا أي مرو) . و (٨) زاهد القطان ، شده وأجازه ، وجميع القطانين تنسب اليه وهو مدفون بالكوفة و (٩) داود بن عبد الرحمن ، شده وأجازه ، وجميع الخياطين تنسب اليه وعاش تسعاً وخمسين سنة ، وهو مدفون بالري ، و (١٠) خليل بن عبد الله ، شده وأجازه وجميع الاقباعية تنسب اليه ، وعاش تسعين سنة وهو مدفون في الجزائر و (١١) عمر بن عامر ، شده وأجازه ، وجميع القرابين [3] ، وهو مدفون بالكوفة و (١٢) أبو سعيد

(١) نسخة باريس ١٣٧٧ من الورقة ١٩

(٢) أي أول من شدهم وفتاهم سلمان الفارسي

(٣) هكذا ورد ويجوز أن يكون « الفرانين » بفتح الفاء وتشديد الراء جمع الفران أي صاحب الفرن ، الذي يخبز فيه ، ويشوي ويطبخ أحياناً ولو ورد « القراء » بالقاف اصطلاحاً لقارىء القرآن ومقرئه لكان « القرائين » جمع « القراء » على أنه تجوز هذه الصيغة قياساً

الوارث ، شده وأجازه وجميع البابدية (كذا) تنسب اليه وعاش مائة وثلاثين سنة و (١٣) عقيل، شده وأجازه وجميع الحفاظ تنسب اليه و (١٤) منصور بن مماذ ، شده وأجازه ، وجميع المصنفين تنسب اليه و (١٥) قاسم الكوفي ، شده وأجازه وجميع الكتبة أصحاب الأقلام تنسب اليه. و(١٦)عبدالله اليتيم ، شده وأجازه،وجميع مجلدي المصاحف تنسب اليه وهومدفون بالكوفة. و (١٧) حسان بن ثابت ، شده وأجازه وجميع الشمارين تنسب اليه وهو مدفون في المدائن (١٨) حمزة بن التميمي ، شده وأجازه وجميع المهارية تنسب اليه وهو مدفون في المدائن و (١٩) أبو زيد الهندي وجميع الحدادين تنسب اليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في المدائن و (٢٠) حبيب بن محي الدين ، شده وأجازه وجميع النخاسين تنسب اليه وعاش مائة سنة وهو مدفون بالري و (٢١) أبو قاسم المبارك ، شده وأجاه وجميع الفلاحين تنسب اليه وعاش مائة وثمانين سنة وهو مدفون في شيراز و (٢٢) النجاتي بن قاسم (كذا) شده وأجازه ، وجميع البياطرة تنسب اليه ، وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون بالهرمز و (٢٣) نصر بن عبد الله ، شده وأجازه وجميع الصباغين تنسب اليه ، وعاش ثمانين سنة وهو مدفون بالكوفة و (٢٤) نصيب بن تصر ، شده وأجازه وجميع الحلوائية تنسب وهو مدفون بالبصرة . و (٢٥) حسام بن عبد الله البصري ، شده وأجازه ، وجميع المطارين تنسب اليه وعاش مائة سنة و (٢٦) عبدالله بن جعفرالطيار شده وأجازه وجميع الخرازين تنسب اليه وهو بالكوفة و (٢٧) عبيد الله بن عبد الله الخزاعي ، شده وأجازه ، وجميع الحمالين تنسب اليه وهو مدفون بالهرمز (٢٨) محمد بن أكبر ، شده وأجازه وجميع البوابجية[1] والسراجية[2] تنسب اليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون بالجزائر و (٢٩) عمار بن ياسر ، شده

(١) ظاهرها أنها جمع « البابوججي » وهو صانع البابوج أي خف المرأة بهيأته المعروفة الى اليوم

(٢) ظاهرها أنها جمع « السرمايجي » أي صانع السرماية وهي المداس ، والسرماية معروفة بمصر والشام اليوم

وأجازه ، وجميع السمرجية (كذا) تنسب اليه وعاش ثمانياً وسبعين سنة وهو مدفون بالكوفة. و (٣٠) أبو النضر بن هاشم ، شده وأجازه ، وجميع السراجين تنسب اليه وعاش ستين سنة وهو مدفون بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ . و (٣١) سيد الهندي، شده وأجازه وجميع السيوفية تنسب اليه وهو مدفون بالكوفة و (٣٢) أبو الفتح عبد الله البصري ، شده وأجازه ، وجميع الاسكافية تنسب اليه و (٣٣) ناصر بن عبد الله المكي ، شده وأجازه وجميع الخيمية تنسب اليه . و (٣٤) نصر بن عبد الله الهندي وأجازه ، وجميع الفراشين تنسب اليه . و (٣٥) حسن الفتى الغازي ، شده وأجازه ، وجميع صناع السلاح تنسب اليه . و (٣٦) عمر بن الحراني ، شده وأجازه وجميع الجاويشية تنسب اليه وهو مدفون بالكوفة . و (٣٧) نصر الله بن سماك ، شده وأجازه وجميع السمّاكين تنسب و (٣٨) أبو قاسم النجار ، شده وأجازه وجميع النجارين تنسب اليه و (٣٩) عبد الله بن حبيب ، شده وأجازه وجميع الخراطين تنسب اليه و (٤٠) قاسم بن نصر ، شده وأجازه وجميع الحجارين تنسب اليه و (٤١) سعيد بن سعد بن أبي وقاص ، شده وأجازه وجميع النشاشيبية تنسب اليه و (٤٢) أبو محرب بن عمران ، شده وأجازه ، وجميع القواسين تنسب اليه و (٤٣) عاصم ابن عبد الله ، شده وأجازه ، وجميع الفتالين تنسب اليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون باليمن . و (٤٤) عمر بن نصير الوتار ، شده وأجازه ، وجميع الوتارين اليه و (٤٥) اللالاني ، شده وأجازه ، وجميع الفواخرة تنسب اليه ، و (٤٦) غياث بن الحراني، شده وأجازه ، وجميع الحراثين والزراعين تنسب اليه و (٤٧) أبو زيد الهندي ، شده وأجازه ، شده وأجازه ، وجميع اليسانسية (كذا) تنسب اليه و (٤٨) محمد بن الكبير الوسطاني شده وأجازه وجميع الطباخين تنسب اليه و (٤٩) ورقة بن العدادي ، شده وأجازه وجميع خياطي العراق تنسب اليه و (٥٠) عون بن عمران ، شده وأجازه . و (٥١) أبو شارب العراقي ، شده وأجازه وجميع رعيان الغنم تنسب اليه . و (٥٢) طيفور المكي ، شده وأجازه ، وجميع الحرفوشية تنسب اليه . و (٥٣) أحمد بن عبد الله ، شده وأجازه ،

وجميع الصابونية تنسب اليه و (٥٤) نصير بن مضيضة ، شده وأجازه وجميع رسامي اللحف تنسب اليه و (٥٥) ناصر الهندي ، شده وأجازه ، وجميع الضويه (كذا) تنسب اليه و (٥٦) الشاذلي ، شده وأجازه وجميع القهوجية تنسب اليه و (٥٧) محمد بن عبد الله ، أجازه وجميع السقائين تنسب اليه وهذه البيارة [1] أصحاب الشد والعهد سبعة عشر ، شدهم الامام علي والتسعة والخمسون [2] شدهم الأخ العزيز سلمان باك الفارسي — رضوان وسلامه عليهم أجمعين — . [3] »

وهذه الجمهرة من أسماء الصحابة المحرّفة والمصحفة وأسماء غيرهم المشوّهة تدل على أن جميع أصحاب الحرف والصناعات دخلوا في الفتوة ، وأن كل صنف انتسب الى أحد الصحابة أو رجل آخر لاصلة بالصحبة النبوية ولكنهم أصحبوه وصحّبوه وعندهم تسقط قيم التواريخ والأزمان والأعمار فلا يستغرب عندهم أن يكون ذو النون المصري الذي هو من أهل القرن الثالث للهجرة معاصراً للمقوقس نائب الروم بمصر في صدر الاسلام وسفيراً اليه من النبي ـ ص ـ . وهكذا أصبحت الفتوة في عصورها الأخيرة أصنافية عامية شعبية ، وقد أدّى تدهورها وتدنيها وانحطاطها الى خروجها عن المكارم والفضائل والشهامة والنبالة التي أسست عليها ، فأصبحت خطراً على المجتمع كالذي صارت اليه في القرن الثاني والثالث وما بعدهما ، والظاهر أنها قُوْوِمَت مقاومة شديدة واُختصَّ بها الأشرار والعيارون والزعارير ، حتى لقد سمي العَيَّار في مصر في العصور الأخيرة « فُتُوّات » باسم الجمع كما قال القدماء « فلان سَفِلة » وكما قال العراقيون المعاصرون لنا « فلان أشقياء » أي شقي

مصطفى جواد

---

(١) جمع « البير » أي الرئيس وشيخ الشيوخ بالفارسية

(٢) المذكورون في الكتاب « ٥٧ » ولعل النسخة ناقصة أولعل الأصل « السبع والخمسون »

(٣) كتاب الفتوة « نسختي الخطية ، الورقة ٣٧ — ٤ » .

حدود جديدة بعد الذرة

هذا بحث في ميادين جديدة في التفكير العلمي وفي وسائل للبحث العلمي انكشفت بعد بحوث الذرة .

يتلقى الكيميائي الناشيء دروسه الأول من قانون بقاء الكتلة Law of Conservation of Mass وترتسم في ذهنه حدود يفكر ويعمل مطمئناً فى نطاقها ، فكل تفاعل كيميائي يبحث فيه وكل عمل صناعي بديره لا يتخطى تلك الحدود ، فهو يجري على قاعدة أن « المادة لا تفنى » سواء أكان الأمر إحراق قطعة من الفحم الحجري وتحولها الى ثاني أكسيد الكاربون أم كان الأمر مسألة من المسائل الستوكيومترية المعقدة

وقد أسفرت بحوث الذرة عن ثبوت فناء المادة بتحولها الى طاقة ، تبعاً لمعادلة وضعت قبل خمسين سنة ، وأثبتت بالقياس العملي قبل بضع سنوات .

كانت عدة الكيميائي مجموعة من العناصر الكيميائية تنتظم فيما يعرف بالجدول الدوري Periodic Table لا وجود لغيرها في هذه الكرة الأرضية ، أو في غيرها في الكون ، أما اليوم فإن عناصر جديدة تستحدث ويزداد عددها يوماً بعد يوم ، فكان عنصر التكنيتيوم (١٩٣٧) ، ثم عنصر الأستاتين (١٩٤٠) ، ثم عنصر الفرنسيوم وعنصر النبتونيوم (١٩٣٩) ، ثم عنصر البلوتونيوم ، ثم عنصر الأميريكيوم (١٩٤٤) ، ثم عنصر الكيوريوم (١٩٤٤) ، ثم عنصر البركيليوم (١٩٤٩) ، ثم عنصر الكاليفورنيوم (١٩٥٠) .

كانت الوحدة الدنيا للمادة الذرة ، فكان الكيميائي إذا وصل الى الذرة في بحثه وفي حسابه وفي التحليل وفي الصناعة انتهى الى حجر الأساس في صرح المركب الكيميائي الذي يبحث فيه فاذا عرف خصائص الذرة الطبيعية والكيميائية ، وعرف وزن الذرة لم يلتفت إلى

(١) محاضرة القيت في دار المجمع فى ٢٠/٥/١٩٥٦ .

ما سواها في السير في عمله

وقد أصبحت الذرة اليوم للكيميائي كما أصبحت للفيزيائي من قبله منظمةً كبيرةً ، تتكون من دقائق أولية ، بلغ عدد أصنافها في مرحلة من مراحل البحث خمس عشرةَ دقيقة ، منها البروتون والألكترون والنيوترون والمزون وهي منظمة كهربائية تدور فيها الالكترونات حول نواة في الوسط وبين النواة والالكترونات مسافات شاسعة بالنسبة الى حجم النواة وحجم الالكترون ، فهي إذن منظمة فارغة فراغاً كبيراً وإذا أخضعت المادة لضغط عظيم يكفي في التغلب على مقاومة الالكترون فانعدمت المسافة بين الالكترون والنواة ، وبين الذرة والذرة وتحولت الكتلة الى مادة نووية فقط ، أضحى حجم سكان الكرة الأرضية بضعة سنتيمترات مكعبة

إن بعض هذه الدقائق الأولية تكوّن نواة الذرة وهي البروتون والنيوترون ، وبعضها وحدات أساسية للكهرباء وللمادة وهي الالكترون والبوزيترون ، وبعضها وسط وهي الميزونات ، وبعضها عديم الكتلة كالفوتون ، وبعضها يفترض وجوده بالدليل النظري حسب .

وهكذا يقف الكيميائي وأمامَهُ حقول أختصاص جديدة ومهام جديدة فهناك :

(١) الكيمياء النووية Nuclear Chemistry وهي تتناول التفاعلات النووية وخواص الأنواع النووية المنتوجة

(٢) الكيمياء الاشعاعية Radiation Chemistry وهي تتناول النتائج الكيميائية لفعل الإشعاع النووي في المواد من معادن ولدائن ومخففات ومبردات وغيرها

(٣) كيمياء المقتفَيات Tracer Chemistry وهي تتناول حقل الدراسات الكيميائية باستخدام المقتفيات ودراسة المقتفيات النقية في حالة التركيز الخفيض .

وهناك كيمياء العناصر الثقيلة وهي خامات في البحوث والصناعات الذرية ، كاليورانيوم والبلوتونيوم والثوريوم والبروتاكتينيوم وغيرها وعلى الكيميائي اليوم أن يكتب المعادلة

النووية التي يتحول بموجبها عنصر الى عنصر آخر ، كما كان يكتب بالأمس المعادلة الكيميائية . غير أن عدته في المعادلة النووية دقائقُ أوليةٌ كالتي أسلفنا يخسرها أو يربحها العنصر فينحل أو يتكون إلى عنصر آخر أقلَ أو أكثرَ منه وزناً ذرياً أو أكثر أو أقل منه عدداً ذرياً . وقد كانت عُدّةُ الكيميائي بالامس مركبات كيميائية يفاعل بعضها بعضاً وينتج مركبات جديدة .

هذه آفاق انكشفت بعد بحوث الذرة ، وألقت على عاتق الكيميائي مهام جديدة ، وفتحت أمامه مجالات جديدة في العمل على أن بحوث الذرة التي أوضحنا آنفاً ما جاءت به من جديد بالنسبة للكيميائي قد جاءت بحدود جديدة في التفكير العلمي بالنسبة للمشتغلين بالعلوم عامة والمتتبعين فيها على وجه أعم ، وهي حدود تخطى عندها التفكيرُ العلمي المنطقَ وقبل بالفرضيات والنظريات العلمية التي لا تستند الى المنطق .

إن الباحث في حقل الظاهرة الطبيعية الأساسية يعمل في ميدان يختلف عن ميادين البحث العلمي المألوفة ، فهو عالم وجب فيه قبول النقائض ويجتاز فيه الباحث حدود الفكر القائم على التجربة البشرية وعلى المفاهيم (Concepts) التي رسمها تلك التجربة وتستمد منها مقاييس التعليل كل ذلك لأن الطبيعة أعمق غوراً ، ولأن ما يبدو نقائضَ لامناص من قبوله .

ولنأخذ مثلاً بسيطاً من موضوع الضوء لقد كانت النظرية السائدة في طبيعة الضوء طوال مئة عام أن الضوء ينتقل في موج غير متقطع ولما جاءت نظرية الكم في أوائل هذا القرن ، ظهرت أدلة علمية اضافة الى ذلك على أن الضوء ينتقل في دقائقَ متقطعة عرفت بالكوم والفوتونات ، وأتضح أن لابد من قبول هذا التناقض لتعليل طبيعة الضوء ثم ظهرت دلائل علمية تشير الى أن دقائق المادة نفسها — المادة التي يتكون منها كل شيء — أن تلك الدقائقَ كدقيقة الألكترون مثلاً لها خصائص موجيّة ، بالرغم من أنها دقائقُ متقطعة ، فظهر التناقض مرة أخرى

لقد تقدم العالم الدانيماركي نيلز بور بمبدأ في قبول النقائض هو مبدأ التتميم Principle of Complimentarity وهذا المبدأ قائم على إقرار أن الفكرة المستمدة من التجربة لا تكفي

لتعليل الظاهرة الطبيعة الأساسية والصور التي يستخدمها الإنسان أداة فى التفكير ، تتكون لديه ، وترتسم من مجالات تجاريبه ، وهي لا عتد الى أكثر من ذلك وفى عالم الظاهرة الطبيعية الأساسية ما هو بعيد عن تلك المجالات ، أو خارج عن نطاقها ، لذا كانت الصور المستمدة من التجارب قاصرة كأداة فى بيان تلك الظواهر وما يبدو متناقضاً ، يبدو كذلك بالنسبة لتفكيرنا ومنطقنا ، إلا أنه فى حقل الظاهرة الطبيعية الأساسية يكون تتميماً لا تناقضاً ، ويكون التعليل الواحد متمماً للآخر لا مناقضاً له

وينتقل التفكير العلمي في هذا الميدان بقبول النقائض وترك المنطق جانباً إلى الرياضيات المعقدة يتخذها أداة للتعليل والتبيان بالرغم من أن تلك الرياضيات لا تنم على أي مفهوم أو بيان مادي فيزيكي متوافق Consistent Physical Account وكان للنظرية النسبية شأن كبير فى ذلك وهكذا ينتهي التفكير العلمي الى حدود يجتازها الى ميادين لم تكن مألوفة من قبل

ومن الحدود الجديدة التي أوصلتنا اليها بحوث الذرة والفنون التي نشأت عليها ما يتناول الوراثة. فالفنون الذرية تتقدم بسرعة ، ويتسع استخدام التفاعل النووي والتفاعل النووي الحراري فى شؤون كثيرة والتفاعلان النووي والنووي الحراري مصحوبان بالاشعاع ومن أهم مشكلات الإشعاع فعله الوراثي

إن الاشعاع المؤين كدقائق ألفا ودقائق بيتا وأشعة كاما وأشعة ايكس والنيوترونات ، تترك جميعها آثاراً متشابهة فى الجحيرات الحية وتفاعلات الجحيرة والمركبات التي تتكون منها وكذلك انتظامُ الجحيرات فى العضو ، تتوقف جميعها على توازن كهربائي دقيق ناشيء من الشحنات الكهربائيـة التي تربط الذرات فى الجُزَيْء والإشعاع اذا أصاب الجسم ، أخل بذلك التوازنِ الكهربائي ، وحوّل الجزيئات الى كسور حاملة شحناتٍ كهربائيـة تعرف بالآيونات ويعرف الاشعاع اذا ترك أثراً كهذا بالإشعاع المؤين واذا عادت الكسور فاتحدت

بعد زوال الإشعاع ، فان اتحادها يكون على غير نظام ، فتصاب الحجيرة بضرر . واذا كانت الحجيرات مما له علاقة بالوراثة ، فان التغير الحاصل فى جيناتها يؤدي الى تغير وراثي

يعتقـــد الـكثيرون أن البحث العلمي قاصر عن تعيين وتحديد النتائج الوراثيـة المحتملة للإشعاع ، ذلك لأن الاثر الوراثي البعيد يتصل بعصور وأحقاب طويلة ، وأن النتيجة الوراثية في الظروف الطبيعية للتطور البيولوجي تبدو على مر تلك العصور والأحقاب .

إن تطور الأحياء يجري الى حد كبير فى طفرات وراثية تهذبها وتبقي على المفيد منها عصور من تنازع البقاء وبقاء الأصلح

والطفرات التي تقع فى الأحوال الطبيعية ومن غير إشعاع ، تقدر بطفرة واحدة فى المليون والطفرة الصالحة تقدر بواحد من المئة من الطفرات . ويعمل الإشعاع ذو الطاقة العالية على زيادة الطرات الوراثية .

على أن الاشعاع ليس بشيء جديد فالأحياء على سطح الكرة الأرضية تعيش تحت رذاذ دائم من الإشعاع الكوني ينزل على الأرض من الشمس والأجرام السماوية والأحياء تتعرض بالاضافة الى ذلك في حالات نادرة لإشعاع من مصادر طبيعية تحتوي على مواد مشعة ان كمية الاشعاع الـكوني تتفاوت تبعاً لعوامل كثيرة ، منها الارتفاع والموقع الجغرافى

ففي سطح البحر يلحق بجسم الإنسان طوال حياته ثلاثة رونجنات من الإشعاع المؤين . وقد قدر مجموع مايتحمله الجسم من الإشعاع على أساس ما يتوافر من معلومات فى الوقت الحاضر - قدر بثلاثة أعشار الرونجن في الأسبوع ، ويساوي ذلك أربعمئة رونجن فى خمس وعشرين سنة .

إن الاشعاع الطبيعي سواء أكان كونياً أم كان من مصادر طبيعية يؤدي الى حدوث بعض طفرات وراثية على أن ارتفاعاً في المستوى الإشعاعي المحيط يقع نتيجة التفاعلات النوويـة والتفاعلات النووية الحرارية يجلب معه احتمال زيادة الطفرة الوراثية ، ولا سيما اذا استمر المستوى مرتفعاً زمناً طويلاً .

إن مدى زيادة الطفرة الوراثية بارتفاع المستوى الإشعاعي للمحيط ومدى ارتفـاع المستوى

الإشعاعي من جراء التفاعلات النووية والحرارية النووية الجاريــة في الوقت الحاضر فى مختلف الميادين أو التي يجري فى المســتقبل فى حقول أستخدام الطاقة النووية فى الصناعــة أو البحوث النووية أو الحروب — أن مدى ارتفاع المستوى الإشعاعي هذا ومدى ارتفاع الطفرة الوراثيــة تلك أمران لا يمكن تعيينهما مما نشر حتى الآن فى هذا الموضوع

كذلك لا يمــكن تقدير الأثر الذي تتركه زيادة الطفرة الوراثية وخاصة في الحيوانات العليــا ومنهــا الانسان فتهذيب تلك الطفرات بعامل تنازع البقاء وبقاء الأصلح لا يمــكن مشاهدته في تجارب على الحيوانات ذوات الأعمار الطويلة

ومن طريف ما أسفرت عنه بحوث الذرة طرائق بسيطة لتثبيت عمر الأرض ولتعيين عمر الموادِ العضوية الميتة . وقد أستخدمت الطريقة الأخيرة فى تعيين عمر اللقى الاثرية اذا أشتملت اللقى على مواد نباتية أو حيوانية أن وجود اليورانيوم الشع والثوريوم الشع يعطينا بعض الأدلة على الأزمنة التي مرت منذ تكون هذين العنصرين ، وربما العناصر كلها ، وتكــون الأرض نفسها

اذا انحلت ذرة من اليورانيوم ذي الوزن الذري (٢٣٨) فإن مراحل الانحـــلال تنتج ثماني دقائق من دقائق ألـفـا فى حوالي مليون سنة ودقائقُ ألـفـا لا تبتعد كثيراً عن المنشأ اذا كانت المادة التي تكونت فيها كثيفةً بل تبقى محتبسةً فيها . وكل دقيقة من دقائق ألـفـا تكتسب ألـكترونين من محيطها بأكســدة أية مادة فيه ، فتتحول الى غاز الهيليوم . واذا كان الصخر الذي يتم فيه هذا التحول مانعاً لتسرب الهيليوم ، وكانت كمية الهيليوم المتكونة صغيرة لقلة اليورانيوم فى الصخر بقى الهيليوم بكامله فى الصخر خلال الأعصر الجيولوجية ، فأمكن تعيين نسبة ما تحول من اليورانيوم منذ تكون الصخر ، وتعيين عمر الأرض من نسبة اليورانيوم الى الهيليوم فى الصخر ولدينا طرق حساسة جداً لتعيين الهيليوم واليورانيوم فى

الصخر وفى الشهب ، يمكن بواسطتها تعيين النسب حتى اذا كانت أقلّ من واحد فى المليون . وقد وجد بالطريقة هذه أن عمر الأرض يزيد قليلاً على ألفي مليون سنة

ويتعين عمر الأرض بطريقة أخرى من نسبة اليورانيوم الى الراديوم جي ، وهو الرصاص (٢٠٦) وأنة الناتج الأخير لانحلال اليورانيوم وهو مما كن (آيزوتوب) ثابت . كذلك يتعين عمر الأرض من نسبة الثوريوم الى الثوريوم دي وهو الرصاص (٢٠٨) وأنه الناتج الأخير لانحلال الثوريوم وهو مما كن (آيزوتوب) ثابت . ومن المفروض أن طريقة الرصاص هــذه تفضل على طريقة الهيليوم التي سبق ذكرها فغاز الهيليوم يتسرب من الصخر ، ولا يتسرب الرصاص على أن الرصاص يتعرض للذوبان وتمكن معرفة ما اذا كان الصخر يحتوي على الرصاص المعتاد غير الرصاصين المما كنين اللذين سبق ذكرهما عن طريق التحليل السبيكتروغرافي الـكتلوي . ومع ذلك فإن تعيين عمر الأرض بهذه الطريقة يعطي نتائج متفاوتة يصل بعضها الى حوالي ثلاثة آلاف مليون سنة

وفى طريقة ثالثـة لتعيين عمر الأرض بحسب نسـبة رصـاص اليورانيوم ، وهو الرصاص (٢٠٦) الى رصاص الا كتينيوم وهو الرصاص (٢٠٧) وهذه الطريقة أبعد عن الخطأ من الطريقتين الأوليين ، وهي أحسن الطرق لتعيين عمر الأرض وقد تبين من أستخدامها فى حالتين إحداها تناولت معدن المونازايت ، والأخرى معدن اليورانينايت ، وعمر كل منها ألـفا مليون سنة إن تحديد عمر الأرض بألفي مليون سنة بالطرق الكيميائية المبينة آنفاً ، يطابق عمرَ الـكون محسوباً بطريقة القيـاس الطيفي للضوء المنبعث من الأجرام السـماوية Red-shift Phenomenon.

لقد استخدم الإشعاع الطفيف المنبعث من الـكاربون في الأجسام النباتية والحيوانية فيتعين عمر اللقى الآثارية إذا اشتملت على موادّ نباتية أو حيوانية . ففى الأجسام الحية كاربون مشع هو كاربون ١٤ تمتصه الأجسام من الهواء . ويحتوي الهواء على نسبة طفيفة ولـكنها ثابتة من هذا

الـكاربون وبالرغم من أن هذا الـكاربون المشع ينحل بنصف حياة قدرها خمسة آلاف وسـمئة سنة ، فان نسبته فى الهواء تبقى ثابتة ، مما يدل على أنه يتولد باستمرار والمرجح أنه يتولد من تأثير الأشـمة الـكونية فى آزوت الهواء إذ يتحول الآزوت ١٤ الى كاربون ١٤ وإذا فقد الجسم النباتي أو الحيواني الحياةَ توقف أمتصاصه للـكاربون المشع ، وانحل ما به منه من غير أن تتجدد كميته وهكذا يمكن تحويل الفرق بين الـكاربون المشع في اللقى الآثارية وبين الـكاربون المشع فى الأجسام الحية المشابهة الى سنين اسـتناداً الى نصف حيـاة الـكاربون المشع ، وبذلك يتعين عمر اللقى الآثارية

نعود الى بحث الوسائل والقوى الجديدة التي أسفرت عنها بحوث الذرة وتطبيقاتها .

كانت الحرارة تقاس بآلاف الدرجات في الشؤون العلمية والفنية ــ فى البحث ، فى التحليل ، فى الصناعة ، وفى مجالات التطبيق الاخرى . وكان أقصى ما تبلغه بضعةَ آلاف درجة وقـد بلغت الآن بضعةَ ملايين درجة ، وأصبحت فى نطاق حرارة الشمس والنجوم أو أعلى منهـا ودرجة الحرارة هى سبب التفاعل فى التفاعلات النووية الحرارية لما تولده من عنف الاصطدام بين النويّ مما يؤدي الى أنضمامها وتزداد الحرارة بأزدياد كفـاية الانفجار الذري وبالأنفجار تحت البحر وقد أستخدمت حرارة أنفجار اليورانيوم والبلوتونيوم فى قنبلة لها لضم الأيدروجين فى القنبلة الايدروجينية والوصول الى مستويات أعلى من الحرارة . وغداً تسـتخدم هـذه المستويات الجديدة من الحرارة لضم الايدروجين والليثيوم والوصول الى مستويات أعلى كثيراً ، فتظهر أحتمالات جديدة

والسرعة بلغت اليوم سرعة الضوء ، فالدقائق الأولية تندفع فى أجهزة خاصة بسـرعة الضوء ، ثم تتخاذل الزيادة في السرعة إذا زيدت القوة الدافعة ، وتبـدأ كتلة الدقيقة بالأزدياد بدلا من سرعها ، ويكون أثر القوة الجديدة زيادةً أكبرَ فأكبر فى الـكتـلة ، وزيادةً أصغرَ فأصغر في السرعة

نرى إذن أن بحوث الدقائق الأساسية للكون Fundamental Particles تسفر عن نتائج بعيدة المدى . ويجتاز التفكير العلمي حدود المنطق والتجربة البشرية الى ميدان الرياضيات المعقدة . والعناصر التي تكون منها الكون يكوّن منها عناصرُ جديدة . والحرارة التي كانت بالأمس لا تتعدى بضعة آلاف من الدرجات تصل اليوم بضعة ملايين ، والسرعة تبلغ اليوم سرعة الضوء ، تندفع بها الدقائق الأولية

هذه البحوث وكذلك الحقائق والنظريات الجديدة فى ميادين العلم الأخرى ، قد وضعت بيد الانسان مقاليد ما كانت بيده من قبل ، وهو اليوم يمسك بزمام قوىً وبوسائل لا تقاس بما سبقها . لا شك أن هذا قيل عند كل مرحلة حاسمة من مراحل التقدم العلمي عندما كشف العلم قوىً ما كانت مسخرة من قبل . على أن الأمر عند هذه المرحلة يتعدى حدود المقارنة المعتادة .

هذه الأرقام الجديدة ، هذه الوسائل والأجهزة الجديدة ، هذه الحدود الجديدة ، وهذا التفكير العلمي الجديد — ما يفعل بها الانسان ؟

شبث نعمان

المدرسة الفيثاغورية

كان القوم الذين نطلقُ عليهم الآن أسم الإغريق أو اليونان مجموعةً كبيرة من القبائل التي يرجع أصلها الى العرق « الهندي — الأوربي » ، وكانوا يرعون مواشيَهم في الجهات الغربية من البحر الأسود على ضفاف نهر الدانوب وفى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد انحدر هؤلاء الرعاة الهمج الى الجنوب ، وأستوطنوا بلاد الإغريق الحالية ، بعد أن تغلبوا على السكان الأصليين ، ويدعون « الايجيين » وفى غضون ما بين سنة ٢٠٠٠ وسنة ٩٠٠ قبل الميلاد لم يكتف الإغريق بتثبيت أقدامهم فى بلاد اليونان ، بل أستولوا أيضاً على شواطيء آسية الصغرى الغربية وعلى جزر بحر إيجة وعلى جزيرة كريت ، وقوضوا الانبراطورية الحيثية ، وأسسوا مدناً ، وبدأوا حضارة لم لم يرَ التاريخ القديم قبلهم مثيلاً لها .

وهكذا نجد في ختام هذه المدة الحافلة بالهجرات والحروب والثورات أن الوضع فى الشرق الأدنى قد تطور وتغير . فقد أختفت انبراطوريتان : الحيثية فى آسية الصغرى والمينوانية فى جزيرة كريت وبحر إيجة ، كما ضعفت قوى مصر وبابل ، وظهر على مسرح التاريخ أقوام جدد كالآشوريين والفينيقيين والعبرانيين والإغريق .

وفى أثناء هذه المدة تمّ الانتقال من الدور البرنزي الى الدور الحديدي فالحيثيون هم أول من اكتشف الحديد وأستعمله ، وكان لهذا الاكتشاف أثره البعيد المدى فى تأريخ الحضارة البشرية . فهو لا يزال حتى اليوم عماد الكثير من الصناعات ، وخاصة صنع « المكاين » . أما أثره في الماضي البعيد ، فلم يقتصر على سير الحروب فقط ، ولكنه ، أدى الى رخص أدوات الإنتاج ، ثم زيادة الانتاج نفسه حتى أصبح في بعض الأماكن يفيض عن حاجات المجتمع ، فنشطت التجارة ، وازدادت الثروات ، وأسهم عدد أكبر من الناس فى الشؤون الاقتصادية

وقضايا المجتمع عامة ، وظهرت طبقـة التجار الى جانب طبقة الإقطـاعيين ، ثم تغلبت عليها بعد كفاح عسير .

وتنعكس صورة هذا التقدم فى أختراعين عظيمين : الأول إحلال الكتابة بالحروف الهجائية السهلة التعلم محل الـكتابة التصويرية القديـمة الصعبة ، ويعود فضل أختراع هـذه الحروف الى الفينيقيين الساميين ، وعنهم انتشرت فى أنحاء العالم الغربي والحروف اللاتينية الحالية ترجع الى أصل ساميّ فنيقي أما الاختراع الثاني ، فهو استعمال المسكوكات النقدية فى التجارة ، ويعزى الى الآشوريين وهم ساميون أيضاً

إن مجاورة البلاد اليونانية للبحر وكثرة خلجانها الصالحة لرسو السفن التي هي أشبه بموانئ طبيعية ، ووجودَ الجزر الـكثيرة المتقاربة فى بحر إيجة : كل ذلك نشط الملاحة ، وأدى الى ظهور مدن تعتمد في حياتها على التجـارة والصناعة ، والى نشوء طبقة واعية من التجار فى كل مدينة من هذه المدن يجمع بينها المصلحة الاقتصادية ، وبنتيجة ذلك تألفت (حكومات المدن) ، أعني أن كلَّ مدينة أصبحت حكومة مستقلة ولم تتمكن هذه المدن أن تتحد لتؤلف دولة واحدة ، بل كانت على العكس من ذلك تشتبك أحياناً فى حروب بعضها مع بعض

وأهم هذه المدن على الشاطئ الآسـيوي كانت (ميليتس) التي أمتدت تجارتها الى جميع شواطئ البحر المتوسـط والى البلاد الواقعة على سواحل البحر الأسود حتى الشمالية منها ، وأستطـاعت أن تؤسس ما لا يقل عن تسعين مدينـةً على شواطئ هذين البحرين ، وأن نفتتح مراكز تجارية ومستعمرات على سواحل مصر الشمالية كما أنها اتصلت براً ببلاد ما بين النهرين ، وبابل منها على الأخص . وهذا الاتصال بمصر من جهة وبالعراق من الجهة الثانية أدى بهم الى اقتباس الشئ الـكثير من حضارتيها العريقتين ، وخاصة الآراء العلمية الرياضية ، إلا أن الفـكر اليوناني لم يقف عند حد الاقتبـاس ، بل تجاوزه الى الإبداع والاختراع ، فأتى بالعجائب والغرائب ، مما لا يزال موضع الدرس وزينة العقل

وينقسم الدور اليوناني من ناحية انجازاته في الرياضيات الى ثلاث مدارس لم تكن متعاصرة ، بل كانت متعاقبة ومتداخلة بعض الشيء : المدرسة الأولى مدرسة فيثاغورس (وهي التي ستكون مدار بحثنا اليوم) المدرســـة الثانية هي مدرسة أفلاطون وأرسطو ، أي المدرسة الآتينية المدرسة الثالثة هي مدرسة الاسكندرية ، وقامت في القسم الإغريقي من مصر ، وأمتد نفوذها الفكري الى صقلية وبحر إيجة وفلسطين

وسنبحث عما تم من تقدم في الرياضيات وما يتعلق بها من آراء علمية في كل من هـــذه المدارس الثلاث على انفراد ، وتمهيـداً لبحث المدرسة الأولى لا نرى بدأً من ذكر ثاليس نظراً لأهميتـه

ثاليس : عاش ثاليس (من ٦٤٠ ق م الى سنة ٥٤٦ ق م) وهو أول يوناني أهتم بالرياضيات بصورة عامة ، وبادماج علم الفلك وعلم الهندسة ونظرية الأعداد بصورة خاصة ويقال إن أباه كان من أصل فينيقي ساميّ ، وإن أمه يونانية وهو من أهل مدينة (ميليتوس) التي سبق ذكرها وكان موقعها جنوبي مـــدينة (إزمير) الحالية وكان في شبابه تاجراً ناجحاً ، وفي كهولته سياسياً لامعاً ورجل دولة حكيماً أما في شيخوخته ، فكان رياضياً وفلكياً وفيلسوفاً لامعَ الفكر واسعَ العقل وقد نجح في جميع الأعمال التي قام بها نجاحاً باهراً وذلك مما يدل على عبقرية متعددة الجوانب

فهو مثلاً عندما أشتغل تاجراً ، أحسّ سلفاً بجودة موسم الزيتون ، فأشترى جميع المعاصر في المدينة بأسعار زهيدة ، وجنى من ذلك أرباحاً طائلة عند حلول الموسم. أما في كونه رجلاً سياسياً ، فهو الذي منع مدينته أن تعقد اتفاقاً كان سيجر عليها الويلات ، وذلك قبل غزوة الفرس لبلاد اليونان التي أنتهت بكارثة على الفرس انفسهم وقد عُد بسبب ذلك أحد (العقلاء السبعة) في زمانه ولما تفرغ للعلم والفلسفة ، قام بسفرات الى مصر والى بابل ، وهناك درس الرياضيات والفلك ، ويقول ريستد مؤلف كتاب التاريخ القديم Ancient Tims إنه تسلّم من البابليين قائمة من الأرصاد الفلكية ، ومن مثل هذه القوائم كان البابليون على علم بان كسوف الشمس

يحدث في فترات دورية وقد تعلم منهم كيف يحسب بواسطة هـذه القوائم موعد الـكسوف القابل . ثم اخبر أهل (مليتوس) أن يتوقعوا كسوفاً للشمس قبل نهاية سنة عيّنها لهم . ولما حدث ما تنبأ به بالفعل ، طار صيته فى الآفاق وروى عن ثاليس هذا أقاصيص كثيرة ، نذكر شيئاً منها للتفكهة وللدلالة على ذكاء الرجل

فالقصة الأولى منقولة عن بلوتارخ : يقال إن سولون ذهب الى مدينة ميليتوس ، ونزل ضيفاً على ثاليس ، وأبدى عجبـه من أن ثاليس لم يتزوج ولم ينجب ولـكن ثاليس راغ عن الجواب ، وبعد بضعة أيام جاء رجل غريب وأوصاه عما يجب أن يفعله فلما حضر الرجل، ادعى أنه غادر أثينا منذ عشرة أيام فقط ولما سأله سولون عما لديه من أخبار ، أجابه الرجل بما لقنه إياه ثاليس من قبل : « لا شيء ، الا وفاة شاب ، خرجت المدينة بأسرها فى موكب جنازته ، لأنه على ما قالوا كان أبن رجل محترم ، بل أعظم المواطنين فضيلة وصلاحاً ، وإن والده قد خرج بسفرة منذ زمن طويل » فأجاب سولون : « ما أتعس هذا الرجل ! ولـكن ما اسمه ؟ فأجابه : « سمعت أسمَه ، ولـكنه لا يحضرني الآن على أن الناس كانوا يلهجون بسمو حكمته وعدالته » . ثم أستُـدرِج سولون ليذكر أسمَ نفسه ، فقال الرجل : « إن الشاب هذا هو أبن صاحب هذا الاسم ، أي سولون ، فكاد سولون يفقد رشده واذ ذاك أخذ ثاليس بيده ، وابتسم له ، وقال : « هذه الأشياء ، يا صولون ، هي التي تمنعني من الزواج والانجاب ، حتى إن رجلاً مثلك موصوفاً بقوة جلده ترنح تحت تأثيرها ، وعلى كل فلا تعبأ بهذا الخبر . فانه مختلق . »

وهو نفسه الفيلسوف الذي وقع فى الحفرة عندما كان ينظر الى السماء ليتعرف ما فيها وقد سخرت منه جاريته الذكية الحسناء وكانت من أهل (تراقيا) بقولها :

« يريد أن يعرف ما في السماء وهو يجهل ما تحت قدميه » فذهب قولها مثلاً .

ويقال إنه كان له بغل يحمله ملحاً ، ويظهر أن البغل كان من الذكاء بحيث أعتاد أن يبرك عند عبوره النهر حتى يذوب قسم كبير من الملح ، فيخف حمله فما كان من ثاليس إلا أن حمله

بالصوف ، فتضاعف حمله عندما برك فى الماء وهكذا عزف عن عادته السيئة ، وتحسنت سيرته

وكان دائماً يردّد القول المأثور : « إعرف نفسك » ولما سئل مرة : « كيف يقضي الإنسان على أحسن وجه وأصلحه ؟ أجاب : بتجنب ما نلوم غيرنا حياته على عمله » وسأله أحدهم عن المكافأة التي يجب أن يتقاضاها عن اكتشاف معين كشفه فى علم الفلك ، قال : « يكفيني مكافأة أنك عندما روي خبر اكتشافي هذا للآخرين لا تدعيه لنفسك ، بل تنسبه إليّ »

إن شهرة ثاليس وخلود أسمه لم يقوما على نجاحه فى التجارة ، ولا على بعد نظره فى السياسة ، بل على إبداعه الفكري فى الرياضيات ولو اقتصرت فعالياته على الأمور التجارية والسياسية فقط ، لأندثر أسمه كما أندثرت المدينة التي أنبتته . ومع أنه لم يصل إلينا شيء من كتاباته ، الفيلسوف الآثيني بروكلس بعد زهاء الف سنة من وفاة ثاليس ، كتب شرحاً لهندسة إقليدس ، بدأه بخلاصة في تاريخ الرياضيات اليونانية إلى عهد إقليدس ، ذكر فيها أن ثاليس رحل إلى مصر ، فدرس فى أوقات فراغه ما يسميه المصريون « قياس الأرض » ، ولم يهتم بذلك لفائدته العملية وحدها ، بل شرع فيه بأسلوب أدى فيما بعد الى جعله علماً استنتاجياً مجرداً مبنياً على أسس منطقية عامة مسلّمة ولكنه احتفظ بمعنى الأسم الأصلي ، وترجمه حرفياً الى اليونانية ، وسماه Geometry ومعنى Geo أرض و Metry قياس أي قياس الأرض . والأستنساخ الهندسي نوع من التعليل المحض ، يبدأ فيه المفكر من قواعد أولية متفق عليها أو متعارفات مسلّمة فيستند إليها ، ثم يتوصل منها بالنقاش والبرهان الى نتيجة ما وهو فى هذه العملية لا يستعمل إلا الحقائق المتفق على كونها قواعد أولية ، أو متعارفات مسلمة صحتها ، أو حقائق ثبت بالبرهان أنها تستند الى تلك القواعد والمتعارفات الأولية . وهذا النوع من التعليل يطلق عليه أيضاً التعليل المستند الى المتعارفات أو البديهيات .

ويعزو بركلس الى ثاليس فضل معرفة القضايا الآتية :

(١) تتشابه زاويتا القاعدة فى المثلث المتساوي الساقين ، ويستدل من استعمال كلمة

« تشابه » أن ثاليس لم ينظر الى الزاوية على أنها كميـة ومقدار ، بل عدها شـكلاً كوّنه مستقيمان

(٢) قطر الدائرة يقسمها إلى جزءين متطابقين

(٣) إذا تقاطع مستقيمان كانت الزوايا المتقابلة بالرأس متشابهة

(٤) يتعين شـكل المثلث بالضبط إذا عرف طول قاعدته والزاويتان فى نهايتها .

ويضيف المؤرخ بلوتارخ فـكرة خامسة وهي معرفته

(٥) شروط تشابه المثلثات القائمة الزاوية

وقد استعمل ثاليس بهذه الفـكرة الأخيرة فى أسـتخراج ارتفـاع أحد الأهرام المصرية . وطريقته فى ذلك أنه أخذ عصاً ذات طول معلوم ، فثبتها بصورة عمودية على الأرض ثم قاس طول الظل الذي ألقته هذه العصا على الأرض ، ثم قاس طول الظل الذي ألقاه الهرم . فاذا كان طول الظل ثماني أقدام فالعصا طولها أربع أقدام ، فالظل الذي طوله سـت مئة قدم ينشأ عن ارتفـاع قدره ثلاث مئة قدم

أما القضية السادسة التي اكتشفها ، أو ينسب إليه اكتشافها ، فهي :

(٦) الزاوية المرسـومة فى نصف دائرة تكون زاويةً قائمة ويقـال إن ثاليس ضحى بثور أبتهاجاً باكتشافه هذا

إن القضايا المارة الذكر سهلة جداً يتعلمها الطالب فى العصر الحاضر فى المراحـل الأولى من الدراسة الثانوية والحقيقة أن أهمية عمل ثاليس لا تقاس بهـــذا العدد الضئيل من النظريات السهلة ، ولـكنها تقوم على افتراض اعتماده على التعليل المنطقي فى إثباتها ، لا على الالهام أو التجربة ، وبذلك وضع الحجر الأساسيّ لعلم الهندسة الحديث الذي لولا هو ما تقدمت الهندسة ولا أصبحت علماً عظيماً من العلوم المجردة وعاملاً مهماً فى العصر الآليّ الحديث .

لقد تطرقنا الى ذكر ثاليس ، لأنه اتجـه الاتجاه العلمي الصحيح ، ولأن الشخص الذي سمينا المدرسة باسمه ، وهو فيثاغورس ، كان فى شبابه تلميذاً لثاليس هذا ، لـكنه بز أستاذه ، أو

في الأقل كان ما تركه من أثر أعظم مما تركه أستاذه ونتقدم الآن الى ذكر فيثاغورس ومدرسته :

فيثاغورس — يقال إنه كان ألمع تلاميذ ثاليس هذا ، وقد اختلف المؤرخون في تأريخي ولادته ووفاته لكنه ولد في أغلب الاحتمالات في حدود عام ٥٨٢ ق. م وتوفي عام ٥٠١ ق.م ويرجح أنه ولد في (جزيرة ساموس) ، وهي قريبة من ميليتوس على البر الأصلي من آسية الصغرى وهو كأستاذه ثاليس يرجع بأصله إلى الفنيقيين الساميين ، على أن بعض المؤرخين لا يؤيد ذلك ، ويروى أنه بعد أن أتم دراسته على ثاليس نصحه أستاذه هذا أنه إذا أراد المزيد من نور العلم فليرحل إلى مصر لكن فيثاغورس لم يكتف بالسفر الى مصر ، بل رحل إلى بابل أيضاً وإلى الهند والصين على ما يقال

والحقيقة أن العصر الذي عاش فيه فيثاغورس كان مملوءاً بفعاليات عظيمة تتمخض عن تطور جديد في حياة البشرية ذلك أن بوذا في الهند كان ينشر تعاليمه ، وكان كنفوشيوس في الصين يضع أسس فلسفته الاجتماعية والدينية . أما في ايران فكانت قد انتشرت تعاليم زورو آستر (زرادشت) منذ أمد قصير أضف الى ذلك أن ورق البردي ، الذي كان يستعمل في مصر للكتابة عليه ، قد أدخل الى بلاد اليونان في حدود سنة ٥٦٠ ق م ويقول العلامة دافيد يوجين سميث المؤرخ الرياضي المشهور : « إن اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر لم يعمل — على وجه التأكيد — على إحداث ثورة فكرية أكثر مما عمل إدخال ورق البردي في بلدان شواطيء البحر المتوسط الشمالية قبيل ظهور ثاليس »

لا توجد معلومات موثوق بها عن رحلات فيثاغورس الى الشرق ولكن طبيعة فلسفته تشير الى اتصاله بالشرق ، واقتباسه الكثير من الآراء والمعلومات من منابعها الأصلية هناك ، فمن جملة ذلك أنه جعل للأعداد قيماً روحية كما أنها ترمز في الوقت ذاته الى أمور كونية . والحقيقة أن فلسفة فيثاغورس كانت أقرب الى فلسفة هؤلاء منها الى فلسفة الإغريق التي ولد في أحضانها

يقول أور أستاذ شرف للرياضيات في جامعة بيل في كتابه « نظرية العدد وتاريخها » :
« إن الاكتشافات الحديثة في الرياضيات البابلية ألقت ضوءاً على تاريخ العلم الإغريقي القديم ، وإن نمو المعلومات الرياضية عند الإغريق قبل أقليدس كان على الدوام محوطاً بشيء من الغموض ، وكان من العسير فهم سر هـــذا التقدم السريع في المراحل الأولية التي يمثلها ثاليس الميليتي والفيثاغوريون الى النظام البديع الذي تم الوصول اليه في زمن أقليـدس ، بل ربما كان قبله . ولا مناص لنا من الإقرار بأن الإغريق اقتبسوا حقائق وطرائق رياضية عن الكنوز البابلية أكثر مما كان يتصور لحد الآن »

أما النظرية المسماة باسمه ، أي نظرية فيثاغورس ، فقـــد كانت معروفة لدى البابليين قبل فيثاغورس بما لا يقل عن ألف عام ففي طبعة جـــديدة للنصوص المسمارية من قبل نيگباور وساكس عام ١٩٤٥ ورد وصف للوحة طين في مكتبة پلمپتون في جامعة كولمبيا جديرة بأن تكون من أعظم السجلات الفاصلة في تاريخ الرياضيات ، إذ إنها تتضمن جدولاً يحتوي على أضلاع مثلثات قائمة الزوايا ، يصل طول أضلاعها الى أعداد كبيرة جداً . فالمثلث الذي أضلاعه مثلاً : ١٢٧٠٩ و ١٣٥٠٠ و ١٨٥٤١ ، هو مثلث قائم الزاوية ومعنى ذلك أنهم لم يكونوا على علم بنظرية فيثاغورس حسب ، بل كانوا قد اكتشفوا القانون الذي يتم بموجبه استخراج أي مثلث قائم الزاوية إطلاقاً ، ولا سيما تلك التي لا يوجد بين أضلاعها أي قاسم مشترك ولكن العقلية الدينية المحوطة بالأسرار في ذلك العهد ، ورغبة الكهان في احتكار العلم لأنفسهم واستغلاله لمصلحتهم ، ربما كانت السبب في عـدم انتشارهـا ، كما أن الكتابة على الأحجار يصعب نقلها وتداولها ، بخلاف الكتابة على ورق البردي ، وربما كان هذا سبباً آخر

وقد جاء في رواية عن أيا مبليكوس في كتابه (دي بثيا گوريكا) أن فيثاغورس درس الهندسة والفلك في مصر منذ كان في الثانية والعشرين من عمره حتى بلغ الرابعة والأربعين ، ثم أسره البابليون فدرس في بابل اثنتي عشرة ســـنة أخرى ، فوصل الى أسمى المراتب في علم الحساب والموسيقى وفي فروع المعرفة الأخرى

ولما عاد بعد ذلك من تجواله الى وطنه الغرب ، لم يُقم في مسقط رأسه جزيرة ساموس ، لأسباب سياسية ، بل أسس مدرسته فى مدينة (كروتونا) وهي ميناء غني يقع فى الجنوب الشرقي من إيطاليه فى المنطقة التي كان يطلق عليها إذ ذاك اسم (اليونان العظمى Magna Graecia) . وهناك تعرّف إلى أبناء الأثرياء وأصحاب النفوذ ، واستطاع بدهائه وقوة شخصيته وتظاهره بمعرفة الغيب وأسرار الطبيعة وبزهده وتقشفه أن يجمع حوله منهم زهاء ثلاثمئة شاب ، وأسس أخوه أول جمعية سرية ، صارت فيما بعد مثالاً للجمعيات السرية التي قامت فى أوربة وأمريكة . وكان أفراد هذه الجمعية على مرتبتين : الأولى الحلقة الداخلية ، ويتمتع أفرادها بالعضوية الكاملة ، وتتألف من الرياضيين والثانية الحلقة الخارجية وتتألف من المستمعين ، ويكون أعضاؤها تحت التجربة ، ولا يعرفون جميع الأسرار التي يعرفها أعضاء المرتبة الأولى ، بل يعرفون بعضها ومن يجتاز منهم دور التجربة بنجاح ، ينقل الى المرتبة الأولى . وكان شعارهم النجم ذو الأرؤس الخمسة ، وهم يعدون المال والمعرفة والفلسفة ملكاً مشاعاً بينهم ، وقد قيدوا أنفسهم بالتزامات أدبية تنظم حياتهم وكانوا يمارسون بالفعل ما يعظون به : من ضبط النفس ، والاعتدال ، والعفة ، ونقاء الضمير ، والتقشف فى العيش ، وتجنب أكل لحم الحيوان ، لأنه قريب من الانسان وكانوا يؤملون بهذه الوسيلة أن يطهروا النفس من أدران الحياة الفانية ، ويهيؤوها للحياة بعد الموت فقد كانوا يعدّون الجسم سجناً وقتياً للنفس . وقد كان فيثاغورس يبشر بخلود الروح وبتناسخ الأرواح ، فكان يقول : « عندما نعيش تكون أرواحنا ميتة ومدفونة فى أجسامنا ، وحين نموت تنتعش أرواحنا وتحيا » ويتضح من هذه الآراء مدى أتصاله بالهند ، أو على الأقل بالعقلية أو الفلسفة الهندية

وكانت مهمة الفيثاغوريين فى أول أمرهم الحصول على المعرفة فاذا توصل أحدهم الى حقائق جديدة ، تصبح ملكا مشاعاً للجميع ، ولا يجوزون إفشاءها لغيرهم ومن يخالف ذلك يكن الموت جزاءه ويقال إنهم أغرقوا أثنين من اتباعهم ، لأن أحدهما تباهى بأنه اكتشف الجسم المنتظم ذا الأثني عشر وجهاً ، والثاني لأنه أذاع أن ٢ √ كمية لا نسبية ، أي لا يمكن التعبير

عنها كنسبة بين عددين صحيحين بتاتاً . ولذلك أصبح من المتعذر نسبة الاكتشافات العلمية الى أصحابها الحقيقيين بخاصة أنهم جميعاً كانوا ينسبون اكتشافاتهم الى زعيمهم فيثاغورس وفي أثناء بحثهم عن القوانين الكونية العامة لعناصر الطبيعة والمجتمع ، درسوا ما يسمونه المجموعة الرباعية . وتتألف من نظرية الأعداد والهندسة والفلك والموسيقى

ويلوح لنا أن فيثاغورس كان يطمح الى زعامة سياسية عن طريق العلم والفضيلة فان سبب هجرته من جزيرة ساموس كان لأسباب سياسية كما ذكرنا ، كما كان هو وجمعيته فيما بعد يستهدفون ، فيما عدا الغايات العلميـة ، إصلاح المجتمع وتطهيره بايداع الحـكم عند أفضـل الرجال خلقاً وعلماً وكفاية ، أي بتأسيس حكومة يسيطر عليها أعظم رجال الفكر وأصلحهم . ولـكن هذه الآراء لم ترق من بيدهم مقاليد الأمور فى (كروتونا) ، فأثاروا عليهم الغوغاء عدة مرات ، وفي سنة ٥٠١ ق. م قتلوا كثيرين منهم ، وأحرقوا بيوتهم ، فهرب فيثاغورس مؤسس الأخوّة أي الجمعية إلى مدينة (تارنتم) فى جنوب إيطالية أيضاً ، وهناك مات في منفاه فى السنة نفسها

أما اتباعه فاحتفظوا بتعاليمه ، لـكنهم خففوا قليلاً من غلواء بعض مبادئه

نتكلم الآن على أهم ما أنجزه الفيثاغوريون في العلوم الرياضية ، ونبدأ أولاً بالحساب :

كان الفيثاغوريون يعتقدون أن فى العدد مفتاح أسرار الـكون ، أو أنّ الـكون مؤلف من أعداد ، أي إن فى كل شيء عدداً ويحتمل أن ما دفعهم الى مثل هذا التفكير هو اكتشافهم أن توافق الألحان فى الموسيقى ينجم عن مراعاة نسب عددية خاصة فى أطوال الأوتار ، وأن لـكل برج سماوي شكلاً خاصاً وعدداً معيناً من النجوم وقد سجل أرسطو آراء الفيثاغوريين فالعدد واحد نقطة ، والعدد ٢ خط ، والعدد ٣ سطح ، والعدد ٤ فراغ أو حجم وهذا سهل واضح ، الا أنهم من جهة أخرى ، شخصوا بعض الصفات الانسانية بالأعداد ، فالعدد واحد يمثل العقـل أو العـلة ، وهو أصل الأعداد جميعاً ، والعدد ٢ يمثل الرأي أو الفـكرة لأنها غير معينة ولا حدود لها كما يمثل الأنوثة ، أما العدد ٣ فيمثل الذكورة لأنه لايقبل القسمة أو الانقسام ، أما العدد ٤ فيمثل العدل لأنه أول مربع كامل ناشيء عن ضرب عددين متساويين أي متعادلين أو متوازيين

تماماً ، والعدد ٥ يمثل الزواج لأنه ينتج عن جمع أول عدد أنثى ، أي ٢، مع أول عدد ذكر، أي ٣ ، أما العدد ٧ فيمثل العذرة أي البكارة إذ لاعوامل لها وكان عندهم الأضداد العشرة يقرنونها بالأعداد الزوجية والفردية ، مثل المنتهي واللانهائي ، الواحد والكثير ، اليمين واليسار .. الخ

وكانوا يقدسون العدد ٤ خاصة ، لأنه كان في رأيهم يمثل عناصر الطبيعة الأربعة : الماء ، والهواء ، والنار ، والأرض ، إذ كانوا يعتقدون أن جميع المخلوقات تعود بأصول تكويبها الى هذه العناصر الأربعة مضافاً إلى ذلك أن ١ + ٢ + ٣ + ٤ = ١٠ ولذلك كانت صلاتهم للعدد ٤ على الصيغة التالية :

« باركنا أيها العدد السماوي ، أنت الذي تنتج الآلهة والناس! أيها القدوس الرابوع الطاهر أنت الذي وسمت أصل الخليقة المتدفقة أبداً ، وملكت ينبوعها » لأن العدد السماوي يبدأ بالوحدة النقية العميقة حتى يصل الى الأربعة المقدسة ، فتنجب أم الكل الشاملة للكل المحيطة بالكل الولد البكر التي لا تحيد ابداً العشرة المقدسة التي لا تكل وبيدها مقاليد كل شيء !

وكانوا يصنفون الأعداد بطرائق شتى ، نذكرها لطرافتها :

١ — الأعداد المتحابة : سئل فيثاغورس مرة : « من الصديق ؟ فأجاب « هو الشخص الذي هو أنا الآخر مثل ٢٢٠ و ٢٨٤ » ويقصد بذلك أن قواسم العدد ٢٢٠ ، وهي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠ ، يبلغ مجموعها ٢٨٤ ، وأن قواسم العدد ٢٨٤ ، وهي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢ ، يبلغ مجموعها ٢٢٠ وكان الفيثاغوريون يقولون عن هذه الأعداد إنها متحابة والحقيقة أن إيجاد مثل هذه الازواج من الأعداد ليس سهلاً ، فان ديكارت وفان شوتي ، اكتشفا ثلاثة منها أما أويلر، فقد اكتشف ما لايقل عن ٦١ زوجاً وما اكتشف منها حتى الآن يبلغ ٣٩٠ زوجاً ولا يعرف حتى الآن هل عدد هذه الأعداد لانهائي أو منته . وكان من الناس من يتفاءلون بهذه الأعداد ، فيروى عن أحد الأمراء في القرون الوسطى ، وكان مجموع حروف أسمه بموجب الحساب الأبجدي يبلغ ٢٨٤ حرفاً ، أنه كان يبحث

عن زوج يبلغ مجموع أسمها بالحساب نفسه العدد ٢٢٠ ، لاعتقاده أن فى ذلك ضماناً سماوياً لزواج سعيد

٢ — الأعداد الكاملة : والعدد الكامل هو العدد الذي اذا جمعت قواسمه وفى ضمنها الواحد ، كان المجموع مساوياً للعدد نفسه مثل الأول ٦ = ١ + ٢ + ٣

أو الثاني ٢٨ = ١ + ٢ + ٤ + ٧ + ١٤

ولم يُكتشف من هذه الأعداد حتى الآن إلا اثنا عشر عدداً فى ضمنها العددان المذكوران آنفاً .

الثالث ٤٩٦ = ١ + ٢ + ٤ + ٨ + ١٦ + ٣١ + ٦٢ + ١٢٤ + ٢٤٨

الرابع ٨١٢٨

الخامس $٢^{١٢}(٢^{١٣} - ١) = ٣٣٥٥٠٣٣٦$

السادس $٢^{١٦}(٢^{١٧} - ١) = ٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦$

السابع $٢^{١٨}(٢^{١٩} - ١) = ١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨$

الثامن $٢^{٣٠}(٢^{٣١} - ١) = ٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨$

التاسع $٢^{٦٠}(٢^{٦١} - ١) =$ عدداً مؤلفاً من ٣٧ رقماً

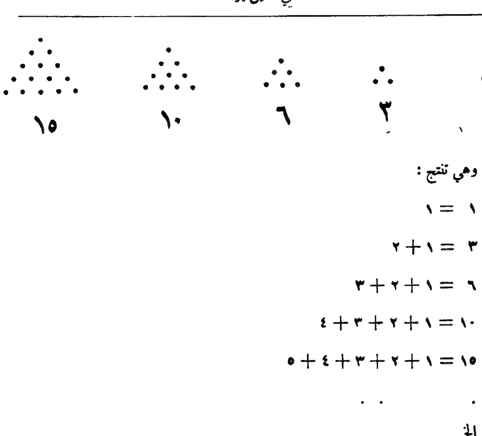
العاشر $٢^{٨٨}(٢^{٨٩} - ١) =$ « « « ٥٤ «

الحادي عشر $٢^{١٠٦}(٢^{١٠٧} - ١) =$ « « « ٦٥ «

الثاني عشر $٢^{١٢٦}(٢^{١٢٧} - ١) =$ « « « ٧٧ «

والأعداد الكاملة من العدد السادس فما فوق ، أُكتشفت منذ القرن الخامس عشر الميلادي حتى الآن

٣ — الاعداد المنضدة أو المضلعة : درس الفيثاغوريون الأعداد بتشكيلات من النقط تنضد على وفق أشكال هندسية ، فقالوا الأعداد المثلثية عن الأعداد :



١ ٣ ٦ ١٠ ١٥

وهي تنتج :

١ = ١

٣ = ١ + ٢

٦ = ١ + ٢ + ٣

١٠ = ١ + ٢ + ٣ + ٤

١٥ = ١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥

. . .

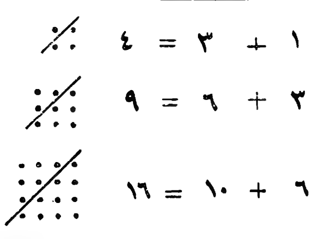
الخ

فكل من هذه الأعداد إذا مثلناه بنقط ، سيملأ مثلثاً متســـاوي الأضلاع إذا وضعت النقط على أبعاد متساوية .

كذلك توجد الأعداد المربعة . وهي التي إذا مثلناها بنقط ، تملأ مربعاً مثل :

١ ٤ ٩ ١٦ .. الخ

ولقد اكتشفوا بعض الخواص السهلة لهذه الأعداد ، أهمها أنك إذا جمعت عددين مثلثين متتابعين تحصل على عدد مربع كما



لقد قسم اليونانيون الحساب إلى نوعين : الأول ، ويسمونه Logistic ، هو الحساب العملي ، ويستعمل فى المعاملات اليومية كالبيع والشراء والقياس والربح والخسارة ... الخ والثاني ، ويسمونه Arithmatic ، أي الحساب النظري ، وهو فى الواقع نظرية الأعداد ومن الجلي أن الفيثاغوريين محوا بالحساب نحواً نظرياً ، أي أنهم لم يقفوا فيه عند حدود فوائده العملية ، بل نظروا فيه كعلم مجرد وهذا أمر لا يخفى أهميته

أما ما أنجزه الفيثاغوريون في علم الهندسة ، فلا يقل أهمية عما أنجزوه فى علم الحساب وسنذكر أهم ما توصلوا إليه فى علم الهندسة

١ — إنهم كانوا يعرفون خواص المستقيمات المتوازية ، فاعتمدوا عليها فى إثبات أن مجموع زوايا أي مثلث كان يساوي زاويتين قائمتين ، واستنتجوا النظريات المعروفة عن مجموع (١) الزوايا الداخلية و (٢) الزوايا الخارجية لأي مضلع كان

٢ — اخترعوا طرائق لتحويل مضلعات معلومة ، أو مجموع مساحات مثل هذه المضلعات ، أو الفرق بينها إلى مضلعات تكافؤها فى المساحة وتختلف عنها فى الشكل ، مثل كيفية رسم متوازي أضلاع وعلم منه طول قاعدته وإحدى زواياه بحيث يكافى مثلثاً أو مضلعاً معلوماً ، أو رسم مثلث يكافىء مضلعاً معلوماً

٣ — نظرية فيثاغورس المشهورة ، وهي أن المربع المنشأ على الوتر فى المثلث القائم الزاوية

يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين القائمين ، ويقال إنه حين أنجز إثبات صحة هـذه النظرية ضحّى بمئة ثور إكراماً للآلهة واعترافاً بجميلها عليه

ولقد بينا سابقاً أن هذه النظرية كانت معروفة لدى البابليين قبل الفيثاغوريين بألف عام ومع أنه لم يتبين حتى الآن أكان البابليون قد أثبتوا صحة هذه النظرية أم لا ، فمن الصعب أن نقول إنهم كانوا يجهلون برهانها ، بخاصة أن البحوث الآثارية والتنقيبات لما تنته بعد . أضف إلى ذلك أن الطريقة التي برهن بها الفيثاغوريون على هذه النظرية ليست معروفة على وجه التأكيد ، فقد جمع هوفن ٣٠ ثلاثين برهاناً مختلفاً لها

٤ — عملوا على توسيع نظرية التناسب ، لكنهم لم يستخدموهـا إلا في الكميات النسبية فقط ، وكانوا على علم بخواص الأشكال المتشابهة ويعزو بلوتارخ الى فيثـاغورس نفسـه حل مسألة تتعلق بكيفية رسم مضلع يشابه مضلعاً معلوماً ويكافيء مضلعاً آخر وحل مثل هذه المسألة ، يتطلب معرفة أن مساحات المضلعات المتشابهة تتناسب مع مربعات أضلاعها المتناظرة

٥ — عرفوا الأشكال المجسمة المنتظمة الخمسة وكانوا يعتقدون أن العالم مكون من خمسـة عناصر تتناظر مع الأشكال المجسمة المنتظمة الخمسة فالأرض نشأت عن المكعب ، والنار عن الهرم الثلاثي المنتظم (أي ذي الأربعة الأوجه المنتظم) ، والهواء عن ذي الثمانية الأوجه المنتظم ، والماء عن ذي العشرين وجهاً المنتظم ، والكرة الكونية عن ذي الأثني عشر وجهاً المنتظم .

٦ — اكتشفوا كيفية رسم المخمس المنتظم . وكان شعارهم كما أسلفنا النجم المنتظم ذا الخمسة الأرؤس ، ورسم هذا الشكل يعتمد على ما يسمى القسمة الذهبية ، ، وهي تقسيم خط قسمةً ذات وسط وطرفين

٧ — اكتشفوا الأعداد اللا قياسية ، أو على الأقل واحـــداً منها هو $\sqrt{2}$: وهذه الأعداد تسمى أيضاً الأعداد اللا نسبية ، وهي التي لا يمكن استخراج قيمها بالضبط ، ولا يمكن أن تمثل بكسر اعتيادي ، أو بنسبة بين عددين صحيحين ، أو بكسر عشري منته

فالمثلث القائم الزاوية إذا تساوى ضلعاه القائمان ، لا يمكن قياس طول وتره بدلالة الضلع قياساً

مضبوطاً كما أن √٢ لا يمكن استخراج قيمها ، بدلالة النسبة بين عددين صحيحين ، فهي تساوي ١ر٤١٤٢٠٠٠٠ الى ما لا نهاية له من الأرقام العشرية ثم إن القسمة الذهبية التي أشرنا إليها تؤدي أيضاً الى عدد لا نسبي آخر ، هو √٥

ولما كانت فلسفة الفيثاغوريين تقوم على اعتبار أن الأعداد الصحيحة هي الأصل المتحكم في الطبيعة ، وأنه في الوسع التعبير عن كل الأشياء بهذه الأعداد فقط ، فقد كتموا الأعداد اللا قياسية ويقال إنهم أغرقوا أحد أعضاء جمعيتهم ، لأنه أذاع أن √٢ لا يمكن أن يعبر عنه بأعداد صحيحة ولكن الحقيقة لم تلبث أن ظهرت إذ لا يمكن أن تبقى خافية إلى الأبد ؟

محيي الدين يوسف

وقعة نهر دجيل واحتلال المغول لمدينة بغداد

كانت المنطقة الغربية من بغداد الممتدة على الجانب الغربي من نهر دجلة تروى من مياه جدول كان يعرف باسم نهر دجيل ونهر دجيل هذا كان يتفرع من الجانب الغربي لنهر دجلة فى نقطة تقع شمال بلد الحالية بقليل فيسير موازياً لنهر دجلة حتى ينتهي إلى بغداد الغربية فيفنى هناك ، وكان القسم الذي يصل إلى منطقة بغداد يعرف باسم نهر بطاطيا وكان هذا النهر من أهم الأنهر الرئيسة التي كانت تمد مدينة بغداد الغربية بالمياه السيحية ، فكان بعد أن يخترق « طسوج مسكن » ماراً بمدينة « مسكن » ينتهي الى « طسوج قطربل » ومنه إلى « محلة الحربية » فى شمال مدينة بغداد الغربي ويصف لنا ابن سرابيون المتوفى فى حدود أواخر القرن الثالث الهجري جدول بطاطيا وفروعه المنتهية الى مدينة بغداد ، قال ما هذا نصه : « ومن أنهار الحربية نهر يحمل من دجيل يقال له نهر بطاطيا أو له من أسفل فوهة دجيل بستة فراسخ ، يمر فيسقى ضياعاً وقرى ويمر فى وسط مسكن ، ويصب فى الضياع ويفنى فيها . ويحمل منه نهر أسفل جسر بطاطيا بشيء يسير يجيء نحو مدينة السلام فيمر على عبارة مدرج قنطرة باب الأنبار ثم يدخل بغداد من هناك فيمر في شارع باب الأنبار ويمر فى شارع الكبش ويفنى هناك »

وقد قام نهر دجيل هذا بدور خطير فى تقرير مصير معركة ٩—١٠ من المحرم من سنة ٦٥٦ هـ بين جيش هولاكو الغربي وجيش الخليفة المستعصم ، وهي جزء من المعركة الحاسمة التي غيّرت مجرى تاريخ الخلافة العباسية ، وأدت الى استيلاء المغول على بغداد وخلاصة الحادثة ، كما رواها مؤلف الحوادث والوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني هي أن هولاكو لما قرر غزو العاصمة العباسية أرسل قسماً من جيوشه الى أربيل على أن يعبروا نهر دجلة فى الموصل ويسيروا

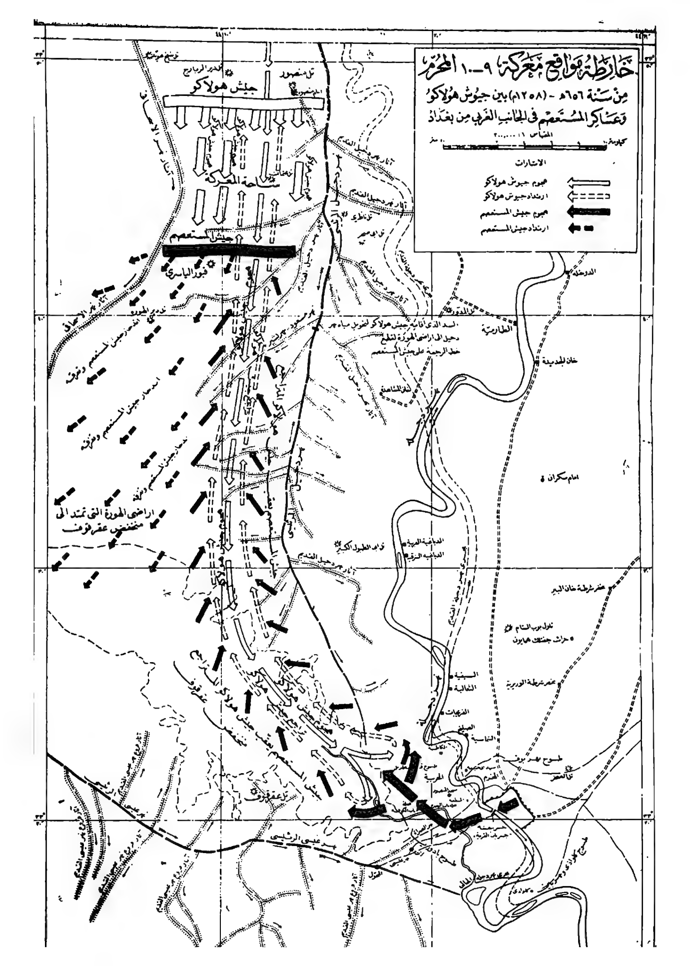
بمحاذاة ضفته الغربية حتى يصلوا إلى جهة بغداد الغربية[1] . وقد اتجه هذا الجيش بعد عبوره نهر دجلة في الموصل نحو نهر دجيل فاخترق الجيش المنطقة الواقعة غربيه حتى وصل الى نهر عيسى الواقع فى ذنائب نهر الصقلاوية الحالي ، فعسكر هناك ومن ثم وصل إلى محلة الحربية من شمال غربي بغداد (شمال غربي الكاظمية الحالية) في نقطة تقع على بعد فرسخ واحد من قنطرة باب البصرة ، وهي القنطرة التي كانت تقع في جوار موضع الجعيفر الحالية وما إن تقدمت جيوش الخليفة لمقاتلة المغول حتى تظاهر المغول بالانكسار على وفق خطة مرسومة فتراجعوا إلى الشمال في الأراضي السهلة الواقعة غربي نهر دجيل فتبعهم جيش الخليفة مدفوعاً بحرارة الانتصار الموهوم دون أن يلتفت إلى جناحه الأيمن الممتد حيال نهر دجيل شرقاً[2] وهكذا استمر جيش المغول على التراجع وجيش الخليفة يتقدم الى الشمال وراءه ، وكلاهما يسير في أراضٍ سهلة خالية من العوارض الطبيعية التي يمكن أن يحتمي بها جيش الخليفة في حالة كرّ المغول عليهم ، فأدركهما الليل فعسكر جيش الخليفة في موضع يقع في شمال النهر المسمَّى « نهر بشير » من فروع نهر دجيل على بعد تسعة فراسخ من بغداد شمالاً وقد وَصَفَ مؤلف الحوادث « نهر بشير » بقوله إنه « بيز دجيل » [3] ووصف الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني في كتابه « جامع التواريخ » الموضع الذي عسكر فيه جيش الخليفة بقوله إنه « حيال الأنبار قرب قلعة المنصور تحت المزرفة على بعد تسعة فراسخ من بغداد »

---

(١) نقلنا ما ذكره رشيد الدين فيما يختص بالموضع الذي عبر فيه الجيش المغولي نهر دجلة ، الا ان ابن الطقطقى خالفه في ذلك فقال ان عسكر هولاكو المتوجه الى غربي دجلة عبر نهر دجلة من تكريت وهو الامر المعقول وقد أيدت التواريخ العراقية هذا الاتجاه للجيش الغربي (راجع كتابه « الفخري » طبعة غريفزولد سنة ١٨٥٨ ص ٣٨٦)

(٢) يستدل مما رواه مؤلف الحوادث عن هذه الواقعة ان الامير فتح الدين بن كر الذي كان يرافق الحملة قد أشار على قائد الجيوش ، وهو الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك ، بان يثبت مكانه ولا يتبع المغول فلم يصغ الى اشارته والظاهر أنه انضم الى المغول بعد ان رفضت نصيحته

(٣) ذكر رشيد الدين الهمذاني هذه المنطقة فسماها « البشيرية » من نواحي دجيل


خارطة مواقع معركة ٩ـ١٠ المحرم
من سنة ٦٥٦هـ - (١٢٥٨م) بين جيوش هولاكو
وعساكر المستعصم في الجانب الغربي من بغداد
الاشارات
هجوم جيوش هولاكو
ارتداد جيوش هولاكو
هجوم جيش المستعصم
ارتداد جيش المستعصم
جيش هولاكو
ساحة المعركة
جيش المستعصم
قبور الياسري
الطارمية
الدوخلة
امام سكران
اراضي الهورة التي تمتد الى منخفض عقرقوف
تل عقرقوف
نهر عيسى الرشيدي

ولقد تحرينا كثيراً في هذه المنطقة علنا نعثر على نهر قديم باسم « نهر بشير » في بزايز نهر دجيل ، ولـكننا لم نجد لهذا الاسم أثراً ، ونميل الى اعتقاد أن النهر العتيق المتشعب من الضفة اليمنى لنهر دجيل بالقرب من التلول المعروفة اليوم باسم « تلول الناظري » الذي في الاراضي الواقعة بين النهرين ، دجلة والفرات ، متجهاً نحو بزايز نهر الصقلاويـة الحالي ، هو من آثار « نهر بشير » الذي ذكره مؤلف الحوادث ، ويسير هذا النهر بموازاة النهر العتيق المعروف اليوم باسم « نهر مسعود » من الناحيـــة الشمالية متجهاً نحو الأراضي المنخفضة المعروفة اليوم باسم « أراضي الهورة » في جوار النهرين الـكصاوي والعيساوية من فروع ذنائب نهر الصقلاوية الحالي . ويقع الموضع الذي عسكر فيه جيش الخليفة ، الذي وصفه رشيدالدين بأنه « حيال الأنبار قرب قلعـة المنصور على تسعة فراسخ من بغداد » في جوار التلول المعروفة اليوم باسم « قبور اليامري » وهي التلول الواقعة وسط أراضي الجزيرة الممتدة بين النهرين ، دجلة والفرات ، على مسافة نحو من أربعين كيلو متراً من شمال مدينة بغداد (راجع الخارطة المدرجة مع هذا البحث ، التي تبين مواقع المعركة بين جيش هولاكو وعساكر المستعصم في غربي بغداد) ويتفق هذا الموضع مع وصف رشيد الدين الهمذاني حيث يقع حيال الأنبار ، كما أنه يقع بالقرب من التل المسمّى اليوم « تل المنصور » وهو حقيق بأن يكون موضع « قلعة المنصور » التي ذكرهـا رشيد الدين ، ويقع هذا التل بالقرب من موضع « الامام منصور » الحالي على مسافة نحو من أربعة كيلو مترات من جنوب غربي قرية الدجيل الحالية (سميكة) وعلى بعد زهاء اثني عشر كيلو متراً من شمال شرقي « قبور اليامري »

ويظهر أن قواد الجيش العباسي باتوا ليلتهم تلك في هـــذا الموضع ثملين بنشوة الانتصار الموهوم إذ لم يحسبوا حساباً لما كان يبيته لهم المغول من مكيدة لايقاعهم في الفخ ، فبينما كان جيش الخليفة مغتبطاً بما عدّه نصراً كبيراً كان الجيش المغولي يهيئ للهجوم الذي رسمت خطته من قبل ، فقـام بسد نهر دجيل ليلاً وحولوا مياهـه كلها الى (نهر بشير) ففاض هذا النهر وغمر « أراضي الهورة » المنخفضة الواقعة وراء الجيش العباسي فقطعت عليه خط الرجوع ، فلما

باغته المغول بهجومهم المفاجي. نكص راجعاً الى بغداد ، فوجد نهر بشير قد فاض من الليل وملأ الصحراء « فعجزت الخيول عن سلوكه ووحلت فيه ، فلم يخلص منه إلاّ من كانت فرسه شديدة ، وألقى معظم العسكر أنفسهم فى دجلة فهلك منهم خلق كثير ودخل من نجا منهم بغداد مع الدويدار على أقبح صورة ، وتبعهم المغول يقتلون فيهم وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم ، ونزلوا بالجانب الغربي [من بغداد] وقد خلا من أهله » هذا ما قاله مؤلف الحوادث عن مصير هذه المعركة التاريخية التي مهّدت السبيل لهولاكو من الجهة الشرقية فى حصاره مدينة بغداد الشرقية حتى أتم احتلالها

ومما ساعد على غمر الاراضي من وراء الجيش العباسي أن الموسم الذي وقع فيه هذا الحادث كان موسم فيضان ، إذ يوافق يوم الحادث (١٠ المحرم سنة ٦٥٦ هـ) ١٤ كانون الثاني سنة ١٢٥٨ م ويكون فى منتصف الوسم المذكور ومن المعلوم أن هطول الامطار فى هذا الموسم يؤدي الى ارتفاع مناسيب مياه النهرين ، دجلة والفرات ، فيعرّض أرض الدالتا كلها لخطر الغرق إذا لم تتخذ تدابير واقية لدفع خطر الغمر عنها وقد جاء فيما ذكره مؤلف الحوادث ما يؤيد أن الموسم الذي وقع فيه الحادث كان موسم أمطار ، إذ ذكر أن المغول لما احتلوا بغداد « قتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال وكانت القتلى فىالدروب والاسواق كالتلول ، ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم » ، وأشار الى وجود الوحول فى الطرق بقوله أن « عدد القتلى زاد على ثمانمائة الف نفس عدا من ألقي من الاطفال فى الوحول »

ومما قاله الرشيد الهمذاني في « جامع التواريخ » في هذا الصدد « إن عساكر المغول وصلت الى البشيرية من نواحي دجيل وكانت المياه كثيرة غزيرة فى تلك المواضع فكسر المغول سدود المياه حتى غمرت الأرض من وراء الجيش العباسي كلها ، وفى العاشر من المحرم فى طلوع الشمس هجم المغول على الجيش العباسي ، وقتل ابن كر وأمير معه اسمه قراسنقر ، وقتل من عسكر الخليفة

اثنا عشر ألفاً عدا المتورطين في الطين ونجا الدويدار مع جماعة قليلة من العسكر فدخلوا بغداد ».

وقد يكون من المفيد أن ندون هنا رواية ابن الطقطقي في كتابه « الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية » عن الواقعة المذكورة، وكان معاصراً لها، قال : « فحينئذ وقع الشروع في قصد بغداد وبث العساكر إليها فتوجه عسكر كثيف من المغول والمقدم عليهم باجو الى تكريت ليعبروا من هناك الى الجانب الغربي ويقصدوا بغداد من غربيها ويقصدها العسكر السلطاني من شرقيها فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدر الى أعمال بغداد أجفل الناس من دجيل والاسحاقي ونهر الملك ونهر عيسى ودخلوا الى المدينة بنسائهم وأولادهم حتى كان الرجل أو المرأة يقذف بنفسه في الماء ... فلما وصل العسكر السلطاني إلى دجيل وهو يزيد على ثلاثين ألف فارس خرج اليه عسكر الخليفة صحبة مقدم الجيوش مجاهد الدين أيبك الدويدار . وكان عسكراً في غاية القلة فالتقوا بالجانب الغربي من بغداد قريباً من البلد فكانت الغلبة في أول الأمر لعسكر الخليفة، ثم كانت الكرة للعسكر السلطاني فأبادوهم قتلاً وأسراً وأعاموا على ذلك نهر فتحوه في طول الليل فكثرت الوحول في طريق المنهزمين فلم ينج منهم الا من رمى نفسه في الماء أو من دخل البرية ومضى على وجهه الى الشام ونجا الدويدار في جُيَيْمة من عسكره ووصل الى بغداد » وقد أشار ابن الطقطقي في موطن آخر نقلاً عن ابن أيدمر الذي شهد المعركة نفسها قال : « حدثني فلك الدين محمد بن أيدمر قال كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج الى لقاء التتر بالجانب الغربي من مدينة السلام في واقعتها العظمى سنة ست وخمسين وستمائة قال فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل فكان الفارس منا يخرج الى المبارزة وتحته فرس عربي وعليه سلاح تام كأنه وفرسه الجبل العظيم ثم يخرج اليه من المغول فارس تحته فرس كأنه حمار وفي يده رمح كأنه المغزل وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ثم كان من الأمر ما كان »

ومن غريب المصادفات أن معركة مصعب بن الزبير مع عبد الملك بن مروان كانت قد وقعت

فى نفس موضع وقعة المغول المتقدمة قبل زهـاء ستمائة عام ، وهى المعركة التي لقي فيها مصعب بن الزبير حتفه . ويلاحظ أيضاً أن معركة البرسقي مع دبيس بن صدقة صاحب الحلة فى سنة ٥١٦ ﻫ كانت قد وقعت فى جوار الموضع نفسه إذ ذكر ابن الأثير أن « البرسقي أرســـل الى الموصل وأحضر عساكره وسار إلى الحلة وأقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقي الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقي » .

أحمد سوسه

وحدة القانون واحترامه

نحن فى فجر تأريخ جديد من حياة الامة العربية ، وفي بدء مرحلة تحتّم حوادث الكون الرعبة التي لسنا خطورها أن نقطعها بسرعة دون إبطاء ، ونذلل صعابها بعزم لا يفله إرجاف المرجفين ، وصبر لا يزعزعه جوع النفوس الضعيفة ، وسير لا تعرقله الأنانية وحب النفس

إن من أهم الأسباب المؤسسة للوحدة ، والمقرر لها ، وحدة القانون فى البلاد العربية ، وأقصد من وحدة القانون فى البلاد العربية أن تكون الاسس والمبادئ الجوهرية فى قوانين البلاد العربية واحدة ، وإن اختلفت فى بعض التفاصيل والفروع بالنظر الى اختلاف العادات وتمايز البيئات ، سواء ذلك في قوانينها العامة أو الخاصة ، وعلى الأخص القوانين الدستورية والثقافية والمدنية والتجارية ، التي هي فى الحقيقة ، جزء من القانون المدني فاذا ما تحققت هذه الوحدة فى القوانين فى أمة تأسس معها لزاماً وحدة فى الروح والمعاملات والمبادئ والآمال والغايات وأساليب الحياة واذا ما تأسست مثل هذه الوحدة في أمة ،كانت الأمة مصداقاً لقول الشاعر :

وإذا تآلفت القلوب على الهوى فالناس تضرب فى حديد بارد

وهذه الوحدة نتيجة طبيعية لوحدة القانون والتأريخ القانوني شاهد على ذلك . فاذا كانت سائر شعوب الأمة الواحدة دستورية فى حياتها السياسية ، جارية على نظام واحد فى أسسها ومعاملاتها المدنية والتجارية ، تابعة لثقافة واحدة فى حياتها العلمية والأدبية ، كانت موحدة حتماً وإن اختلفت اسماء شعوبها وتباينت ألوان بنيها والعكس بالعكس

إن القانون ينظم الروابط الاجتماعية بين الدولة والافراد ، وبين الافراد بعضهم مع بعض ، فان هذه الميزة من خصائص القانون ، بل هي الغرض الأول من ابتكار الشرائع العملية وسن القوانين الوضعية واذا ما كانت روابط مجتمع سارية على نمط واحد وأسلوب واحد ، كان المجتمع كتلة متراصة وأمة واحدة ، لا تقبل التفريق والتجزئة وإن فرقتها الاسماء المصطلحة والحدود المصطنعة واذا ما اختلف القوانين فى شعوب أمة واحدة ، تأسس البون فيما بينها ، وكانت أمماً تباعد عن وحدتها على مر الزمان ، ولربما وصلت من البعد الى أن ينسى بعضها بعضاً وأن تتنا كر شعوبها

إن للقانون سيطرة على النفوس ، تتحول الى تربية خاصة تحترمها ضمائر الأفراد ، وتعتبرها جزءاً من التقاليد المتغلغلة فى صميم شعائر الأمة فاذا اشتركت الشعوب العربية فى هذه التربية القانونية الخاصة وانطوت عليها ضمائر أفرادها ، استحكمت الوحدة بينها استحكاماً لا تهدمه الدهور ولا تزعزعه الحوادث . والأمر المهم هنا هو أن نتساءل: هل هذه الوحده القانونية ممكنة ؟ وهل يمكن سن قوانين موحدة تؤسس وحدة قانونية عامة فى الشعوب العربية ؟

أقول نعم مع التحفظ من جهة واحدة ، وهي تفسير معنى وحدة القانون . فلا أريد بمعنى وحدة القانون وحدة القوانين فى الدول العربية نصاً وفصاً وشمولاً عاماً فى سائر النواحي ؛ بل أقصد وحدة فى العمود الفقري للقانون ؛ وحدة فى جوهره وقواعده الاساسية وترك التفصيلات والفروع الى مدى مقتضيات البيئة والمجتمع الخاص وهذا القدار من الوحدة هو الكافى للغرض المنشود

بعد ما وضحتُ هذا التحفظ أرجع فأقول نعم ودليلي على ذلك أمور ثلاثة :—

١ — الحقيقة العلمية

٢ — والماضي

٣ — والحاضر

اما الحقيقة العلمية ، فقد استقر رأي أغلبية علماء القانون على أن القانون حقيقة طبيعية كامنة في المجتمع ، متولدة من صميمه ، وما عمل المشرِّع الا إظهارها والتعبير عنها فليس هو من صنع المشرِّع ، ولا هو من تخيلاته ومحض إرادته شأنه شأن الظواهر الطبيعية الأخرى في الأمور المادية ، فانها حقائق قائمة بذاتها وليس للفيزيائي ، مثلاً ، الا بحثها وشرحها والتعبير عن آثارها فكون القتل جرماً يستحق العقاب ، وكون الغاصب ضامناً لما غصب ، وكون النكاح لا يكون صحيحاً الا اذا اقترن بتراضي الطرفين ، حقائق طبيعية في المجتمع منتزعة من صميمه ، وليس للمشرع الا فضل التعبير عنها بنصوص جامعة مانعة ، وتقدير الكمية والكيفية فيها ، كما أن كون الحرارة تشع خطوطاً مستقيمة ، وكونها تؤثر التمديد في الاجسام ، وكون البرودة بالعكس ، وكون الضوء أسرع من الصوت ؛ حقائق طبيعية لم يزد الفيزيائي فيها شيئاً ، وليس له الا فضل الاستقراء والتدوين والشرح على أن أصحاب هذا المذهب ، بعد اتفاقهم على هذا القدر ، اختلفوا في كون الحقائق القانونية هل تقبل التطور باختلاف البيئة والزمان والمكان ؛ فكان رأيهم باديء بدء أنها كالظواهر الطبيعية الأخرى لا تتغير ولا تتبدل في كل مجتمع . ولكنهم بعد ذلك ، اعترفوا بقبول التطور والتأثر بحكم البيئة والزمان ، فان هذا قد يعتري الظواهر الطبيعية في الأمور المادية بسبب العوارض الطبيعية ، والمعنويات أشد إرهافاً وتأثراً من الماديات

ولا شك في أن العقول السليمة تشعر بصحة هذا المذهب ، والتجارب الواقعة تؤيده ، وهو مذهب لم يزل حياً قوياً مسيطراً على النفس القانونية ، لم تقوَ على هدمه النظريات والمذاهب التي ناوأته مهما حاولت ذلك .

فالقانون إذاً ظاهرة طبيعية تقبل التطور بحكم البيئة وغيرها من المؤثرات الأخرى فاذا ثبت هذا ، فمما لاشك فيه أن المجتمع العربي الأكبر متشابه في بيئات شعوبه من حيث التربية الروحية ، والتربية الاجتماعية ، ومن حيث التاريخ والآمال والميول والنزعات ، ومن حيث المناخ، وهذه الامور كلها تفسر معنى البيئة واذا كان القانون ظاهرة طبيعية متطورة ، وكانت البيئات

العربية متشابهة ، فأي حائل يحول دون التصدي الى وحدة قوانينها ، وهل من المنطق أن تتشتت فى قوانينها وتتباعد في نظمها ؟ كلا .

وأما الأمر الثاني وهو الماضي ، فما هو ثابت لا مراء فيه ، أن الشعوب العربية على اختلاف أقطارها ، وبُعــد الشقة فيما بينها ، قطعت أكثر من اثني عشر قرناً وهي تجري في قواعدها القانونية على شريعة واحدة ، هي قواعد الشريعة الاسلامية المتينة الاساس ، القوية البنيان ، تلك الشـريعة التي لم تضارعها شريعة سابقة ، ولم تبزها شريعة لاحقة ، لانها مَعين لاينضب ، تساير الازمنة والامكنة ، وتقبل التطور باختلاف الأحوال وتطور الظواهر الاجتماعية ، لما فيها من قواعد مرنة ، ولما فيها من الاساسين الراسخين ، القياس والاجماع :

القياس الذي ينطوي على قواعد العـدالة التي هى المدار المهم في القوانين الحديثة والتي تسمى بلسان الشريعة بالاستحســان أو المصالح المرسلة ، والاجماع الذي يشابـه ما يسمى فى القوانين الحديثة بالتشـــريع الذي يعتبره علماء القانون الحديث المصدر الأول المهم فى صنع القواعـد القانونية ، وليس هذا مقام الافاضة فى هذا الباب

عاش الشعب العربي فى العراق وفى الأندلس وسورية واليمن ومصر والحجـاز وغير هؤلاء من الأقطار العربية ، من فجر القرن الأول الهجري إلى نزوح العرب من الأندلس ، ثم الى أواسط القرن الثالث عشر الهجري وهو يسير فى قوانينه الخارجية والداخلية ، العامة والخاصة ، على أسس واحدة وشريعة واحدة . وهو شامخ الأنف ، مرهوب الجانب ، قوي العزم ، نتاجه العلم والأدب ، وشعاره العدل والانصاف . وعند انضمام العرب الى الدولة العثمانيـــة ، كانت الشريعة الإسلامية هي القانون المعمول به في الدولة ، فلم يجدوا غير شريعهم ، وهكذا استمروا على قانون واحد هو الشريعة الاسلامية ولم يبدأ تدخل القوانين الأجنبية في البلاد العربية إلا منذ أعلن السلطان محمود العثماني سنة ١٢٥٥ هـ الرسـوم السلطاني الصادر من قصر كلخانة ، فشرع قوانين جديدة ، منها ما هو مقتبس من قوانين بعض دول أوربا ، ومنها ما هو مبتكر دعت إليه الحاجة ثم امتد سـلطان القوانين الأجنبيـة فى بعض الأقطار العربية التي أبتليت

بالاحتلال الفرنسي ، الذي طمس الثقافة الصحيحة في البلاد العربية التي خيم ظله الثقيل فيها ، وطمها طمنة نجلاء ، فبقيت الأقطار العربية من ذلك التأريخ في خليط غير منسجم من القواعد القانونية المختلفة من حيث المبادىء ومن حيث الاتجاه ، مما يدعو الى العمل في تمحيصها وتهذيبها مع الاحتفاظ ، جهد الطاقة ، بقواعد الشريعة الاسلامية التي خالطت روح الأمة العربية وامتزجت بعاداتها وأخلاقها ، وأصبحت من أدبها في الحياة ، وأملا من آمالها بعد المهات ولا عاب عليهم في ذلك ، فالشريعة الاسلامية بحر عذب سائغ شرابه ، أو مرآة صافية ، تنعكس عليها الحقائق . شريعة حية ، تنمو وتتطور حسب المصالح والأحوال ولا أدل على قبولها النمو والتطور من رسوخ العمل بها قروناً كثيرة في أمم مختلفة في العناصر والأقاليم والبيئات والنمو والتطور من علائم النشاط وخصائص الحياة

وأما الأمر الثالث ، وهو الحاضر ، فان الأمم العربية في الحال الحاضر في سائر أقطارها من أقصاها الى أقصاها تجري في أحوالها الشخصية على قواعد واحدة الأساس ، وفروع لا يختلفون فيها إلا قليلا ، ولا يبعد أن يكون هذا الاختلاف ناشئاً من أمور خارجية من سياسية وبيئية .

وأقصد من الأحوال الشخصية : نظام العائلة من زواج ونفقة ونسب ومفارقات ، وارث ووصية وولاية ، ويلحق بها الوقف أيضاً والأحوال الشخصية تؤلف أهم قسم في القوانين المدنية في سائر الدول والأمم العربية من فجر نهضتها الاسلامية إلى اليوم ، الفت في هذا الباب قواعد واحدة في الأساس ، وأحكاماً واحدة أو متقاربة في الفروع ، الفت هذا الوضع القانوني في أحوالها الشخصية في سائر أزمانها وأماكنها . وناهيك بهذه الوحدة دليلاً على استعدادها للوحدة المطلقة أو المتقاربة في جميع أقسام القانون

يتضح من الأدلة الثلاثة التي سردتها ، أن الوحدة القانونية في الأمم العربية ليست من الأمور المستحيلة ولا العسيرة ، بل هي من الأمور الممكنة الميسورة المألوفة

فأول ما يجب أن يبدأ به في التوحيد من القوانين ، القانون المدني والقانون التجاري

والقانون العسكري والقانون الثقافي فهذه القوانين الأربعة تخص أهم العوامل في حياة الأمة ومقوماتها ، فتوحيد القانون المدني ، يوحد الأمة في المعاملات المدنية بين أفرادها ويجعل الأقطار العربية قطراً واحداً في التعامل فلا يتردد الفرد في أي قطر كان من الأقطار العربية في إجراء المعاملات المدنية مع سائر أبناء الأقطار العربية الأخرى ، لأن الحكم واحد بين الجميع ، فلا يجهل نتائج ما يؤديه هذا التعامل من الآثار وكذلك الأمر في توحيد القانون التجاري ، الذي هو عمود التجارة بين سائر الأقطار العربية ورباطها الوثيق ؛ فاذا أتحدت القوانين التجارية انتعشت التجارة بين سائر الأقطار ، ونهضت اقتصادياتها نهوضاً محموداً . إذ يكون التاجر في مأمن من مغبة معاملاته وصفقاته التي يجريها مع الأقطار الأخرى . وأما القانون الثقافي ، فلا شك أن توحيده يؤدي الى وحدة الحياة الاجتماعية العامة في الأمة العربية ، ويؤسس لها طريقاً واسعاً مستقيماً ينظم سير أبنائها الى الكمال والظهور بين الأمم متجانسين في التفكير والأدب العام ، كما أن الأمة بذلك يسهل بينها التعاون العلمي ، ويسود فيها الاتصال الروحي اتصالاً يرمي الى وحدة العمل والأمل .

وأما القوانين العسكرية ، فلا مراء في أن توحيدها في الجيوش العربية من ألزم الأسباب لانسجام التدريب فيها ، واتساق العمل المشترك ، وانتظام السير في النهوض بالقوى العسكرية في مختلف الدول العربية على نمط واحد فيتحد التدريب ، وتتحد الأسلحة في النوع ، وتتحد المصطلحات العسكرية ، وبذلك يتكون الارتباط الحقيقي بين تلك الجيوش ، وتصبح بحكم القوة العسكرية الواحدة ، وإن اختلفت أجزاؤها في الانتساب

إن الاتحاد في القوانين هو الاتحاد الحقيقي ، ولا يثمر الاتحاد الاسمي المجرد الذي لا ينفذ الى روح الأمة ، ولا يتغلغل في نظام حياتها المادية والمعنوية والنفوذ والتغلغل المطلوبان لا تحققهما إلا وحدة القوانين الجوهرية فيها ، تلك القوانين التي يبنى عليها كيان الدولة في الأمة وينظم سير أفرادها في سبل الحياة .

إن اختلاف القوانين الجوهرية في أمة ، لعقبة كؤود في طريق وحدتها ، بل انها قد تؤسس الشعور بروح الفرقة والاختلاف في الاتجاه ، وقد عانت البلاد العربية زمن الفوضى في

قوانينها تشتتاً فى نظم الثقافة ، وعنتاً واضطراباً فى المعاملات ؛ ورأت أنواعاً شتى من المحاكم ، وشاهدت صوراً محزنة من الأحكام المتباينة فى قضايا متشابهة ، وذاقت مرارة هذه الطعوم السامة ، ولم تتخلص من بعضها إلا بشق الأنفس وقد سادت الفوضى بحدها وتمثلت تلك الصور ببشاعتها عندما كانت الامتيازات الأجنبية مستحكمة فى البلاد العربية فى أواخر عهد الدولة العثمانية ، ومن بعدها فى بعض الأقطار حتى الآن تذكر من ذلك من تذكر ونسيه من نسي ، وكان العراق أول من تخلص من هذا العبء الذي تنوء به العصبة أولو القوة . فتلك الامتيازات الأجنبية جعلت البلاد العربية محل تطبيق لقوانين عديدة مختلفة المنشأ والمبنى ، علاوة على القوانين المحلية المختلفة الالوان والاشكال فى مختلف الأقطار العربية ؛ ففي كل قطر لون ، وفي كل صقع شكل ففي تلك الفوضى القانونية كانت الأقطار العربية ، فضلا عن انفصال بعضها عن بعض سياسياً ، تكاد تنفصل أدبياً ، ولولا بقية من تربية عميقة فى النفوس ، وذكريات تأريخية تربط القلوب ، لتم الانفصال الأدبي مع الانفصال السياسي

فالتشتت فى القوانين أقوى عامل فى انفصال الأمة بعضها من بعض ، وكلما تقاربت الشعوب فى قوانينها تقاربت الى الوحدة بل أذهب الى أبعد من هذا فأقول : إن الأمم المختلفة فى عناصرها وتاريخها ، المتباعدة فى أقطارها وديارها ، اذا اتحدت فى قوانينها الجوهرية ، تنقلب شعباً واحداً ، وتصبح أمة واحدة وقد يطغى بها الشعور بهذه الوحدة ، فتنسى فوارقها العنصرية والتأريخية ، وتأبى على الدهر أن يمد اليها يد التفريق وها إن الشواهد الملموسة فى العالم الحاضر لأكبر برهان على ما أقول ؛ فقد رأينا شعوباً متباينة فى العنصر ، متغايرة فى المذاهب ، متضاربة فى الغايات ، قد أصبحت أمة واحدة بفضل الوحدة فى قوانينها ، تناضل عن كيانها الجديد ، الذي كونته هذه الوحدة فى القوانين الجوهرية ، نضالاً أخضع الطغاة وأدمى جباههم العصية ، وأنزلهم من صياصيهم ، وأورثها أرضهم وديارهم فما بالك بالأثر المهم الفعال من وحدة القوانين فى شعوب أمة عنصرها واحد ، وتقاليدها واحدة ، وتأريخها واحد ، وأملها

واحد ، كالشعوب العربية ؟ لا شك أنها تستكمل بذلك وحدها الحقيقية ، وتقصي عنها الانعزال أو شبه الانعزال الذي حل بين شعوبها منذ الأزمنة السود الغابرة ، فيتجدد لها وحدة لا انفصام لها ، وتنشأ أمة واحدة تناضل عن كيانها ، وتحمي عرينها فى سبيل السلام والحرية ، وتساهم فى النهوض بعلم القانون وحماية العدل ، علماً وعملا ، مساهمة لها أثرها الحميد فى العالم ، كما فعلت قبلاً . وقد اتجه العراق الى التقريب بين قوانينه وقوانين سائر الدول العربية . وهو عامل على ذلك جهد الطاقة وقد حقق ذلك فى قانونه المدني وقانونه التجاري ، وهما من أهم القوانين فى حياة الأمة ومعاملاتها المدنية .

حرمة القانون : والقانون يجب على الحكومة والشعب احترامه ، لأن القانون هو الممثل لارادة الأمة ، وهو القوة الصامتة التي تعتمد عليها الحكومة فى سيرها ، وهو السلاح المعنوي الذي يشهره المظلوم فى وجه الظالم ، وهو الحكم الذي يرد الحق الى ذويه ، ويقف المعتدي عند حده ، ويكافىء المحسن على إحسانه ، ويجازي المسيء على إساءته وهو الدليل الموصل الى الغاية المطلوبة فى حياة الشعب الا وهي الأمن والطمأنينة ورفاهية العيش . فالقانون إذاً ، هو الحامي والواقي والمرشد والرادع والزاجر والمُنظِم والمجازي والمكافىء . فهو جماع أمر الأمة ، وملاك سعادتها ، وزمام ادارة الدولة ومنهج سيرها ، وهو من الأمة واليها .

ولكن هذه المميزات السامية والفوائد الغنية للقانون ، لا تتأتى ولا تتحقق ما لم تصافحه يد قوية ، وتناصره قوة مؤيدة . وأعني بتلكم اليد وتلكم القوة (احترام القانون) . فليس القانون شخصاً مادياً قوي العضلات ، يكافح عُصاته ويرغمهم الى الطاعة ، ولا هو سلاح ناري يخرق قلوب الزائغين عن أحكامه ويقسرهم إلى الانصياع اليها ، حتى ينال مكانته موفور الكرامة ويأخذ مقامه فى حياة الشعب ، بل هو قوة معنوية لها تأثيرها البليغ اذا صادفت مؤيداً ، وروح خفية فى جسم المملكة ، لها أثرها الحسن اذا حركها منعش وعالجها منشِّط . وما ذلكم المؤيد أو المنعش أو المنشِّط إلا (احترام القانون)

فاذا لم يقترن القانون بقوة الاحترام ، يبقى روحاً خامدة وحبراً على ورق ، وفى ذلك ما فيه من إهانة ارادة الشعب وخيبة التشريع ، وذهاب الجهود سدى ، وضياع الأموال التي صُرفت

في سبيله ولا أعني باحترام القانون تقبيل دفتيه ولا التبرك به ، ولا التغني بتلاوته إذ ليس هو من الكتب الدينية المقدسة ولا من الآثار الدينية المحترمة . ولا أعني باحترامه الوقوف أمامه بتأدب وخشوع ، وقفة الجندي أمام قائده ، أو وقفة المصلي في محرابه ، فان هذا النوع من الاحترام اصطناعي غير منتج وإنما أقصد من احترام القانون تنفيذ احكامه على أحسن وجه وأدق معنى ، و تَقَبُّل إنفاذها قبولا حسناً

إن احترام القانون يتلقى من جهتين :

١ — الحكومة .

٢ — الشعب

فاحترام الحكومة للقانون هو قيام موظفيها على اختلاف طبقاتهم وتباين درجاتهم ، بتطبيق نصوصه من غير تحريف أو تأويل غير علمي ، وتنفيذ أحكامه بكل الدقة من غير ما زيغ أو عَوَج

فاذا ما خرق القانون موظف فقد جنى إثماً عظيماً ، وأصبح قدوة سيئة وحجة لذوي المطامع والاخلاق الخبيثة . خصوصاً إذا كان الموظف من ذوي المقامات العالية ، فان إثمه يتضاعف وجنايته لا تغتفر ولقد مرَّ زمن مثلت فيه أدوار خرق حرمة القوانين بأيد قوية ، كان من واجبها العمل لصيانتها ، والاحتفاظ بمفازيها الصحيحة ، ولكن النفوس الضعيفة والأرواح الواطئة تأبى إلا أن تأخذ نصيبها من الضعف ، وقسطها من الوطأة مهما بلغت بأصحابها المراتب والمقامات . وقد يعتذر بعض الخارقين حرمة القانون بحمل نصوصه على غير معانيها الظاهرة بأن اجهادهم الشخصي قد ساقهم الى ما ذهبوا اليه ، والمجتهد لا لوم عليه . ولكن اذا سألتهم عن مستند اجهادهم لم يكن جوابهم سوى أن رأيهم لم يقبل غير ما ذهبوا اليه من المحامل ، وهو عذر أشد فضاعة من جريمتهم ، إذ يظهر أنهم لم يعرفوا معنى الاجهاد والفرق بينه وبين شهوة النفس . فلو كان الاجهاد مطلق الرأي ومحض الشهوة وخالص الهوى ،

لكان الأمر فوضى ولأصبح كل شخص مشرّعاً .

وأما احترام الشعب للقوانين ، فهو إطاعــة أحكامها وتقبل تنفيذها عليهم قبولاً حسناً ، والجري على موجبها من غير إرغام أحد لأنها الكافلة بتنظيم سيره فى الحياة الاجتماعية ، وعدم اتخاذ الوسائل للتملص من الوجائب القانونية ، ولزوم السؤال من رجال القانون عن الشروط والاحكام القانونية عند مزاولة الأعمال المهمة ، وعــــدم الاستهانة فى الفروض القانونية مهما كانت تافهة بنظر الشخص فاذا فرض القــانون مثــلاً وضع مصباح ليلا على مواضع معينــة عند إنشاء أحد بناءاً ، فعلى المنشىء تلبية هذا الفرض وإذا ما حُرِّم القانون بيع الملح إلا بشروط مخصوصة فعلى الراغب فى البيع مجانبته ما لم يستكمل الشروط المطلوبة وإذا ما أوجب القانون وضع طابع فى ورقــة فعلى صاحب الورقــة ألا يتهاهل فى الصاق الطابع المطلوب وعلى الطبقة المنورة أن تكون قائدة الأمة الى هذه الطاعة المحمودة العواقب . أما إذا خرقت الطبقة المنورة حرمة القوانين بالذات أو بالواسطة ، فلا يقصر ذنبها عن ذنب موظف اعتدى على حرمة القانون

القانون والشريعة : الشريعة لغة : مورد الشاربة ، يقال : الشرائع نِعمَ الشرائع من وردها روي وإلا دوي . ونُقل هذا اللفظ (الشريعة) فى اصطلاح الفقه الى الأحكام التي جاء بها الرسل عن الله تعالى . فقيل (شريعة موسى) و (شريعة عيسى) و (شريعة محمد) ، صلوات الله عليهم أجمعين .

ولا تخفى المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول اليه . فان كلاً منهما مَورد ، فالأول مورد لصحة الأبدان ، والثاني مورد لصحة العقائد والأعمال . فالقانون ، من هــذه الجهة ، شريعة أيضاً ؛ إلاّ أنها وضعية غير إلٰهية وبتعبير آخر غير سماوية فكان التفريق بين المصطلحين (الشريعة والقانون) للاشعار بهذا المغزى فاذا أطلق لفظ (القانون) فأنما يراد به الشريعــة التي سنها الناس لأنفسهم من الاحكام واذا أطلق لفظ (الشريعة) فانما

يراد به ما سنه الله تعالى لعباده من الأحكام والفرق بينهما من حيث المصدر وأما من حيث العمل بها فكل منهما واجب اتباعه ، ولا تعتبر الأعمال صحيحة إلا اذا جاءت وفقاً لما أثبته وقرره كلٌ فيما يخصه

والوحدة في الشريعة أشد وثوقاً من الوحدة في القانون لما تتسم به الشريعة من الصفة الدينية التي جبلت النفوس على التعلق بها ، والتمسك بقدسيتها وكل منهما يجب احترامه ؟

منير القاضي

محمد فيضي الزهاوي

مفتي بغداد

هو شخصية لامعة ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري ، وهو من نادري الرجال ذوي المواهب الممتازة ، عاش قرناً كاملاً نشر فيه ألوية العلم والتدريس والإفتاء ، والأدب العربي ، إن شئت عالماً فعالم ، أو شاعراً فشاعر في اللغات : العربية والفارسية والكردية والتركية ، أو مدرساً فمدرس ، درس العلوم الإسلامية والثقافة العربية سبعين سنة ، وإن شئته فقيهاً ففقيه في الفقهين : الشافعي والحنفي تربع على كرسي الإفتاء في الزوراء ثمانياً وثلاثين سنة ، وتخرج في مدرسته مئات علماء وفضلاء وأدباء ، بحيث تنتهي اليه سلسلة إجازات أكثر العلماء في العراق ، كما قال الشاعر السيد أحمد الراوي الواعظ المشهور بأبي الحلق الذهب في قصيدته الرثائية التي سننقلها فيما بعد :

إذ لا ترى ذا المصر فضلاً في امرئ الا ومنه صدوره في المورد

وبالرغم من هذا فقد ضنّ عليه المترجمون ، فلم يكتبوا شيئاً عن حياته ، ولم يرووا لنا نماذج من أشعاره ، بل مات هذا الرجل الفذ ، والشعلة الوهاجة ، ونُسيت أشعاره وآثاره الأدبية ، وطرائفه وظرائفه ، ونكاته المستملحة ، وحكاياته اللطيفة مع الولاة ورجال العلم والأدب

لقد حفزني ذلك في عام ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م على أن أكتب شيئاً في حياته وألمّ ما يمكن له من آثاره وأشعاره ، فأصدرت كتاباً باللغة الكردية بعنوان : (مفتي زهاوي) وقع في (١٤٠) صفحة ، ترجمت به حياته ، وجمعت فيه كل ما عثرت عليه من آثاره الأدبية ، وحسبي أني جمعت من نظمه أكثر من مئتي بيت نصفها بالعربية ، والباقي بالفارسية والكردية والتركية ، وطبعته في سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م ونال الكتاب بمادته استحساناً وإقبالاً من أهل الفضل والأدب . وكان عليّ أن أترجمه الى العربية لاخواني الناطقين بالضاد لولا كثرة الأشغال

الرسمية وغيرها ، ولـكن بدت الحاجة الملحة الآن الى أن نقتطف من كتابنا المذكور مقالاً واحداً وموجزاً شاملا لأهم ما في الـكتاب تنويراً للقراء الـكرام ، وأداءاً لبعض ما يجب عليّ أداؤه لهذا الرجل الانساني الذي خدم العلم والدين والأدب زهاء ثلاثة أرباع قرن ، اعترافاً مني بفضله وتخليداً لذكراه

هو محمـد فيضي بن الملا أحمد بن حسن بك بن رستم بك بن كي خسرو بك بن أمير بابا سليمان ، وهذا الأمير — على ما قاله المرحوم محمد أمين زكي في كتابه (تأريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور) — هو ابن فقي أحمد الدارشماني ، جد الأسرة البابانية الشـــهيرة ، ولهذا فالمفتي الزهاوي يُعد من الأسرة المذكورة .

ولد رحمـه الله في بلدة (السليمانية) سنة ١٢٠٨ هـ = ١٧٩٣ م على ما حققه المرحوم محمد أمين زكي ، وعلى ما حققناه في كتابنا المذكور ، من أب كردي عراقي وأم كردية إيرانيـة من أهالي قرية (زهاو) الواقعة بين قريتي (هورين وشيخان) و (قصر شيرين)

وأما بحسب السجل الرسمي للحكومة العثمانية ، فهو من مواليد سنة ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م ويؤيده ما رواه المرحوم الحاج ميرزا عبـد الحميد الـكردستاني الايراني الملقب بـ (ملك الكلام) في كتابه المخطوط (سفرنامه) الذي يذكر فيه رحلته الى بغداد والحجاز ، فقد قال فيه : إنه زار في بغداد المفتي الـكبير محمد فيضي الزهاوي بداره في الساعة الثامنة من ليلة الثلاثاء السادس من جمادى الأولى سنة ١٣٠٤ هـ وسأله عن عمره فأجابه المفتي حالاً بقوله : (أوف [1]) . وأشار في ضمن هذا التأفف الى عـدد سني عمره بحساب الحروف الأبجدية وهو « ٨٧ » سنة ، وعلى هذا فالمفتي كان من مواليد سنة ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م وعاش إحدى وتسعين سنة لأن وفاته كانت في سنة ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م .

لقـد ترعرع المفتي في أحضان والده بالسليمانية ، ونشأ في أيام الإمارة البابانية ، وأقبل على

(١) هذه الـكلمة تكتب ويتلفظ بها هكذا في اللغة الـكردية ، أي بالألف والواو والفـاء لا بالألف والفاء كما في العربية

العلم في صغره ، فدرس القرآن الكريم والفارسية ومبادىء النحو والصرف والفقـه واللغة على والـــده .

وبعد أن توفي والده ، وبلغ هو أشده ، وثبتت في مبـادىء العلوم العربية قدمه أنتقـل الى مدرسة العلامة (الشيخ معروف النودهي) (١) بالجامع الكبير بالسليمانية ، وبقي عنده ردحاً من الزمن أخذ فيه عنه أسرار العلوم العربية من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ، والعروض والفقه ، وأخذ عنه هوى الشعر ووحي الأدب

ثم سافر إلى مدرسة الإمام الكبير (الشيخ عبد الله الخرباني) (٢) في حلبجة وبقي فيهـا مدة من الزمن ، حضر في أثنائها حلقات درس الشيخ ، وأخذ عنه علوم المنطق والفقه وأصول الفقـه

ثم رحل الى (سنه = سنندج) في كردستان إيران ، ونزل في مدرسة أستاذ الكل (الشيخ محمد قسيم الردوخي (٣)) وقرأ عنده علمي الحكمة والكلام ، واغترف من معين علمه وفضله .

(١) ولد في قرية (نوده) بلواء السليمانية سنة ١١٦٦ هـ - ١٧٥٢ م وتوفي بهاســنة ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٨ م وكان عالماً بارعاً وشاعراً بليغاً في الكردية والفارسية والعربية وله أشعار رقيقة وقصائد رنانة ، وله من المنظومات العلمية والأدبية والمؤلفات ما ينيف على ستين مؤلفاً

(٢) هو الشيخ عبدالله ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ محمد ابن الشيخ جامي من سادات التكية بقره داغ ، ولد رحمه الله في سنة ١١٩٠ هـ - ١٧٧٦ م وتوفي في سنة ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م في قرية (خرباني) بقضاء حلبجة . كان — رحمه الله — عالماً جليلا من بيت علم وفضل ودين وسيادة ، له تعليقات مفيدة على (تحفة المحتاج : شرح المنهاج) لابن حجر الهيتمي في الفقه الشافعي وعلى (جمع الجوامع) في أصول الفقه ، وكان مدرســاً في الجامع الكبير بحلبجة ، وبعد أن هاجر مولانا خالد النقشبنــدي إلى بغداد وترك السليمانية نهائياً عين الشــيخ عبد الله مدرساً للتكية الخالدية بالسليمانية سنة ١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ م وبعد ثلاث سنوات تركها ورجع الى حلبجة ، وكان يدرس فيها شتاءاً ، وفي قرية خرباني صيفا عاش رحمه الله خمساً وتسعين سنة ، ونشر لواء العلم والتدريس زهاء ثلاثة أرباع قرن ومن تلامذته مولانا خالد النقشبنــدي ، وملا عبد الرحمن النودشي وابنه ملا أحمد المفتي النودشي ، وملا صادق الطويلي (نسبة الى قرية طويلة) وملا خضر النالي ومشــاك غيرهم — رحمهم الله —

(٣) المردوخية أسرة قديمة معروفة بالعلم والتعمق والذكاء ، نبغ فيهم علماء وفضلاء كثيرون كانوا =

ثم سافر الى (سابلاغ = ساوجبلاغ) المسماة حالياً (بمهاباد) ، ونزل في مدرسة الإمام الملا محمد الشهير ابن الرسول الذكي [1] وورد ينبوع علمه ، وأخذ عنه العلوم الرياضية من الجبر والحساب والهيأة والهندسة ، ثم أخذ عنه الاجازة العلمية

رجع المفتي الزهاوي إلى مسقط رأسه السليمانية وتصدى للتدريس فيها ، فعين مدرساً في مسجد الشيخ عبد الكريم البرزنجي [2] الذي كان مولانا خالد النقشبندي مدرساً فيه سابقاً ، وبعد أن اشتغل فيه بالتدريس مدة من الزمن عزم على ترك السليمانية ، تاركاً منصب التدريس فيها ، فسافر الى كركوك وعين مدرساً في جامع (المسلم) وذلك في حدود سنة ١٢٥١هـ = ١٨٣٥م

= ساكنين في بلدة سنندج ونواحيها ، منهم العلامة الشيخ محمد قسيم هذا أستاذ مولانا خالد النقشبندي المتوفى سنة ١٢٣٦هـ = ١٨٢٠ م ومنهم أخوه الشيخ سعيد وأبناؤه العلماء الأربعة الكبار وهم : الشيخ عبد القادر المهاجر شارح تهذيب الكلام ، والشيخ محمد وسيم ومحمد جسيم ومحمد نسيم ولهم آثار وتآليف كثيرة في علمي الحكمة والكلام ، ومنهم ابن عمهم الشيخ طه حفيد الشيخ قسيم المذكور المهاجر الى بغداد جد البيت السنوي فيها ، ولقد هاجر قسم من المردوخية في أوائل القرن الحادي عشر إلى (قرهداغ) في لواء السليمانية ، ومنهم الشيخ عبد اللطيف الكبير صاحب المؤلفات الشهيرة والنظم الرائق ، وأعقبوا هناك علماء وفضلاء في كل علم وفن

(١) ولد في قرية جوارنا مركز قضاء شهر بازار بلواء السليمانية سنة ١١٨١ هـ - ١٧٦٧ م وتوفي سنة ١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠ م في (سابلاغ) ، قال المفتي الزهاوي : كانت العلوم الاسلامية كرة بيد ابن الرسول يديرها كيفما أراد ، له مؤلفات كثيرة ، منها شرحه على (أشكال التأسيس) في الهندسة ، ومنها حاشيته المدونة على (الجغميني) و (البرجندي) في علم الفلك ، ومنها رسالتان في الجبر والهندسة ، ومنها حاشيته المدونة على (السيلكوتي) وحاشية (الخيالي) في علم الكلام المطبوعة في استانبول سنة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م ، ومنها حاشيته المدونة على تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي ، ولولده رسول الذكي أيضاً حاشية مدونة على التحفة ، وعندي نسخة من هاتين التحفتين المخطوطتين ، وتوجد في مكتبتي نسخة منها مدونة تعليقات كل من العلامة الملا يحيى المزوري والسيد بابا رسول البرزنجي عليها أيضاً

(٢) هذا الفاضل كان من أجلة علماء السليمانية ، ولد في قرية (برزنجه) في حدود سنة ١١٤٠ هـ = ١٧٢٧ م وتوفي سنة ١٢١٣ هـ = ١٧٩٨ م في السليمانية ودفن في المقبرة المشهورة باسمه ، قرأ عليه جماعة من الفضلاء ، مثل ملا إبراهيم البياري والسيد علي البرزنجي قاضي السليمانية ، ومولانا خالد النقشبندي وغيرهم ، رثاه مولانا خالد بقصيدة فارسية بليغة نشرت في ديوانه المطبوع

وبقي هناك الى سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م

وفي سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م سافر إلى بغداد ، واتصل بواليها علي رضا باشا فرأى الوالي فيه شخصية ذكية لامعة ، واسعة الاطلاع لم يشهدها من قبل ، وكان قد بلغه سابقاً صيته في العلوم والآداب ، فدعاه إلى مدينة السلام بغداد ، ووافق على ذلك المفتي ، وكان وروده إياها في أواخر سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م واجتمع بعلمائها وأدبائها ، وحل في قلوبهم محل سويدائها ، قال الأخرس[١] الشاعر المشهور عند لقائه المفتي المذكور حين وروده بغداد :

أرى في لفظ هذا الشهم معنى ينبّيءُ عن مدى علم عظيم
ومهما زدتُه نظراً بفكري رأيت نُهاه قسطاسَ العلوم

ثم عين مدرساً رسمياً في المدرسة العليّة ببغداد ، ومما يؤيد ذلك ما كتبه المفتي بخطه في ظهر كتاب (تحفة المحتاج) لابن حجر المخطوط المحفوظ حالياً في مكتبة الملا محمد سعيد الدهليزي بالسليمانية : (لقد وفقتُ — والحمد لله — على تقرءة (كذا) هذا الشرح وتصحيحه الا ما زاغ عنه البصر وزل عنه النظر ، فلقد قيل : أبى الكتاب أن يُصحَّ ، وأنا الفقير اليه عز وجل محمد الشهير بالزهاوي المدرس بالمدرسة العليّة)

ثم تصدر للتدريس فصار رئيس المدرسين في بغدادسنة ١٢٦٦ هـ = ١٨٤٩ م وكان له قبول حسن عند رجال الدولة وعند العلماء والأدباء ؛ ثم وُجه اليه منصب الإفتاء بالزوراء في مذهب الامام الأعظم سنة ١٢٧٠ هـ = ١٨٥٣ م في عهد الوالي رشيد باشا ، وذلك بعد أن استقال المفتي السابق السيد محمد أمين الزند ، وكان الزهاوي شافعي المذهب ، وفي ذلك قال شاعر العراق المشهور عبد الباقي العمري[٢] مهنئاً المفتي الزهاوي بالإفتاء :

(١) هو عبدالغفار بن عبد الواحد بن وهب ، ولد في الموصل سنة ١٢٢٥ هـ = ١٨١٠م وتوفي بالبصرة سنة ١٢٩٠ هـ — ١٨٧٣ م ، وله ديوان شعر مطبوع

(٢) هو ابن سليمان بن أحمد العمري الفاروقي الموصلي ، ولد سنة ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م وتوفي في بغداد سنة ١٢٧٨هـ = ١٨٦١ م وله ديوان شعر مطبوع

قد قيل لي :ـ إذ رحتُ أنشد عند ما | شاهدتُ دينَ محمـد يتجـدد ـ
في مـذهب النعمان بالزوراء قـد | أفـتى الإمـام الشـافعي محمـد

وقال عبد الباقي أيضاً مهنئاً إياه :

تالله ما غلط الأمـين محمّـد | عن منصب الافتاء باستعفائه
لكن رآك به حرياً فالتجا | لنزوله بالطـوع من إفتـائه

بقي المفتي الزهاوي في منصب الافتاء ثمانياً وثلاثين سنة إلى أن توفي رحمه الله

إن المفتي تأثر تأثراً خاصاً بنزعة أستاذين من أساتذته كانت لـكل منهما نزعة خاصة . أولهما الشيخ معروف النودهي ، فقد كانت له نزعة أدبية فائقـــة وأدت نزعته هذه الى نظم أكثر العلوم ، ونظم أسماء الله الحسنى ، ونظم أسماء أصحاب (بدر) والى تخميس كثير من القصائد المشهورة (كالبردة) و (الهمزية) و (المضرية) للبوصيري و (بانت سعاد) لـكعب بن زهير ، و (لامية العجم) للطغرائي وغيرها .

وثانيهما الشيخ محمد قسيم المردوخي السنندجي ، فقد كان هذا الشيخ مع جميع علماء هـذه الأسرة الشريفة ، كأخيه الشيخ سعيد وأبنائه ، مولعين بصورة خاصة بعلمي الحكمة والـكلام ، فانهم مع تبحرهم في جميع العلوم الاسـلامية كانوا ميالين الى هذين العـلمين ومهروا فيهما بحيث انحصرت تآليفهم فيهما أقتبس المفتي نزعة أدبيـة من شـيخه الأول ، فـكان المفتي شاعراً وناثراً ، وأديباً ولغـوياً كما قال :

لو يحسُبِ الحَسَبِ المر...ء علا فوقمعالي | كنت بالعـلم وبالشه ... ر على العـالم عالي

وأقتبس نزعة كلامية من شيخه الثاني ، فـكان عالماً كلامياً ، ومجادلاً قوي الحجة ، عظيم البرهان ، ذكي الجنان ، لا يلحقه فيها الا القليلون ، وإنه ما ناقش أحداً إلا أفحمه ، ولا جادل عالماً إلا ألزمه ، كما قال :

فـكري دقيق في العـلوم لأنـه　　　دارت عليه رحى الجدال سنينا [1]

واقتبس باقي العلوم الاسلامية من شيوخه الآخرين باتقان وإمعـان ، فكان مجمع روافد علم وخزانة أدب .

وبالجملة كانت نشأة المفتي في كردستان بلاد العلم والدين والأدب ، وأخذ العلم والأدب عن رجالها المعروفين ، وتثقف بالثقافتين العربية والفارسية ، وعرف لغتها وأسرارهما فحفظ منهما أشياء كثيرة ، كما وعى كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب والفرس وحوادثها حتى صار علماً من أعلامها ودعامة من دعائم آدابها ، ومع هذا فلم يكن منقطعاً للشعر والأدب حسب بل كان يشتغل بتدريس العلوم والافتاء والتحقيقات العلمية كما ذكرنا سابقاً

إن المفتي لم يكن يحفِـلُ بقرض الشعر إلا إذا جاشت في نفسه العاطفة القوية ، وسنح لذهنه الخاطر البديع ، ومما سما بشعره وزاد في بهائه وإشراقه أنه لم يكن ينظم الا لنفسه ، ولا يترجم إلا ما يختلج في صدره ، لذا كان شاعراً مقلاً يقتصر أكثر الأحيان على بيت أو بيتين أو ثلاثة أو أربعة ، إمّا بالعربية وإمّا بالفارسية وإمّا بالـكردية وإمّا بالتركية ، اللهم الا أن تبعث بعض الأسباب الى التطويل فكان يطيل نوعاً ما ، ومن أطول قصائـده التي عثرتُ عليها ما نظمها في رثاء الملا سليمان الخضري [2] سـنة ١٢٦٠ هـ = ١٨٤٤م وكتبها الملا عبد الله ابن الملا سليمان في ظهر كتاب المطول المخطوط المحفوظ حالياً في كركوك في مكتبة المرحوم الملا علي حـكمت يقول الملا عبدالله قبل كتابة القصيدة : (من بنات أفكار الفاضل اللوذعي محمد فيضي أفندي الزهاوي المدرس ببغداد مُد ظله في مرثية والدي المرحوم الملا سليمان المتوفى سنة الف ومائتين وستين ، رحمه الله ثم كتب في آخرها : حرر بقـلم الحقير الأثيم عبد الله الخضري المدرس بقورية كركوك سنة ١٢٦٠ هـ) وهذا هو أصل القصيدة :

ألا إنما الدنيـا سجيتها الغـدرُ　　　فليس لمغرور بزخرفهـــا عذرُ

(١) في الجمع بين الدقيق والرحى والدوران مراعاة النظير

(٢) خضر : اسم قرية في ناحية (سه‌نكاو) في قضاء جمجمال بلواء كركوك

فظاهرها ود وباطنها قلًى — وإدبارها خير وإقبالها شرُّ
ورغبتها غيٌّ ورهبتها هُدًى — وطالبُها عبدٌ وهاربُها حُرُّ
وعزّتُها ذلٌّ وفرحتها أسًى — وصحتُها سُقمٌ وثروتها فقرُ
وإن سالمتْ لايسلم الناسُ بأسها (١) — تزور بأحيانٍ وفي الحال تزوَرُّ
توالي وتولي النيل ظُهراً وبعده — تعودُ تُعادي قبلَ أن يأتي العصرُ
هواها سبى الألباب وهي قبيحةٌ — نَعَمْ مالها حسنٌ ولكن لها سحرُ
مع القبح عمر الخاطبين صَداقُها — فما هي بالحَسنا ولم يغلها (٢) المهرُ
مكارهها أضعافُ ما يُشتهى بها — فضعف القوى نفعٌ وقوتُها ضرُّ
فمحسوسها في الباطن الجوع والظما — وملموسها في الظاهر البرد والحرُّ
سمِعنا بأن الحق مُرٌّ مذاقه — وعيش الدُنا معْ أنه باطِلٌ مُرُّ
ومشمومُها نتن وبَشْع مذوقُها — ومُبصَرُها نُكر ومسموعها هُجرُ
ونشكو بما ليست بدار قرارنا — قراءة أكدار فشكوتُنا شكرُ
فأسْعِدْ بمن عنها ترحّل سالفاً — من الباقيات الصالحات لها ذخرُ
وبدّلَ بالفاني المخلَّدَ باقياً — له آجلاً أجر وفي العاجل الذكرُ
كما ارتحل المولى سليمانُ ذلك الـ — ـتقى النقي الزاهد العابد البَرُّ
بطول بقاه لم يقصر من التقى — تقوم لياليه تصوم له الشُهرُ
ويشتاقُ أن لا تغرب الشمس هائما — ويكره في الإحياء أن يطلع الفجرُ
وأعلى قصور الخلد أولى بمؤمن — له طال في التقوى وفي الطاعة العمرُ
لَبَطن الثرى فخر على ظهره بما — غدى ثاوياً في بطنه ذلك الصدرُ
ورق له حزناً فلو كان ناطقاً — رثاه بما لم يُرثَ صخرٌ به الصخرُ

(١) المجلة : الصحيح « من بأسها » إلا أن باب فرح كثيراً ما يتعدى بحذف حرف الجر
(٢) المجلة : هكذا ورد وقد أراد تضمين « ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر »

وفي لي البكا في رُزئه وأمدّني ليالي لم ينصر ولم يصبر الصبرُ
ولو لم يخنّي الصبر مُتُّ خجالةً لخذلان صبري في مصيبته نصرُ
خليليَّ هل قام القيامةُ إنني يُخيل لي أن السماء بها فطرُ
وأن ضياء الشمس في قلبها لظىً وأن نجوم الزهر في كبدها جمرُ
لجاءت بدخان له الشمس كوّرت كما انكدرت فيها به الأنجم الزهرُ
وأن سكون الأرض نابته رجفة وأن الجبال الراسيات لها مرُّ
وإن بكت الأرض السما في بكاها فأعينها تجري وأدمعه قطرُ
وعاد غزيرُ الدمع منّا دماً نعم إلى النار يوم الحشر ينقلب البحرُ
لئن فات وهو الورد فابناه سلما لنا ماء ذاك الورد بعده والعطرُ
أعيذهما أن يجزعا لوفاته فبالصبر في القرآن قد علّق الأجرُ
سقت رحمة الرحمان قبره دائماً (١) وآنسه في لحده العفو والغفرُ

وله قصيدة عربية في رثاء إسماعيل باشا والي (شهرزور) المتوفى سنة ١٢٩٢ هـ ذكر منها في كتاب (صفحات خالدة من الأدب العراقي) عشرة أبيات فقط لا حاجة إلى إيرادها هنا .

إن المفتي كما كان شاعراً في الرثاء والمدح والتقريظ ، كذلك كان شاعراً في المناجاة ، والفلسفة ، والإباء ، والنقد لبعض الأحوال الاجتماعية ، والغرام ، والذم ، والشكوى ، والداعبات ، بل في أكثر المعاني المعروفة ، والأغراض المألوفة . فمن مناجاته في بعض خلواته قوله :

يا رب تاهت في ثناك عقول ما ذا عسى فيك المُقول تقولُ
إن الوجود ثنى (٢) عليك بأسره فثناء أهل الفضل فيك فضول

ومن أشعاره في الفلسفة قوله :

(١) المجلة : هكذا ورد الشطر مكسوراً
(٢) المجلة : هكذا ورد والصواب « أثنى »

وفوارة تروي عن الماء شيخها ... حديثاً صحيحاً مسنداً ومعنعنا[1]:

لمَن يتعدى الطورَ مثلِيَ مبتلى ... بذل ونكس ليس يسلم من عنا

ومنها قوله :

مَن صار يمشي بالعصا مِن كِبَرِ ... آن أوانُ أن يصير راحلا

أعني الذي على ثلاث أرجل ... يمشي على الأربع يمشي عاجلا

ومنها أيضاً قوله :

مُعظِّم خلق الله فيهم معزز ... لهذا تحاذى بالعيون المناظر

أي إن الذي ينظر إلى المخلوقات بنظر الاحترام سوف يلاقي منهم الاحترام ، ألا ترى أن المنظار يُحترم دائماً ويوضع على العيون لأنه يعظّم الأشياء ويكبّرها وعندي أن هذا المعنى

(١) الفوارة : منبع الماء ، وهي بحسب العرف أنبوب ينصب في وسط الحوض مرتفعاً عن سطح الماء لكي يفور منه الماء صاعداً تروي : بالفتح من روى الحديث رواية نقله ، والرواية نقل الخبر عن العدول حتى ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابي رضى الله عنه الراوي : الذي يروي الحديث عن غيره كالشافعي يروي عن مالك رضي الله عنهما الشيخ : الذي يروي الحديث لغيره أو يلقيه عليه الحديث : قول النبي أو فعله الصحيح : من الحديث ما اتصل إسناده بأن يكون كل من رجاله سمع ذلك المروي منهما روي عنه وأن يكونوا كلهم من الدرجة الأولى في العدالة والضبط ، وأن لا يكون فيه شذوذ ولا إعلال المسند : هو ما أضيف الى النبي بذكر رواته المعنعن : ما دخل في إسناده كلمة (عن) ، ثم إن في الجمع بين الحديث والرواية والشيخ والصحيح والمسند والمعنعن مراعاة النظير ، كما أن في كلمة (تروي) إيهام التناسب ، ذلك لأنها وقعت بين كلمتي (الفوارة) و (الماء) وهو الأمر الذى يوهم في بادىء الأمر أنها بالضم من الارواء المناسب لسابقه ولاحقه ، ومن البديع أن في آخر البيت الثاني مع آخر البيت الأول جناساً ملفقاً

ويعجبني في وصف الفوارة ما قاله الشاعر (عبد علي) ابن ناصر الشهير بابن رحمة الحويزي في كتابه الكبير المخطوط : (السيرة المرضية) الموجود بخطه في مكتبتي ، الذي يبحث عن الحوادث التأريخية والوقائع الجارية في عهد والي البصرة علي باشا ابن أفراسياب باشا من سنة ١٠٢٣ هـ إلى سنة ١٠٥٣ هـ ويلقي الضوء على عشرين سنة من الفترة المظلمة في أهم جزء من أجزاء العراق حيث قال :

رأيت فوارة في منزل خرب ... تبكي عليه بكاء العاشق الثمل

تذري الرياح إذا هبت مدامعها ... عليه حتى تروي الأرض بالبلل

هبها بكته أسى لكن مقلتها ... (لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل)

غير مسبوق إليه

ومنها أيضاً قوله :

لقد حُرم الأملاك نيل خلافة　　　فما لهم ذنب سوى عدم الذنب

ومنها أيضاً قوله :

حفيـدنا مِن أبنِـنا أحبُّ　　　الإبنِ قشر والحفيدُ لبُّ

ومن أشعاره فى نقد بعض الأحوال الاجتماعية قوله فى صورة الارشاد والوعظة مع شيء من الاقتباس :

لا تدعُ فى حاجة بازاً ولا أسـدا　　　الله ربك لا تشرك به أحـــدا

يتبين من هذا البيت أن المفتي كان موحداً من أعماق قلبه بحيث لا يشوب إيمانه أدنى شائبة من شوائب الاستغاثة بغير الله

وللمفتي كثير من الأشعار فى نقد بعض الأحوال الاجتماعية وخاصة فى قصيدته الفارسية وباقي أشعاره الأخرى التي أوردناها فى كتابنا الكردي (مفتي زهءاوي) فلنجتزيء هنــا بهذا القدر

يستنتج من هذه النقدات أن المفتي كان متأثراً بمحيطه الذي عاش فيه ، وكان ناقماً على بعض الأحوال الاجتماعية وبرماً بها وذلك مما جعله يشيب قبل أوانه ، كما قال مع شيء من الاقتباس :

شيبَ راسي فى شبابي　　　لا تعدوه عجيبا
إن هذا اليوم يوم　　　يجعل الولدان شيبا

وجعله يتمنى الموت لـكي يتخلص من هذه الدنيا الملأى بالغصص والاكدار

وللمفتي كثير من الأشعار الغرامية الرقيقة تمتاز بمعان رائقة ، وألفاظ موسيقية ، وله أشعار فى الطعن ، وأسلوبه فيه أسلوب حاد صريح ، فمثلا يقول فى الطعن على العالم الكبير (نصيرالدين الطوسي) صاحب كتاب (التجريد) فى علم الـكلام :

يا جامعاً بالسوء حسن كتابه　　　هلا خشيتَ عليك سـوء الخاتمه
جمع النصير الحسن فى تجريده　　　لـكنه بالسّوء أمسى خاتمه

ومن مداعباته أن الثلج أخذ يتساقط في الليلة التي كانت تسقط فيها الجمرة الثالثة وفي صباحها قال المفتي مداعباً :

قالوا السما قد أسقطت جمراتها صدقوا وهذا الثلج بعض رمادها

وللمفتي أشعار كثيرة أخرى قالها ارتجالاً بمناسبات خصوصية ، منها أن ابنه جميل صدقي الزهاوي الذي كان يحبه حباً جماً لكونه ذكياً وأديباً ومنكتاً ، ولكونه أصغر أبنائه ، ترك مجلس والده مدة من الزمن ، وكان يتردد الى مجالس جماعة من ذوي الشخصيات الأخرى ، فتأثر المفتي من ذلك ، وكتب اليه مرة بيتين فارسيين ذكرناها في الكتاب الكردي .

ومنها أنه قُتل في بغداد القاضي الثاني المدعو (نجم الدين) ضحوة نهار الثلاثاء الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦ م وقد أحدث قتله ضجة عظيمة وأسفاً عميقاً في جميع أوساط بغداد ، وذهب المفتي الى مجلس الفاتحة ، فقال عند دخول المجلس :

يا له من نجم سعد أفلا أفلا نبكي عليه أفلا ؟

ومنها قوله في جماعة من الحساد المعاصرين الذين حسدوه على ساعة ذهب أهداها اليه والي بغداد (مدحت باشا) مع الاقتباس :

من ساعة أعطيتُها قد زُلزلوا « زلزلة الساعة شيء عظيم »

إن المفتي كما كان شاعراً كذلك كان ناثراً أيضاً ، غير أنه كان يلتزم السجع ، ومن رسائله ما كتبه من بغداد الى العلامة أبي الثناء الآلوسي في استانبول ونقلها السيد الآلوسي في كتابه (غرائب الاغتراب) بحذافيرها فلا حاجة إلى ذكرها هنا

ومن نثره ما كتبه تقريظاً للقصيدة الرائية لعبد الباقي أفندي العمري المار ذكرها ، التي قرظها بقصيدته السابقة ، ولقد نشر هذا التقريظ في ديوان عبد الباقي .

كان المفتي متوقد الذكاء ، متين الحافظة ، حاضر الجواب ، سريع الخاطر ، إذا نظم أطرب ، وإذا نثر أعجب ، وكان مع الأدباء ذا فنون ، ومع الظرفاء ذا مجون ، ومع العلماء بحراً لا يدرك غوره وقعره ، وكان يجلس في مدرسته نهاراً ، وفي داره ليلا ، ويضم ناديه مختلف الثقافات ،

ويخاطب جلساءه بلغاتهم ، فيتكلم معهم تارة بالعربية ، وأخرى بالفارسية ، وآونة بالكردية أو التركية ، فلا تجد أحداً إلا كان مادحاً لأدبه ، ومكبراً لعلمه ، يقول (ملك الكلام) في كتابه المخطوط (سفرنامه) : « ما رأيت من العلماء أفصح وأبلغ وأجمع للفضائل من المفتي الزهاوي » .

وكان يجتمع عنده العلماء والأدباء والشعراء يسمرون السمر اللذيذ ، ويتحادثون الحديث اللطيف ، وكان له من الكلمات المستملحة والطرائف الأدبية والظرائف الشعرية والنثرية ما لو جمت لكانت ثروة أدبية خالدة ولكن يا للأسف كان نصيبها الضياع والتلف ، ولم يبق منها إلا النزر اليسير

وكما كان المفتي شاعراً وعالماً وأديباً ، كذلك كان خطيباً ارتجالياً مفوها ، قوي الحافظة ، متوقد الذكاء يروى أنه عندما عُزل السلطان مراد ، وجلس مكانه السلطان عبد الحميد وردت برقية سرية بهذا الصدد الى والي بغداد ، وعلى أثر ذلك دعا الوالي كافة الأمراء والعلماء والوجهاء وفاجأهم بالخبر ثم التفت الى المفتي وطلب منه أن يلقي بهذه المناسبة خطبة ، فنهض من مكانه حالاً وألقى خطبة بليغة تناسب المقام ، استهلها بقوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » وبذلك بهت الحاضرون كأنهم لم يسمعوا هذه الآية الكريمة من قبل

ويروى أيضاً أن خطيب جامع الخفافين مرض ذات مرة وكلف أحد طلابه أن ينوب عنه لقراءة خطبة الجمعة ، وكان المفتي يؤدي دائماً صلاة الجمعة في الجامع المذكور ، وفي صبيحة يوم من أيام الجمعة التي قرر فيها الخطيب أن يخطب فيها بنفسه زاره عبد الباقي أفندي العمري ونهاه عن ذلك بحجة أنه بحاجة ماسة الى الاستراحة لمدة أسبوع آخر ، فوافق الخطيب عليه ، وكلف أحد الحاضرين باعلام الوكيل ، فتعهد عبد الباقي به ، إلا أنه لم يخبر الوكيل عمداً ، وكان يقصد بذلك أن لا يحضر الوكيل فيضطر المفتي حينذاك الى إلقاء الخطبة بصورة إضطرارية وارتجالية من دون سابق علم ، معتقداً أنه غير قادر على القيام بهذه المهمة ، وعلى أثر ذلك دعا كثيراً من الشخصيات البارزة لاقامة صلاة هذه الجمعة في الجامع المذكور ، فاجتمع فيه خلق كثير من

الوجهاء والأدباء وحضر المفتي على عادته وكان غافلاً عن كل ما دبّر عليه ، وبعد الأذان انتظر الحاضرون كثيراً فلم يحضر الخطيب ، وحينئذ طلب عبد الباقي من المفتي أن يلقي الخطبة نكاية به ، فتنبه المفتي ونهض حالاً وألقى خطبة ارتجالية بليغة بحث فيها عن الدنيا وزوالها ، وفي أثنائها أنشد هذين البيتين لابن العربي واستشهد بهما وهما :

رأيت خيال الظل أكبر عبرة   لمن كان في علم الحقيقة راق

شخوص وأشباح تمر وتنقضي   وتفنى جميعاً والمحرّك باق

وكان المفتي يشير بيده الى عبد الباقي العمري

على أن قيمة المفتي ليست في شعره أو نثره أو خطاباته ، بل إنما هي في علمه ، فانه كان منار العلم وعلما من أعلامه ، نشر العلم في أوساط رفيعة ، وارجاء فسيحة ، وأسس نهضة علمية عميقة وأذاق طلابه معنى التحقيقات والتدقيقات العلمية والفنية ، ومرّنهم على جودة الاحتراز وحل المشاكل العلمية ، بحيث انتهت اليه في بغداد رياسة العلم والتدريس والافتاء والمناظرة ، فقد برع فيها وساد أقرانه ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقّاد ، وعلمه الواسع ، وسرعة الحافظة ، وقوة الادراك والفهم ، وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يسمع شيئاً لا يحفظه ، ولم يكن قط يحفظ شيئاً فينساه وله في المحافل حتى الآن مباحث مشهورة ، وفي المجالس والمشاهد كلمات مأثورة

نظر في العقليات وعرف أقوال المتكلمين ، وأحاط بآدابهم وبأسرار كلامهم ، وبرع في جميع العلوم الاسلامية ، ولا سيما علم الكلام والجدال ، وكان يفوق أقرانه ويبرز على أهل زمانه ، وقد جادل كثيراً من علماء إيران ومجتهديها ، وكان النجاح حليفه دائماً ، وكان ينصر السنة بدلائل ساطعة وبراهين قاطعة ، وكان ولاة بغداد كثيراً ما يقيمون حفلات عامة لهذه المناقشات العلمية ، وكانوا ينصبون سرادقات ويجمعون حشداً كبيراً من العلماء والأمراء والأدباء ، وذلك بمناسبة مجيء عالم ، وفاضل أو مجتهد إيراني الى بغداد ليدخلوا مع المفتي في المناقشة المذهبية ، وكانت مناقشاتهم تستمر ساعات ، وكان المفتي دائماً يخرج منها ظافراً ، ولم يكن قط يخاف في الله لومة

لائم ، ولا صولة صائل كما قال :

إنا نقول الحق بالمحافل ونبطل الباطل بالدلائل
ولا نخاف لومةً من لائم ولا نَهاب صَولةً من صائل

وبالرغم من هذه المكانة العلمية السامية والمعلومات الواسعة التي يتحلى بها المفتي ، وبالرغم من هذا العمر الطويل الذي امتد نحو قرن واحد ، فهو لم يؤلف كتاباً يليق بمكانته الرفيعة ، وذلك لعوامل منها ، أنه كان يعتقد أنه لا جديد فى الدنيا ، وأن كل ما يكتب ويؤلف تكرار محض ، ومنها ، أنه كان يعتقد أن العلم مكنوز فى خزائن الكتب ، وأن العلم هو فهم ما تركه السابقون وما على العلماء الا الكشف عن هذه الكنوز بالبحث والدرس ومنها ، إنه كان مهمكا فى التدريس وفى صرف ما وسعه لتنشئة العلماء والأدباء والمدرسين ، وكان يعتقد أن تأليف كتاب من العلماء ، أي تعليمهم ، أحسن بكثير من تأليف مئات كتب تبقى مهجورة فى زاوية المكتبات ، كما قال :

عاق تدريسي عن التأليف لكنْ ما أنا من فضل ربي متأسف
من تلاميذي ألّفت كتاباً كل سطر منه فى العلم مؤلف

نعم ، إن المفتي ترجم كتاب المكتوبات للامام الرّباني من الفارسية الى العربية ، وهو كتاب كثير الصفحات واسع الأبواب والفصول ، بل بحر زاخر فى علم التصوف والكلام ، يبحث عن مراتب التصوف وأحوال الصوفي ومقاماته المعنوية باصطلاحاتهم الخاصة وتعابيرهم الرقيقة الغامضة ، ولقد أبدع في الترجمة أي إبداع إذ قام بترجمة النثر بالنثر والنظم بالنظم على أحسن ما يراد .

كان المفتي الزهاوي صحيح البنية ، رفيع القامة ، كبير الهامة ، واسع العينين ، عريض الصدر ، قوي الاعصاب ، جميل الصورة ، لطيف الشكل في رقة ألفاظ ، وعذوبة كلام وفصاحة وبيان .

ولما بلغ التسعين من عمره نظر يوماً فى المرآة ، فرأى فيها شيخاً طاعناً فى السنّ رق جلده ، ووهى عظمه ، واشتعل رأسه شيبا ، وخارت قواه ، عليـــه آثار الشيخوخة ، وعلائم الوداع الأخير من الدنيا الفانية ، وتذكر بهذه المناسبة الحياة وملذاتها الصبيانية وقال :

بان لي فى المرآة شيخ كبير   عاش حتى تعرف الأحوالا

قلت كم عشت ؟ قال تسعين عاما   قلت ماذا فعلت فيها فقالا :

أكلات دفعتها فضلات   وشروباً أرقتهـا أبوالا

وثياباً لبســتها فاخرات   جُدُداً ونزعتها أسمالا [1]

والحق أنه صور لنا فى هذه الأبيات الأربعة لوحة طريفة ، وصورة دقيقة للحياة الدنيا

إن المفتي عاش قرناً تقريباً ، خدم فيه العلوم الاسلامية ، والأدب العربي بشعره ونثره ، ونشر فيه ألوية التدريس فى السليمانية وكركوك وبغداد حوالي ثلاثة أرباع قرن ، وتخرج من مدرسته مئات العلماء والأدباء والمؤلفين والمؤرخين ، كما ولي الافتاء فى بغــداد مدة ثمان وثلاثين سنة متوالية ، دافع فيها عن الاسلام والمسلمين دفاع الابطال ، وجاهد فى سبيل الحق ، وكافح أهل البدع ، ولم يخف فى الله لومة لائم ، فلا بدع أن قلنا إنه كان من أعلام مجددي القرن الثالث عشر الهجري فى التدريس والافتاء ونشر الثقافة الاسلامية ، ولم يزل فى هذه الخدمات العظيمة حتى ناهز المائة وأقعده الدهر الذي لا يرحم أحـداً ، وفى آخر أيام حياته أصيب بوعكة ألمت به أياماً قليلة ، وفى ليلة الاثنين ثالث جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م أســلم روحه الطاهرة لبارئها ورجعت الى ربها راضية مرضية ، فاهتزت بغداد لموته ، وحضر تشييع جنازته الوالي والمشير ، واحتشد آلاف من الأشراف والأعيان ورجال العلم والفضل والأدب ، ودفن فى مدرسته المشهورة بالمدرسة السليمانية

---

(١) ان الشاعر جميل صدقي الزهاوي ضمن أشعار والده هذه في قصيدة طويلة ، يقول بعد البيت الرابع :

كل شيء مع الجديدين يفنى   ثم يبقى جلال ربنا فتعالى (كذا)

مات المفتي وهو تقي نقي زاهد عابد ورع غيور على العلم والعلماء ، ورثاه كثير من الأدباء والفضلاء ؛ منهم الوزير (سري باشا) في مجموعة تسمى (نطقلر مجموعه‌سي) يعني مجموعة الخطب ، ومنهم السيد أحمد الراوي الواعظ المشهور بابي الحلق الذهب ، ومنهم السيد عبد الوهاب أفندي النائب ، ومنهم العالم السيد عرفان أفندي المدرس بمدينة السليمانية م ؟

محمد الخال

نظرية التوازي وأثر العرب فيها

يُعد كتاب « أصول الهندسة » لاقليدس من أعظم الكتب المدرسية Text Books ، التي أثرت في تطور الرياضيات منذ حدود عام ٣٠٠ ق .م حتى اليوم ومن الصعوبة بمكان أن نأتي بمثل كثيرة على هذا النوع من الكتب التعليمية فلو عددنا هذا الكتاب مثالاً من العصور القديمة ، لأمكن أن نعد كتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمي مثالاً من العصور الوسطى ، لأن منه نشأ اسم الجبر ، وانتشر موضوع الحساب الجبري أما في العصور الحديثة بعد أن نشأت الحضارة الغربية ، فقد يختار المرء ما بين كتاب « الهندسة » لديكارت الذي انبثقت منه الهندسة التحليلية أو كتاب « الأسس Principia » لنيوتن الذي نجد فيه أول تصميم دقيق للكون ، وكتاب « البحوث » لكاوس الذي نشره يوم كان في الرابعة والعشرين من عمره وتعرّض فيه لخطوط الرياضيات العريضة ؛ أو لربما اختار كتاب « مقدمة في الجبر » لاويلر الذي فيه مزج الجبر بالتحليل الرياضي فأتمم الثاني بضبط الأول وهكذا ولد التحليل الحديث ويمتاز كتاب « الأصول » عن كافة هذه الكتب بكونه أول كتاب نجد فيه روح البرهنة الرياضية السليمة ، التي أصبحت فيما بعد ، مناراً للأنظمة المنطقية في كثير من فروع المعرفة فالفيلسوف سبينوزا مثلاً يحاول — في كتابه « الأخلاق » — أن يسرد مناقشاته وحججه الفلسفية بشكل نظريات مبنية على الفرضيات والتعاريف ومترابطة فيما بينها ترابط القضايا الهندسية المعروف لدى كل من درس مبادئ الهندسة المستوية لذا أرى من المناسب أن أقف قليلاً عند كتاب « أصول الهندسة » لنعرف منشأه ومحتوياته ورجاته وأثره

لا يُعرف على وجه التحديد متى نُشر هذا المؤلَّف ، كما لا يعرف شيء عن مولد مؤلفه

محاضرة عامة ألقيت في جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية في العراق بتاريخ ١٩٥٨/٤/٩

اقليدس أو موته وكل الذي نعرفه أن إقليدس نشر كتابه هذا فى حدود عام ٣٠٠ ق.م فى مدينة الاسكندرية بمصر فقد عاش إقليدس معظم حياته أستاذاً بجامعة الاسكندرية ، ولا نعرف له من المؤلفات شيئاً آخر ولم يصل إلينا عنه أنه ابتدع هذه النظريات الواردة فى كتابه ، لا بل إن قسماً كبيراً من المؤرخين لا ينعتونه بأكثر من جامع ومرتب ومنسق للمعلومات المذكورة فيه ولكن الانصاف يحمل ذوي الأغلبية من الكتّاب يشيدون بفضله فى هذا العمل الأول من نوعه ، وهو الذي أصبح فى أكثر من ألفي سنة كتاباً مدرسياً يستعمل فى مدارس أوربة وأفريقية وآسية وحتى أمريكا ولو لوقت غير قصير ويلوح أن الكتاب الأصلي بلغته الإغريقية لم يُتداول كثيراً منذ زمن بعيد ، وأن أقدم نسخه المتداولة هي ترجماته العربية ولقد جاءتنا ترجمات عربية عديدة لهذا السفر النفيس ترجع إلى نصير الدين الطوسي ويوحنا القس وثابت بن قرة والجوهري وغيرهم وتُعد ترجمة الطوسي من أشهرها ولذلك سنعود إليها فيما بعد

أما ترجمة هيث الانكليزية التي نشرها فى حدود سنة ١٩٢١ ، فقد نقلها عن الاغريقية مع شروح وافرة ومقارنة مسهب فيها بالتراجم العربية وقد نشر هذه الترجمة فى ثلاثة أجزاء تُعتبر تحفة كلاسية رائعة فى تاريخ الرياضيات

إن أول ترجمة إنكليزية هي التي كان قد قام بها إديلارد الباثي عن نسخة عربية وجدها فى قرطبة . أما ترجمة هيث فهي أدق التراجم على العموم وأوثقها وأكثرها شيوعاً ، ولذلك سنرجع اليها دون غيرها كلما اقتضت الضرورة ذلك

محتويات « الأصول » :

لقد بنى إقليدس « أصوله » على التعاريف والفرضيات كما تجب الحال مع أي نظام منطقي سليم . ومن دون الفرض لا يمكن البرهان ، لأن الاثبات المنطقي لا بد أن يرتكز على نقطة ابتداء مفروضة بغير مناقشة وإلا فالحلقة المفرغة لا مناص منها ووضع أقليدس إلى جانب

بعض التعاريف المتعلقة بالنقطة والخط والمستوي وحدود الخط والمستوي ، وكذلك الزاوية وأنواعها والأشكال وأجزائها ، عشر فرضيات استند إليها في أشتقاق نظريات الهندسة الاقليدية المعروفة وضع هذه البديهيات في مجموعتين : الأولى سماها بالمفاهيم العامة Commonnotions والثانية دعاها بالبديهيات أو المصادرات Postulates كما أطلق عليها العرب الأقدمون

وتتألف المفاهيم العامة من خمس فرضيات هي :

١ — الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية فيما بينها

٢ — إذا أضيفت كميات متساوية الى أخرى متساوية تكون النتائج متساوية

٣ — إذا طرحت مقادير متساوية من أخرى متساوية تكون البواقي متساوية

٤ — الأشياء المتطابقة متساوية

٥ — الكل أكبر من جزئه

وأما الفرضيات الهندسية فعددها خمس أيضاً وهي :

١ — من الممكن الوصل بين أي نقطتين بخط مستقيم

٢ — يجوز مدّ قطعة المستقيم من جهتيها إلى غير حد

٣ — يمكن رسم الدائرة إذا عُلم مركزها ونصف قطرها

٤ — جميع الزوايا القوائم متساوية

٥ — إذا قُطع مستقيمان بمستقيم ثالث بحيث كان مجموع الزوايتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع أقل من قائمتين فان المستقيمين يتلاقيان فى تلك الجهة من القاطع إذا مُدّا إلى غير حد

وبعد أن قدم اقليدس هذه الفرضيات ، بدأ باشتقاق نظرياته الواحدة بعد الأخرى ولسبب ما ، أراد أقليدس أن يعرف الى أي حد يستطيع أن يسير بالمفاهيم والفرضيات التسع الأولى ومن دون الفرضية العاشرة التي أطلق عليها اسم الفرضية الخامسة أو فرضية التوازي وقد توفق فى اشتقاق ٢٨ نظرية فقط دون أن يلجأ الى استخدام بديهية التوازي هذه ومن بين هذه

النظريات ، النظريــة ١٧ وتنص على أن مجموع أي زاويتين في مثلث أقل من قائمتين ، وهي معكوس الفرضية الخامسة أما نظرية ٢٧ فتقول بأنه إذا قُطع مستقيمان بقاطع وكانت الزاويتان المتبادلتان الداخليتان متســاويتين ، توازى المستقيمان ومن الجدير بالذكر أن نقول إن أي مستقيمين ، على رأي اقليدس ، إما أن يتقاطعا فيكونا متقاطعين وإما أن لا يتقاطعا فيكونا متوازيين ، ولا ثالث لهذين الاحتمالين أما نظرية ٢٨ فتنص على أنه إذا قطع مستقيم مستقيمين وكانت الزاويتان الداخليتان الخارجيتان والواقعتان على نفس الجهة من القاطع متساويتين ، أو كان مجموع الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع يساوي قائمتين ، يكون المستقيمان متوازيين

ومن السهل استخراج هاتين النظريتين ومن غير استعمال الفرضية الخامسة أما لماذا يجنب أقليدس فرضية التوازي في البرهنة على نظرياته الثماني والعشرين الأولى ، فسيبقى ذلك لغزاً غير قابل للحل من الوجهة التاريخية فقد يكون سببه نفسياً أو منطقياً أو فلسفياً . والذي يمكننا أن نقرره : هو أن أقليدس لم يستعمل بديهية التوازي إلا في البرهان على نظرية ٢٩ وأنه لم يحاول أن يبرر هذا العمل بأي شكل من الأشكال ، مع العلم بأن عمله هذا لا يتطلب التبرير من الوجهــــة المنطقية البحتة

وتنص نظرية ٢٩ من كتاب « الأصول » على ما يلي :

إذا قُطع مستقيمان متوازيان بقاطع فان الزاويتين الداخليتين المتبادلتين متساويتان ، والزاويتين الخارجيتين الداخليتين متساويتان ، وكذلك مجموع الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع يساوي قائمتين

وبدلاً من أن أسرد برهان أقليدس لهذه القضية الذي في استطاعة الفرد أن يذكره بسهولة ، سأنتقل الى تحليل الوضع الذي ترتب على هذه النظرية واستعمال بديهية التوازي في إثباتها

فمنذ البداية وعقب أقليدس مباشرة ، لم يرتح الرياضيون الهندسيون لعمل أقليدس هــذا ، ولذلك حاولوا أن يجــدوا له بديلاً يرضون عنه وبامكاننا أن نحدد موقف هؤلاء بواحد من

الأوضاع الآتية :

(١) اعتقد قوم أن فرضية التوازي ليست فرضية بحق ، وكان أولى بأقليدس أن يستنتجها من بقية فرضياته التسع ، وبذلك يضعها في قائمة النظريات وهكذا حاول قسم غير قليل من الرياضيين أن يقوم بهذا العمل الذي لم يفعله أقليدس

(٢) وظن قوم آخرون أنه في الامكان البرهنة على نظرية ٢٩ من دون استخدام فرضية التوازي ، فان صح ذلك فستصبح هذه الفرضية لامحل لها من الاعراب

(٣) وحاول قسم ثالث من علماء الرياضيات أن يفيد من نقيض فرضية التوازي ، لاثبات الفرضية نفسها ، وذلك بواسطة خلاف الفرض أو الطريق غير المباشر في البرهان وهكذا فقد أضاف هؤلاء الناس منقوض الفرضية العاشرة الى الفرضيات التسع ، واستمروا على اشتقاق نظريات جديدة علهم يقعون على تناقض في النتائج أو تضارب في النظريات ، وبذلك يبررون صحتها ويثبتون في عين الوقت إمكان استخلاصها ما ذا كانت النتيجة ؟

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال ، نود أن نشير ، ونحن في هذه المرحلة ، الى أن فرضية التوازي من بين الفرضيات الأخرى لا يمكن تحقق صحتها أو خطأها بصورة اختبارية إن نحن مثلنا الخط المستقيم بشعاع من الضوء أو بخيط رفيع مثلاً والمهم في هذه البديهية أنها تخص المستقيم بكمال طوله إذا تصورناه يمتد الى غير حد في طرفيه ، لأن قولنا : إن مستقيمين متوازيان ، إنما يعني أنهما لا يلتقيان مهما أمتدا ومن الواضح أن هنالك مستقيمات عديدة تمر من نقطة معينة ولا تقطع مستقيماً مُعطى ضمن أية مسافة ثابتة محدودة مهما كانت كبيرة . وبما أن الطول الأعظم الممكن أن تأخذه مسطرة حقيقية أو يأخذه خيط رفيع أو حتى شعاع الضوء الظاهر من خلال تلسكوب هو من المؤكد محدود ، وبما أنه من الممكن رسم ما لانهاية له من المستقيمات داخل أية دائرة محدودة من نقطة معينة بحيث لا تقطع مستقيماً معيناً داخل الدائرة ، فمن الواضح أن هذه الفرضية لا يمكن تأكيد صحتها بالاختبار العملي أو التجربة ولذلك فهي تختلف عن سائر فرضيات أقليدس التي تتلك جميعها طابعاً محدوداً بكونها تتعلق بأجزاء محدودة من المستقيمات

وبأشكال مستوية محدودة الامتداد ولأن هذه الفرضية لا يمكن تحققها بالاختبارات العملية ، يتملكنا الشك فيما إن كانت قابلة للاستنتاج من بقية الفرضيات

ولكننا نعود إلى شرح بعض المحاولات العديدة التي بذلها رياضيون كفاة في حل مغاليق هذا السر الدفين وبطرق عظيمة متنوعة لمدة تزيد على الفي سنة ، يحسن بنا أن نتذكر بعض العبارات الهندسية المكافئة لفرضية التوازي التي يحق لنا أن نستعيض بها عن هذه الفرضية متى شئنا ذلك يقال لفرضية ف ١ إنها تكافيء الفرضية ف ٢ بوجود نظام من فرضيات أخرى ط إذا كان ط + ف١ يؤدي الى استنتاج ف٢ وكذلك ط + ف ٢ يقود الى استخلاص ف ١ . وبهذا المعنى نستطيع ان نثبت ان أياً من العبارات الآتية يكافيء فرضية التوازي :

١) لا يمكن رسم أكثر من مواز واحد لمستقيم مفروض من نقطة خارجة عنه .

٢) مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين

٣) البعد بين مستقيمين متوازيين ثابت لا يتغير

٤) اذا قطع مستقيمٌ أحد مستقيمين متوازيين فانه يقطع الآخر

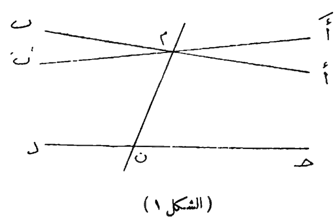
٥) المستقيمات الموازية لنفس المستقيم تكون متوازية فيما بينها .

٦) يوجد زوج من المثلثات المتشابهة

٧) من الممكن إمرار دائرة بثلاث نقاط لاتقع على استقامة واحدة

٨) إذا احتوى الشكل الرباعي على ثلاث زوايا قوائم فان زاويته الرابعة تكون قائمة أيضاً.

هذه هي أشهر النظريات التى تكافيء بديهية التوازي الاقليدية ، وهي جزء صغير من عدد ضخم لهذا النوع من العبارات الهندسية وكمثال ، دعنا نثبت العلاقة التكافؤية ما بين فرضية أقليدس والعبارة الأولى فى القائمة المذكورة اعلاه والمسماة بفرضيـة بليفير ، التي تنص على عدم إمكان رسم أكثر من مواز واحد لمستقيم من نقطة خارجة عنه .



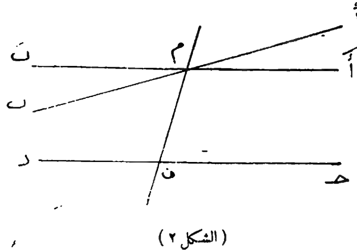
(الشكل ١)

لنفرض أن ا ب ، حـ د مستقيمان وقد قطعا بالمستقيم م ن بحيث كان مجموع الزاويتين أ م ن ، حـ ن م أقل من قائمتين سنثبت أن أ ب و حـ د يتلاقيان فى هذه الجهة من القاطع م ن من نقطة م ، ارسم أ بَ بحيث يكون مجموع الزاويتين أ م ن ، م ن حـ يساوي قائمتين فبموجب نظرية ٢٨ من « كتاب الأصول » يكون أ ن موازياً للمستقيم حـ د (الشكل ١) . فلو افترضنا عدم إمكان رسم أكثر من مواز واحد للمستقيم حـ د من نقطة م — حسب فرضية بليفير — كان عند ذلك واجباً أن يلاقي المستقيم أ ب المستقيم حـ د ، وبذلك نثبت فرضية أقليدس الخامسة .

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن تلاقي هذين المستقيمين يجب أن يكون فى الجهة التي فيها مجموع الزاويتين الداخليتين أقل من قائمتين ، وإلا تكون مثلث فيه الزاوية الخارجية أقل من واحدة من زاويتيه الداخليتين ، وهذا مناقض لنظرية ١٦ من « الأصول »

ومن أجل أن نثبت العكس وهو استخلاص نظرية بليفير من فرضية أقليدس ، نفترض ان أ ب ، أ بَ موازيان للمستقيم حـ د من النقطة م (الشكل ٢) .

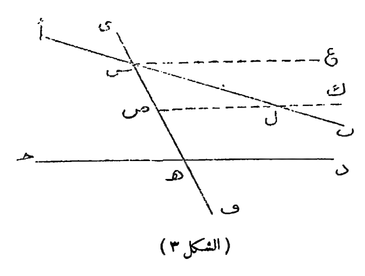
أي مستقيم م ن يمر من م ويقطع حـ د يحدث زاويتين مجموعها قائمتين لذلك فكل من زاوية أ م ن + زاوية م ن حـ ، زاوية أَ م ن + زاوية م ن حـ ، يساوي قائمتين ، وهذا تناقض فيجب لذلك أن ينطبق المستقيم أ ب على المستقيم أ بَ ، وبذلك يتم المطلوب اذن ففرضية أقليدس وبديهية بليفير متكافئتان من الوجهة المنطقية



(الشكل ٢)

ولننظر الآن فى علاقة فرضية أقليدس بالعبارة التي تنص على « وجود زوج واحد من المثلثات المتشابهة » وهي المسماة بفرضية جون والس أما أن هذه العبارة يمكن استنتاجها من فرضية أقليدس فى التوازي فهو أمر معروف عند كل من درس مبادي الهندسة المستوية فوجد أن التشابه بين المثلثات يمكن إسناده الى التوازي بين أضلاعها أما عكس ذلك وهو امكان استنتاج الفرضية الاقليدية من وجود زوج واحد من المثلثات المتشابهة فهو أمر لطيف

ليكن المستقيان ا ب ، ﺣ د مقطوعين بالمستقيم ى ف فى النقطتين س ، ه على التوالي (الشكل ٣) بحيث كان المجموع زاوية ب س ه + زاوية س ه د أقل من قائمتين



(الشكل ٣)

من الواضح أن زاوية ى س ب أكبر من زاوية س ه د فلو تحركت القطعة ه س على المستقيم ى ف ، بحيث يكون المستقيم د ح مثبتاً بصورة محكمة بالمستقيم ف ى فى نقطة ه ، الى أن تنطبق النقطة ه على النقطة س ، عند ذلك يأخذ المستقيم د ح الوضع س ع لذلك فأثناء حركته هذه يجب على المستقيم د ح أن يقطع المستقيم س ب كما فى الوضع ص ك مثلاً فلو رسمنا الآن مثلثاً على القاعدة س ه مشابهاً للمثلث س ص ل ، وذلك ممكن بحسب فرضية والس ، فسيقطع المستقيم ه د المستقيم س ب ويتم المطلوب .

إن هذا الاثبات الأخير ، في الواقع يعود إلى جون والس نفسه ، وقد قدمه إثباتاً لفرضية التوازي ولكنه نسي أنه يدور فى دائرة من المنطق لأنه استخدم هذه العبارة التي هي صورة أخرى من فرضية التوازي فى إثبات فرضية التوازي نفسها

كما قلنا سابقاً ، لقد رحب الرياضيون منذ البداية بفرضيات أقليدس الا فريضته فى التوازي ؛ فهم مع أنهم لم ينكروها اعتقدوا أن محلها الطبيعي هو فى عداد النظريات ، لا مع البديهيات لذلك حاول عدد غير قليل منهم أن يبرهن على صحة هذه الفرضية باستعمال الفرضيات التسع الباقية ، واتخذوا لذلك سبلاً متنوعة ، منها مباشرة ، ومنها غير مباشرة ، كطريقة خلاف الفرض أو إثبات نظرية ٢٩ من دون استخدام بديهية التوازي ، أو اشتقاق إحدى العبارات المكافئة للفرضية من بقية الفرضيات وقد استمرت هذه المعركة الشديدة الصامتة ما يزيد على ألفي سنة ، وقفت بعدها فرضية التوازي كالطود الشامخ وقد أكسبها هذه المدة نضجاً ، وزادها قوة وثباتاً وكان من نتاج هذه المعركة المريرة نشوء هذا الطابع الضبطي الناشف فى الرياضيات عامة ، والرغبة فى نقد الفرضيات وتمحيصها وهو مما أدى الى ظهور موضوع أسس الرياضيات Foundations of Mathematics علماً قائماً بذاته ، وتفرعت منه أخيراً مواضيع أخرى هي المنطق الرياضي وعلم ما وراء الرياضيات Metamathematics وفلسفة الرياضيات وكذلك وقد ولدت أيضاً الهندسة اللا أقليدية ، وهي علم لايقل أهمية عن نقيضه الهندسة الاقليدية ، من حيث النظر أو التطبيق

إن أول محاولة لاثبات فرضية التوازي قام بهـا بطليموس ، حيث قصد أن يستنتج نظرية ٢٩ بغير استخدام هذه الفرضية وتتلخص محاولته مما يلي :

قال بطليموس : إن امتدادي المستقيمين ، المقطوعين بثالث ، على جهة من القاطع ليسا أكثر توازياً من امتداديها فى الجهة الأخرى فلو كان مجموع الزاويتين الداخلتين فى احدى الجهتين يقل عن قائمتين لـكان هذا المجموع يقل عن قائمتين فى الجهة الأخرى أيضاً وهكذا يكون مجموع الزوايا الأربع أقل من أربع قوائم ، بينما هو فى الواقع يساوي زاويتين مستقيمتين . ويمكن توليد مثل هذا التناقض لو فرضنا أن مجموع الزاويتين الداخليتين أكثر من قائمتين ، وهكذا استنتج نظرية ٢٩

وبدلاً من أن أبين المغالطة فى هذه المناقشة التي أُريدَ بها برهان النظرية ٢٩ ، سأترك ذلك لأنه ليس مما يصعب تبيانه ؛ وسأنتقل إلى بروكلس بعد بطليموس حيث ترك محاولة فى حدود عام ٤٠٠ ب . م وكان بروكلس قد اطلع على محاولة بطليموس فلم يقتنع بها وأراد أن يأتي بأحسن منها . لذلك أراد بروكلس أن يتجنب هذه الفرضية باعطاء تعريف جـديد للتوازي ، فعرّف المستقيمين المتوازيين بأنهما المستقيمان اللذان تكون الأبعاد بينهما متساوية . ولـكنه لم يوفق للاحظة أنه بهذه الخطوة قد حوّل الصعوبة من محل الى آخر بدلاً من أن يحلها . فهذه الفرضية ، كما ذكرنا ، شكل ثان لفرضية أقليدس ثم قام بمحاولة ثانية فعرّف الموازي كمحل هندسي للنقاط التي تبعد بأبعاد متساوية عن مستقيم معلوم الا أنه فى هذه المرة أثار مشكلة جديدة إذ عليه الآن أن يثبت أن هـذا المحل الهندسي هو خط مستقيم ولأنه لم يتمكن من إثبات ذلك فقد سلّم هذه الخاصية من دون برهان ، وهكذا لم يفلت من دائرة التوازي ففسر الماء بعد الجهد بالماء كما يقولون !

بهذا القدر من المعلومات حول نظرية التوازي نستقبل الحضارة العربية . وكما هو معلوم جيداً كان العرب فى عصر الاسلام قد درسوا العلوم اليونانية وشغفوا بها ، وحفظوها ووسموها فى جوانب عدة وأضافوا اليها أشياء قيّمة ، ثم نقلوها إلى أوربة ، وبذلك نقلوا أوربة من

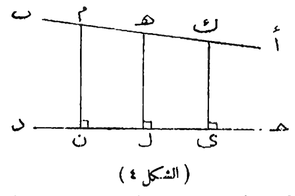
الظلمات إلى النور وكان كتاب « الأصول » من أشهر الـكتب الاغريقية التي ترجمها العرب فى مناسبات عديدة وفى ترجمات مذيلة بتعليقات وهوامش مع حواشٍ وإضافات ومن أهم الترجمات التي قام بها نصير الدين الطوسي ، التي فيها برز اهتمامه وتضلعه من نظرية التوازي

ولد محمد بن محمد بن الحسن أبوجعفر خواجة نصير الدين الطوسي عام ١٢٠١م فى خراسان . وأدركته المنية سنة ١٢٧٤م ببغداد ولقد بدأ الطوسي حياته العلمية بدراسة مؤلفات أفلاطون وأرسطو وارشميدس وبطليموس وابولونيوس وأقليدس واهم بكتب ثابت بن قرة وقسطا بن لوقا والحجاج بن مطر والخازن وعمر الخيام وقد ترك الطوسي ترجمتين لـكتاب الأصول ، وبذلك أضافها الى ترجمات ثابت بن قرة والحجـاج بن مطر وغيرهما وبلغتنا طبعتان لترجمتي الطوسي الأولى فى رومة عام ١٥٩٤م والثانية فى طهران عام ١٨٨١ م والثانية تتميز عن الأولى باحتوائها على الجزءين الرابع عشر والخامس عشر مضافين الى الأجزاء الثلاثة عشر الأولى الموجودة فى الثانية

ومن ترجمته يلوح أنه كان أول من لفت النظر ، فى دراساته لنظرية التوازي ، إلى النتيجة القائلة بأن مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين ونجد فى محاولاته لاثبات فرضية التوازي بذوراً حية لافكار مهمة سُقيت فنمت وأثمرت فأينعت وكان قطوفها علم الهندسة اللا إقليدية لذلك نرى جون والس الانكليزي وجيرو لامو ساكيري الايطالي يذكران فى مؤلفيها الخاصين بنظرية التوازي فضل الطوسي فى هذه النظرية ومرجعهما إليه فى دراساتهما للموضوع

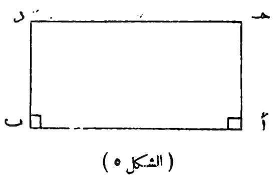
وفى محاولة نصير الدين لاثبات فرضية التوازي ، يفترض البديهية الآتية التي اعتقد أن الاحساس العام Commonsense يسندها ويبرر الاعتماد عليها وهي :

إذا رسم مستقيمان ا ب ، حـ د بحيث كانت الأعمدة م ن ، هـ ل ، ك ى ، ... الخ (الشكل ٤) المرسومة من أحدهما على الثاني تعمل مع أ ب زوايا حواد من جهة أ وبالتالي منفرجات فى جهة ب فان المستقيمين أ ب ، حـ د يتباعدان فى جهة ب د ويتقاربان فى جهة أ حـ ، وبذلك تقصر الأعمدة فى الجهة الأولى ، وتطول فى الجهة الثانية والعكس صحيح كذلك بعد هذه الفرضية التي



(الشكل ٤)

سلـمها بغير سؤال ، اتخذشكلاً كان من حسن حظه أن يشهر ويمثل دوراً مهماً في دراسة التوازي . ويتألف هذا الشكل (الشكل ٥) من إقامة عمودين متساويين من طرفي قطعة مستقيم ا ب وعلى نفس الجهة منه مثل أ حـ ، ب د وأخذ أ حـ = ب د ثم اكمل الشكل الرباعي بوصل النقطتين حـ ، د . وبالاستناد الى فرضيته المذكورة في أعلاه وبطريقة خلاف الفرض يتوصل إلى أن



(الشكل ٥)

الزاويتين أ حـ د ، ب د حـ قائمتان إذ قال : لأنه لو أمكن أن تكون الزاوية أ حـ د حادة لـكان ب د أقصر من أ حـ حسب فرضيته ، وهو خلاف الفرض وكذلك لا يمكن لهذه الزاوية أن تكون منفرجة وهكذا فقد انقاد في استدلاله إلى أن كلاً من الزوايا الأربع قائمة ، وبذلك يكون المثلثان الناشئان من وصل ا د متطابقين وهو الأمر الذي ينتج عنه أن مجموع زوايا كل منها قائمتان ، وهذا معناه أنه توصل الى إثبات لفرضية التوازي على ما يظهر

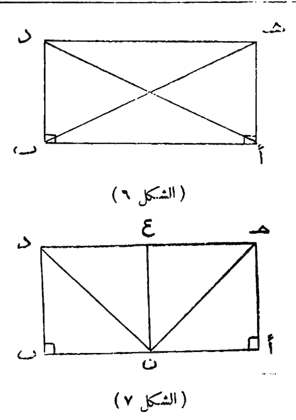
ومن المهم أن نذكر ، مع أن هذه المحاولة لم تنجح كغيرها من المحاولات التي قام بها أناس كفاة ، أنها ولا شك وضعت حجراً أساسياً في بناء مقدمة الهندسة اللا اقليدية . فقد استفاد

ساكيري من هذا الشكل الذي ابتدعه الطوسي ، ولكثرة ما استعمل ساكيري هذا الشكل سمي فيما بعد « برباعي ساكيري » وكان أحق أن يسمى برباعي الطوسي بشهادة ساكيري نفسه .

لقد كان ذلك كل ما كان معروفاً من أعمال العرب فى نظرية التوازي حتى عام ١٩٣٥ م حينما نشر المؤرخ الرياضي المعروف ديفد أوجين سمث بحثاً فى العدد الأول من المجلد الثالث من مجلة سكربتا ماثماتيكا Scripta Mathematica ففي هذا البحث أشار سمث الى مخطوطة عثر عليها فى طهران فى أثناء جولته فى الشرق الاوسط وفى ذلك يذكر أن هذه المخطوطة ألفها نصيرالدين الطوسي وهي واحدة من مجموعة رسائل بعنوان « المفاتيح » تحتوي على رسائل تعود الى رياضيين عرب وإغريق وفُرس ، ومؤرخة بعام ١٣٨٧ م أي زهاء حوالي ١١٤ سنة بعد موت الطوسي . وفيها يذكر الطوسي أنه ينقل عن كتاب يرجع إلى الشاعر المشهور والرياضي الفلكي المعروف عمر الخيام وبذلك يسجل نصير الدين أن الخيام واحد ممن وضعوا حجراً أساسيا فى نظرية التوازي وإلى ذلك الوقت لم يكن معروفا عند مؤرخي الرياضيات أن الخيام قد اشتغل بنظرية التوازي أو بفرضية أقليدس على الخصوص . وحتى هذا اليوم ، لم تشر بعد كتب تاريخ الرياضيات الى أعمال الخيام فى التوازي بالرغم من النتيجة التي نشرها سمث

ولد عمر بن إبراهيم الخيام عام ١٠٤٤ م وتوفي عام ١١٢٣ م . وهومعروف عندالعرب شاعراً أكثر من كونه عالماً حتى أطلق إسمه على نوع معين من الشعر عُرف « بالخيّاميات » . ولكنه فى الحقيقة قد أبدع فى الجبر ، فدرس الخواص الجبرية للقطوع المخروطية ، واستخدم ذلك فى حلول بعض الأصناف من معادلات الدرجة الثالثة وزيادة على ذلك فقد اشتغل بعلم الفلك وله تقويم فيه وآثار فلكية أخرى .

أما رسالته فى التوازي التي أشار إليها المؤرخ ديفيد سمث فهي تتألف من سلسلة من القضايا يريد بها البرهنة على فرضية التوازي الخامسة .



(الشكل ٦)

(الشكل ٧)

يفترض الخيام قطعة المستقيم أ ب وقد رُسم عليها العمودان حـ أ ، د ب بحيث كانا متساويين ثم يبرهن على أن زاوية د حـ أ = زاوية حـ د ب (الشكل ٦) وذلك بأن يطابق بين المثلثين حـ أ ب ، د أ ب فيستنتج أن زاوية ب حـ أ = زاوية أ د ب ثم يطابق بين المثلثين د أ حـ ، ب د حـ ويستنتج تســـــاوي الزاويتين ب جـ د ، أ د حـ وهكذا يحصل على أن زاوية أ حـ د = زاوية ب د حـ .

ويثبت في القضية التالية أن العمود المقام من منتصف أ ب (الشكل ٧) ينصّف حـ د ويكون عموداً عليه وذلك بتطابق المثلثين حـ أ ن ، د ب ن أولاً ثم المثلثين جـ ن ع ، د ن ع ثانياً .

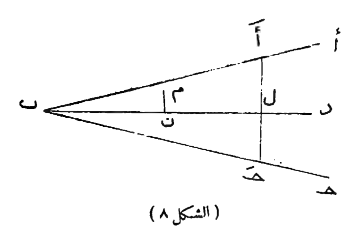
وأخيراً في قضيته الثالثة يبرهن الخيام على أن الزاويتين أ حـ د ، ب د حـ المتساويتين يجب أن تكون كل منها قائمة ، وذلك بالاعتماد على العبارة القائلة : بأن المسافة بين المستقيمين المتوازيين ثابتة لا تتغير

من مجلة العلوم التي تصدرها دار العلم للملايين ببيروت في هذا الاسبوع حاوية مقالا فيه ينقل كاتبه ويشرح مقالة الخيام التي نحن بصددها ، التي سبق أن كشفها المؤرخ سمث عام ١٩٣٥ م كما قلنا آنفاً وبذلك كفاني هذا المقال ، الذي أصبح بمتناول القراء الآن ، مؤونة الشرح المفصل لهذه المخطوطة التي لم تكن معروفة من قبل ولكني قبل أن أنتقل الى نقطة أساسية في كلتي هذه أود أن أشير إلى أن سمث قد قارن في خطوط عريضة ما بين سلسلة نظريات الخيام التي نوهنا بها وسلسلة من نظريات ساكيري فأبان أن السلسلتين متشابهتان في وجوه عدة ، ومتطابقتان حتى في البراهين في أحيان كثيرة وهكذا يتبوأ الخيام محله ما بين أقليدس وساكيري بين علماء نظرية التوازي .

ويلوح كذلك أن هذا كل ما هو معروف من أعمال العرب في بحوث التوازي ، إلا أني قد عثرت قبل سنوات قليلة في مكتبة بلمبتون بجامعة كولومبيا على مقالة هندسية ينسب فيها كاتبها برهاناً لفرضية التوازي الى أثير الدين الأبهري المتوفى سنة ١٢٦٤ م وتبين لي أن هذه الرسالة ليست معروفة عند مؤرخي الرياضيات لا بل ليس معروفاً عندهم أن الأبهري ، وهو من المفكرين العرب ، قد اشتغل بالرياضيات وفي بديهية التوازي ذاتها لذلك سأكرس الباقي من هذه الكلمة في شرح محاولة أثير الدين الأبهري لاثبات فرضية التوازي

يحاول أثير الدين أن يثبت أولاً القضية الآتية :

المستقيم العمود على منصف زاوية من نقطة مفروضة عليه ، يقطع ضلعيها



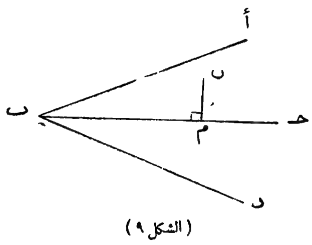
(الشكل ٨)

فالمفروض الزاوية أ ب حـ ، والمستقيم ب د منصف لها أخـــذت النقطة ن أياً كانت على المستقيم د ب وأقيم منها العمود ن م والمطلوب إثباته أنّ ن م يقطع المستقيمين أ ب ، حـ ب .

من الواضح أن هنالك مستقيمات عمودية على د ب وتقطع المستقيمين أ ب ، حـ ب وهي ولا شك المستقيمات التي يصل كل منها بين نقطتين تقعان على أ ب ، حـ ب ، وعلى مسافتين متساويتين من نقطة ب . ولاثبات أنّ ن م يقطع ضلعي الزاوية نقول : إنه لوصح أن يكون ن م غير قاطع لها ما أمكن لأي عمود آخر مرسوم من نقطة ل التي هي أبعد عن ب من نقطة ن أن يقطع أ ب ، حـ ب وذلك واضح من حصول المثلث ل ب أ وفيه تصبح زاوية م ن ب الخارجية مساوية لزاوية أ ل ن الداخلية لأنّ كلتيها قائمة ، وذلك غير ممكن بموجب نظرية ١٦ من كتاب « الأصول » لذلك لا يمكن لعمود أن يعقب م ن وأن يقطع ضلعي الزاوية أ ب حـ وهكذا فالأعمدة التي تقطع ضلعي الزاوية تتلو بعضها بعضاً ، بينما الأعمدة التي لاتقطع تكوّن فيما بينها نظاماً متراصاً ، لايفصل بعضـه عن البعض أي عمود من النوع الذي يقطع . لنفرض الآن أن آخر الأعمـدة من النوع الأول الذي يقطع ضلعي الزاوية هو م ن مثلاً (الشكل ٨) . فلاثبات عدم إمكان ذلك أيضاً يـكفي أن نأخذ نقطتين أَ ، حَ أبعد من نقطتي تقـاطع آخر الأعمدة ، وهو م ن ، مع ضلعي الزاوية بحيث يـكون بعداها عن رأس الزاوية متساويين وبما أنّ الخط الواصل بين هاتين النقطتين سيكون عموداً على ب د ، فقد وجدنا عموداً آخر يتلو العمود م ن ويقطع ضلعي الزاوية ، هو خلاف الفرض القائل بأن م ن هو آخر الأعمدة من هذا النوع . بذلك يتم الأبهري برهان نظريته وسوف أترك مناقشة هذا البرهان ، وتبيان أوجه الضعف أو المغالطة فيه لأتابع بقية المحاولة . فبعد ذلك أنتقل أثير الدين فى إثباته الى فرضية أقليدس ، فطبق عليها قضيته السابقة ومن أجل ذلك لاحظ احتمالات ثلاثة هي :

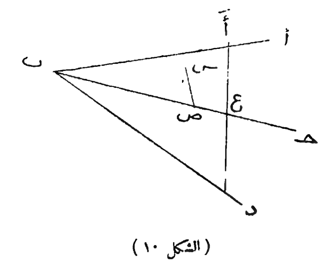
(١) إذا كانت إحدى الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع — حسبما تنص عليه فرضية التوازي — قائمـة والأخرى حادة فعندئذ رسم مستقيماً مثـل ب د يصنع زاوية مع حـ ب تساوي زاوية أ ب حـ فحسب نظريته المذكورة اعلاه يقطع المستقيم العمود م ن

ضلعي الزاوية أ ب د ، وبذلك يتلاقى المستقيمان م ن ، أ ب فى جهة القاطع حـ ب التي فيها زاوية ن م ب + زاوية أ ب م أقل من قائمتين (الشكل ٩)



(الشكل ٩)

(٢) أما إذا كانت كل من الزاويتين حادة مثل الزاويتين أ ب حـ ، س ص ب الناشئتين من قطع المستقيم حـ ب للمستقيمين أ ب ، س ص ، فنرسم أيضاً مستقيماً مثل ب د (الشكل ١٠) بحيث تكون زاوية حـ ب د تساوي زاوية أ ب حـ لنأخذ نقطة مثل ع على المستقيم حـ ب المنصّف للزاوية أ ب د . إن العمود المقام من نقطة ع على حـ ب يقطع المستقيمين أ ب ، د ب بموجب القضية السابقة . فعندئذ يجب على المستقيم س ص أن يقطع أ ب ، وإلا فانه يقطع العمود ع أَ

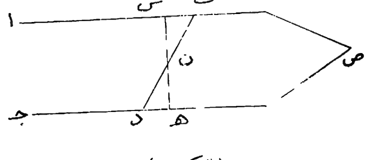


(الشكل ١٠)

وهذا مستحيل لأن الزاوية الحادة س ص ب تصبح خارجية بالنسبة للمثلث المتكون والذي فيه زاوية أ ع ب قائمة

(٣) تبقى الآن الحالة الأخيرة وفيها إحدى الزاويتين حادة والأخرى منفرجة

لنفرض المستقيمين أ ب ، د حـ وقد قطعهما المستقيم ب د بحيث كان المجموع زاوية أب د + زاوية ب د حـ أقل من قائمتين ، والزاوية أ ب د حادة ، بينما الزاوية ب د حـ منفرجة (الشكل ١١)



(الشكل ١١)

ننصف ب د في ن ونتزل ن هـ عموداً على د حـ ، فتكون زاوية د ن هـ حادة بموجب نظرية ١٧ من «الأصول». وبما ان زاوية أ ب د حادة كذلك ، فيجب على امتداد المستقيم هـ ن أن يلاقي المستقيم أ ب في نقطة مثل س وذلك بتطبيق الحالة الأولى لا يمكن لزاوية ب س ن أن تكون قائمة والا لتطابق المثلثان ب س ن ، د هـ ن وكانت بنتيجة ذلك زاوية س ب ن = زاوية ن د هـ وبالتالي زاوية ن د حـ + زاوية ن د هـ = زاوية س ب ن + زاوية ن د حـ وهذا غير معقول لان أحد طرفي المتساوية يساوي قائمتين بينما طرفها الثاني أقل من قائمتين . وكذلك فلا يمكن للزاوية ب س ن أن تكون حادة لأن ذلك يؤدي بالمستقيمين أ ب ، حـ هـ أن يتلاقيا من الجهة الثانية في نقطة مثل ص وذلك حسب الحالة الأولى . وهكذا تكون زاوية ب د حـ خارجية بالنسبة للمثلث د ب ص فيجب أن تكون أكبر منها بموجب نظرية ١٦ من «الأصول» ، وهذا مناقض للفرض القائل : بأن مجموع زاوية أ ب د + زاوية ب د حـ أقل من قائمتين ، بينما نجد والحالة هذه أن زاوية أ ب د + زاوية د ب ص = قائمتين وبذلك يجب أن تكون زاوية

د ب ص أكبر من زاوية ب د حـ وهكذا نستنتج بأن زاوية ب س هـ منفرجة وتكون زاوية أ س هـ حادة . وبتطبيق الحالة الأولى يتلاقى المستقيمان أ س ، حـ د في الجهة الثانية ويتم المطلوب .

ومع أن البرهان الذي قدمه الأبهري غير مضبوط منطقياً كغيره من البراهين التي تكسّرت على صخرة فرضية أقليدس ، فمالجته تنطوي على عمق ، وتمتاز بطابع الابداع الأصيل فلم يسبق أن لاحظ أحد قبله الملاقة ما بين فرضية أقليدس وقضية الأبهري المذكورة في صدر محاولته ، وبذلك أضاف نظرية مكافأة لها ويظهر عمق هذا البرهان بجلاء أكثر حينما نعلم بأن أحد الرياضيين الانكليز نشر « برهاناً » لفرضية أقليدس مشابهاً لبرهان الأبهري عام ١٨٩٨ م أي بعد الأبهري بما يقرب من ٧٠٠ سنة ، وذلك في « مجلة الرياضيات البحتة والتطبيقية » وبغير تحويل يذكر هذا مع علمنا بأن الشكلة كانت قد انتهت قبل هذا التاريخ بزهاء ٣٢ سنة ، حين ولدت الهندسة اللا اقليدية ، وثبت عدم إمكان اشتقاق فرضية التوازي من بقية فرضيات أقليدس ، فقد بُنيت الهندسات اللا اقليدية على نظام من الفرضيات يضم فرضيات أقليدس كلها ، عدا العاشرة التي استعيض عنها بنقيضها وهو : من الممكن رسم أكثر من مواز واحد لمستقيم من نقطة خارجة عنه ، ويسمى هذا الفرع من الهندسة اللااقليدية بالهندسة المغلولية Hyperblic Geometry ثم اخترعت هندسة أخرى لا وجود فيها ولا معنى للتوازي ولذا لا يمكن رسم أي مواز لمستقيم معلوم من نقطة مفروضة خارجة عنه ؛ وتسمى هذه بالهندسة الهليلجية Elliptic Geometry وبقي لبلترامي الايطالي أن يثبت عام ١٨٦٨ م عدم التناقض ما بين هذه الهندسات أو ما بينها وبين الهندسة الاقليدية ، وبذلك انتهت مشكلة التوازي ، وثبت عدم امكان استخلاص هذه الفرضية من بقية الفرضيات الاقليدية ، وأنها ونقيضها سيان

وفي الختام نقول إن الأسس التي شقها أقليدس ، وزاد في حفرها بروكلس والطوسي والخيام والأبهري ، ملأها بالحجارة الصلبة ساكيري ولامبرت وليجندر ، ثم شيدّ عليها گاوس وبوليا ولوباجيفسكي وريمان وكلاين وهلبرت بناء الهندسة الشامخ بطبقاته الثلاث ؛

وبذلك طويت صفحة قصة لا أجد لها وصفاً أجل من عبارة الأستاذ كايزر التي قال فيها : ـ

« لقد كان من حسن حظ إحدى فرضيات أقليـدس — فرضيته الخامسـة — أن تكون خالقة لعصر ، فهي أشهر وأعمق همسة أطلقت في جوف تاريخ العلوم » . ؟

محمد واصل الظاهر

المراجع

1. Boyer, C., The Foremost Textbook of Modern Times; Proceedings of the Internal Congress of Mathematicians, Cambridge, Mass., U.S.A., (1950) ; P. 748.

2. Bonola, R., Non-Euclidean Geometry ; Dover Publications, (Combined with the books of Bolyai & Lobachevski) ; (1911) ; PP. 1—180.

3. Callahan, J. J. ; Euclid or Einstein, The Devin-Adair Company, N. Y ,(1931); PP. 57—137.

4. Courant, R. and Robbins, H. ; What is Mathematiess ? Oxford University Press, London, (1946) ; PP. 214-226.

5. Wilder, R., Foundations of Mathematics, John Wiley and Sons, Inc., N. Y., (1952); PP. 3-49, 264-283.

6. Wolfe, H., Introduction to Non-Euclidean Geometry, The Dryden Press, N. Y., (1945) ; PP. 1-130.

الزاويتين المتقابلتين الحادثتين من تقاطع خطين ثبت وتساويان وذلك
ان زاويتي اه ز ح ز ه ك الحادثتين متساويتان لتساوي
المتبادلتان ويلزم التوازي بين الخطين كما مر اما وان كانت
الزاويتان الداخلتان اللتان على الخطين في جهة واحدة كاه ز
ح ز ه كقائمتين لان ه ز ح ب ه ز المساويتان لهما ايضا كقائمتين
لما مر في الشكل الاول من ان الزاويتين الحادثتين من جنبتي خط
مستقيم قام على اخر اما قائمتان او مساويتان لقائمتين فيلزم
منه ايضا اي كما لزم من تساوي الخارجة والداخلة تساوي
المتبادلتين اي زاويتي ب ه ز ح ز ه بمساواة الاولى المشترك
اي زاوية اه ز ويلزم التوازي وذلك ما اردناه وهذا موضع
ذكر البرهان الموعود على المصادرة المشهورة قال الحكيم اثير الدين
الابهري اذا نصف زاوية اب ح فانه يمكن ان
يخرج لها اوتار الى غير النهاية [illegible] كل
كل واحد منها قاعدة لمثلث [illegible] فلنفصل
ب د مثل ب ز ونصل د ز فيصير ب ح مثل د ب ح



وزاويتا ب متساويتان لزاويتي ح متساويتان لنصف عمود

على ه ز ونصل ب ط مثل ب ك ونصل ط ك فطا ك لا يمر

بنقطة ح والا لكان زاويتا ب ح ط ب ح ك مثل قائمتين

وقد كان ب ح ه ب ح ز مثلهما هذا خلف [illegible] خط [illegible] وإذا

اخرجا خطان مستقيمان الى سطح فذلك غير [illegible] مثل نقطة

ل وهي [illegible] لا يمكن اخراج الاوتار الى غير النهاية [illegible] وإن احببت بينا

فنقول اذا وقع خط على خطين وصير الزاويتين الداخلتين في جهة

اقل من قائمتين فانهما يلتقيان في تلك الجهة ان اخرجا لانها

لا يخلو اما ان يكونا حادتين او احديهما حادة والاخرى قائمة

او منفرجة فليكن احديهما حادة والاخرى قائمة مثل خطي ا ج ب د

وقع عليهما خط ا ب وصير زاوية ا ب د قائمة وزاوية ب ا ج

حادة فنعمل زاوية ب ا ه مثل ب ا ج ونخرج [illegible] على الاستقامة

الى [illegible] زاوية ه ا ج منقسمة [illegible] وتمام

[illegible] تحت [illegible]

تحت نقطة ب ولتكن [illegible]



على ا ط خط ط لا يلقى ب د والا لحدث في مثلث زاويتان وهو

مح بالسابع عشر من اولى الاصول وهو ان كان محالا بالثاني

والثلثون منها اعني وهو العشرون من كتابنا هذا الا ان

ما فيفتقر بيانه فلا يصح ان يوضع في بيانها وسنذكر ذلك الشكل

بعد الفراغ عن هذا الكلام ان شاء الله تعالى فانه وان كان غنيا

عنه في بيان هذه المقدمة فلعلنا نستغني به في بيان ذلك من الشكل الثامن عشر

من هذا الكتاب وهو الثامن والعشرون من اولى الاصول

لكنه يحتاج اليه في الموضعين الآخرين فب د ا اذا اخرج على الاستقامة

تقع خط ا ط ولكن الزاويتان حادتين فلنعد الشكل بحيث

يكون زاوية ا ب ح حادة واية ... حادة ويكون زاوية ...

منفرجة ... لا يلقى ... والا لوقع في مثلث زاويتان

منفرجة ... الشكل ... واذا اخرج تقطع ا ح

ولكن ... والاخرى منفرجة مثل خطي ا ب ح د

ونخرج عليها خط ه ر ... زاويتي ب ه ر د ر ه اقل من

قائمتين ... منفرجة و ب ه ر حادة فنصف



خط ه ر على ح ونخرج من نقطة ح خطا عمودا على ح د ونخرجه باستقامة

فلان زاوية ح ط ر قائمة فخط ر ح ادة فخط ح م حادة ايضا

و ب ح حادة فخطا ح م يلتقيان ولنكن التقاؤهما

على نقطة ك فزاوية ك ح مستوية الا لكانت قائمة وحادة

فلكانت قائمة فزاوية ك ح ه ح ك مثل زاويتي خط

ط ح ر ودح مثل ح فزاوية ك ح مثل ح ط فيجعل زاوية

د ر د مشتركة فزاويتا مثل زاويتي ك ح فزاويتا

اصغر من قائمتين بخط ان [illegible] حادة فزاوية ك ح ق

فخطا ا ب ح د يلتقيان وليكن [illegible] على نقطة ا فلان

زاويتي ب د ر ه اصغر من قائمتين [illegible]

مثل قائمتين فزاوية [illegible]

اصغر من الداخلة [illegible] زاوية ح

منفرجة فزاوية ك ط حادة فزاوية د ط ل قائمة

فخطا ا ب ح د يلتقيان وذلك ما اردنا وقد ايقليدس

في التاسع عشر من اول كتابه كل زاويتين مثلث فهما اصغر



القتال فى الاسلام

المقدمة

١) ليس الأسلام دين قتال كما يدعي المستشرقون خطأ أو عمداً لغرض معين فى أنفسهم بل هو يأمر بالقتال كضرورة للدفاع عن النفس ؛ إذ ليس للذل والاستكانة فى الاسلام مكان

كانت معارك الرسول حرب فروسية بكل معنى الكلمة ، الغرض منها حماية حرية نشر الأسلام وتوطيد أركان السلام . فلم ينقض عهداً ، ولم يمثل بعدو ، ولم يقتل ضعيفاً ولم يقاتل غير المحاربين

وكم أتمنى أن يقرأ هذا البحث غير المسلمين ـ مهما بلغت درجة عداوتهم للأسلام ، ليطمئنوا مع المسلمين ـ مهما بلغت درجة تعصبهم للأسلام ، الى أن القتال فى الأسلام ينطبق على أرقى وأحدث النظريات العسكرية المثالية وقوانين الحرب والحياد الأنسانية ، بل إن هذه النظريات والقوانين تعجز فى كثير من الأحيان عن السمو الى المستوى الرفيع الذي وصلته تعاليم القتال فى الأسلام .

معنى القتال في الاسلام

٢) هو قتال العدو ، لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة فى القتال

متى شرع القتال فى الاسلام ؟

٣) كان القتال محرماً على المسلمين قبل الهجرة ؛ فلما اشتد عداء قريش ، وأخرجوا الرسول وأصحابه من ديارهم وأموالهم ؛ هاجر المسلمون الى المدينة ، فنزلت أول آية فى القتال : « أذن

للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » لقد خرج الرسول غازياً في صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه الى المدينة ، وبذلك بدأ القتال (فعلاً) فى الاسلام

أهداف القتال في الاسلام

٤) حماية حرية نشر الدعوة

ليس من أهداف الحرب فى الاسلام (نشر) الدعوة ، بل (حمايتها) ، لأن نشر الدعوة بالقوة معناه الاكراه : « لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي » ولكن هدف الحرب فى الاسلام هو حماية حرية نشر العقيدة وتأمين حرية انتشارها بين الناس وصد الاعتداء الخارجي على بلاد المسلمين : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

إن الحرب فى الاسلام حرب دفاعية ، لا يبدأ المسلمون بالاعتداء على أحد ، ولا يقاتلون إلا مكرهين على القتال ، ويعتبرون الحرب كفاح شرف لا يجوز أن يلتجيء المحاربون فيها الى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف : احترام للعهد ، والترفع عن الخيانة ، ومؤاساة الجرحى والمرضى والأسرى والعناية بهم وعدم التعرض للنساء والاطفال والشيوخ

٥) توطيد السلام .

تكون الأمة بغير جيش قوي عرضة للضياع ، إذ يطمع فيها أعداؤها ولا يهابون قوتها ، فاذا كان لها جيش قوي احترم العدو ارادتها : فلا تحدثه نفسه بالاعتداء عليها ، فيسود عند ذلك السلام : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون . وان جنحوا (للسلم) فاجنح لها ... »

أنواع القتال في الاسلام

٦) قتال المسلمين للمسلمين

هذا النوع من القتال ، هو شأن من الشؤون الداخلية للمسلمين ، فقد فرض القرآن حالة

بغي وخروج عن النظام العام تقع بين طوائف المسلمين بعضها مع بعض ، أو بين الرعية وراعيها فوضع لها تشريعاً من شأنه أن يحفظ على الأمة وحدها وعلى الهيئة الحاكمة سلطانها وهيبتها ، ويقي المجموع شر البغي والتعادي : « وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي (تبغي) حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله ، لعلكم ترحمون » هذه الآية نفرض حالة اختلاف يقع بين طائفتين من المؤمنين ولا يستطاع حله بالوسائل السلمية ، فتلجأ كل منها الى القوة ، فتوجب هـــذه الآية على الأمة ممثلة في حكومتها ، أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق ، وتحاول الاصلاح بينهما فإن وصلت الى ذلك عن طريق المفاوضات وأخذ كل ذي حق حقه ، فقد كفى الله المؤمنين شر القتال ، وإن بغت إحداهما على الأخرى وأستمرت على العدوان وأبت أن تخضع للحق وتنزل على حكم المؤمنين ، كانت بذلك باغية خارجة على سلطة القانون ، متمردة على النظام ، فيجب على جماعة المسلمين قتالها حتى تخضع وترجع الى الحق إن القصد من هذا التشريع هو المحافظة على وحدة الأمة وعدم فتح المجال لتفرقها

٧) قتال المسلمين لغير المسلمين

شرع قتال المسلمين لغير المسلمين لرد العدوان وحماية حرية نشر الدعوة ، وإن القرآن حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع والاستئثار وأذلال الضعفاء وتوخى به أن يكون طريقاً الى السلام والاطمئنان وتركيز الحياة على موازين العدل والانصاف

وليست الجزية عوضاً مالياً عن دم أو عقيدة ، وإنما هي مشاركة في حمل أعباء الدولة .

ولا توجد آية في القرآن تدل أو تشير الى أن القتال في الاسلام ، هو لحمل الناس على اعتناقه ، وقد نص القرآن بوضوح على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن

تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »

وأقرأ هذه الآية الكريمة ، وهي من أواخر القرآن نزولاً ، وهي تحدّد أيضاً علاقة المسلمين بغيرهم : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا مُتخذي أخدان ؛ ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين »

من ذلك يفهم أن علاقة المسلمين بغير المسلمين هي : قسط ، وتعاون ، ومصاهرة ... فما أهمها من علاقات ؟ وما اقواها ؟

تنظيم القتال في الاسلام

٨) تقوية المعنويات

يعمل الاسلام على تقوية معنويات المقاتلين فى سبيل الله ، فيعدهم بمضاعفة أجر العاملين وثواب المجاهدين ، لأنهم يقاتلون فى سبيل إنقاذ الضعفاء والبر بالانسان ومقاومة الجبروت والطغيان ، ولأدحاض عوامل الشر والافساد : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما . وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ؛ فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا »

يستأصل الاسلام جميع النواحي التي ينبعث من قِبلَها الجبن والخور ، ويحث المؤمنين على الجهاد فى سبيل الله والحق ، فى سبيل الخير والسعادة ، فلا الآباء ولا الأبناء ولا الاخوان ولا الأزواج ولا العشيرة ولا الأموال ولا التجارة التي يخشى كسادها ولا المساكن ، لا شيء من ذلك كله يصح أن يحول بين المؤمنين وما تقتضيه محبة الله ورسوله من تضحية وجهاد :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين »

بمثل هذا الأسلوب القوي ، يحارب الاسلام عوامل الضعف ونزعات الخوف ، ويغرس في نفوس الأمة خلق الشجاعة والتضحية والاستهانة بزخرف الحياة في سبيل الحق ونصرته :

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون »

لقد توخى الاسلام تقوية الروح المعنوية ، وما إمدادات المجاهدين بالملائكة إلا لتطمئن قلوب المقاتلين ، أي لتقوية معنوياتهم على أصح وأوثق أقوال المفسرين

٩) القوة المادية

يحث الاسلام على إعداد ناحيتين : القوة والرباط

القوة : تتناول العَدد والعُدد ، وهذا معناه ما عرف وما يعرف من آلات الحرب ووسائل النقل ومواد الأدامة والتموين وكافة القضايا الادارية الأخرى

والرباط : معناه ما عرف أيضاً من تحصين الحدود والثغور والاماكن الواهنة تجاه العدو

يستهدف الاسلام من الحث على اعداد هاتين الناحيتين ، تأمين السلم والاستقرار ، وذلك لارهاب العدو ، حتى لا تحدثه نفسه باستغلال ناحية من نواحي الضعف والتخاذل : « ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة »

كما يحث الاسلام على إنشاء المعامل الحربية لصنع الأسلحة ، ويذكّر بالحديد بصورة خاصة ، للاستفادة منه للأغراض العسكرية : « وأنزلنا الحديد فيه (بأس) شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله ؛ إنّ الله قوي عزيز » .

١٠) التنظيم العملي للقتال

أ — الاعفاء من الجندية

أسباب الاعفاء من الجنـــدية في الاسلام محصورة فى الضعف ، ويشمل المرض والعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق

لم يجعل الاسلام من أسباب الاعفاء من الجندية حمل الشهادات العلمية ، ولا الانتساب الى الجامعات ، ولاحفظ القرآن الكريم ، ولا دفع البدل النقدي ، ولا البنـوة لحاكم كبير مما عهدناه فى عصور الضعف والانحلال ، بل كان العمل فى عصر النبي والعصور التالية له على عكس ذلك ، وما كان التفكير فى جمع القرآن ، الا الخوف من أن يذهب بذهاب القراء الذين كانوا أكثر القوم إقداماً وبسالة فى حرب اليمامة ، وكان إقدامهم وجرأتهم على اقتحام صفوف الأعداء سبباً فى أن يستحر القتل فيهم : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجـدون ما ينفقون حرج ، إذا نصحوا لله ورسوله »

ب — إعلان الحرب .

يحذر الاسلام انتهاز غفلة العدو أو أخذه على غرة غدراً : « واما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لايحب الخائنين »

إن المسلمين لايخونون أحداً ولا يغدرون بأحد ، ويعلنون الحرب صراحة على أعدائهم ، ثم يشرعون بعد ذلك فى القتال

ج — الدعوة للجهاد

حذر الاسلام التباطؤ في تلبية داعي الجهاد والتثاقل عنه : « يا أيها الذين آمنوا ، مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله ، إثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً ، والله على كل شيء قدير »

د — عقاب المتخلفين

عاقب الاسـلام المتخلف عن الجهاد عقـاباً نفسياً ، اذ يهجر المتخلفَ أهلُه حتى زوجُه ، كما يهجره المسلمون جميعاً ويقاطعونه وينظر اليه المجتمع نظرة احتقار وازدراء : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الاّ اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا »

يتوب الله عليهم بعد كل هذا العقاب ، ليتوبوا ولا يعودوا الى التخلّـف مرة أخرى .

إن عقاب المتخلف يقتصر عليه فقط ولا يشمل أهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث في القرن العشرين عند بعض الدول الـكبرى ، إذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته حتى أهل قريته في بعض الأحيان ، بحجـة أن هؤلاء يجب أن يسـلمّوا المتخلف أو ينـالهم العقاب

هـ — تطهير الجيش

يأمر الاسلام بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخـذلان ، حتى يكون الجيش كله مؤمنـاً بعقيدة واحـدة يعمل لتحقيقها ويبذل كل ما يملك في سبيلها ، وبذلك ينـال الفوز في الحرب : « لو كانوا فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلاً »

و — أساليب القتال

ينظم الاسلام مواضعه الدفاعية ، ويوزع وحداته بين تلك المواضع : « وإذ غـدوتَ من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال »

ويبتكر القتال بأسلوب « الصف » الذي لم تكن العرب تعرفه حينذاك ، بل كانت تقاتل الـكر والفر : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص »

إن أسلوب الصف يتفق مع أساليب القتال في العصر الحاضر ، فهو يؤمن العمق والاحتياط ، ليستطيع القائد معالجة المواقف التي ليست في الحسبان

ز — الضبط

يحث على السمع والطاعة للقيادة العامة ، والثبات في المواقف ، وتجنب أسباب الأخفاق ، والاعتصام بالله واليقين : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا أن الله مع الصابرين » . كما حذّر الاسلام من الفرار وبيّن سوء عاقبته : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »

ح — الكتمان .

حذر الاسلام من إذاعة الأسرار العسكرية ، وجعل إذاعتها من شأن المنافقين ، وطلب الرجوع بها الى القيادة العامة ، كما طلب من المسلمين أن يتثبتوا فيما يصل من أنباء قبل الركون اليها والعمل بها : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة ، لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك إلا قليلا »

ويقول القرآن : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

ط — الهدنة والصلح

أمر الاسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب إذا جنح اليها الأعداء وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء : « وإن جنحوا « للسلم » فاجنح لها ، وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم وأن يريدوا أن يخدعوك فحسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين »

ي — الأسرى

خيّر الاسلام القائد بين أن يمن عليهم ويطلقهم من غير فدية أو مقابل ، أو يأخذ الفدية منهم من مال ورجال ، وذلك على حسب ما يرى من المصلحة : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فأما منّاً بعد وأما فداء »

ك — المحافظة على العهود

حث الاسلام بصورة خاصة على المحافظة على العهود ، وأوجب الوفاء بها ، وحرّم الخيانة فيها والعمل على نقضها ، وأرشد الى أن يكون القصد منها إحلال الأمن والسلم محل الاضطراب والحرب ، وحذر أن تكون وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق والوقيعة بالضعفاء : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة »

١١) شروط القبول للجندية

لا يقبل فى جيش المسلمين إلا من تتوفر فيه الشروط التالية :ـ

أ — البلوغ .

اعتبر سن البلوغ السادسة عشرة كما هو الحال في أكثر الدول فى الوقت الحاضر ولا يقتصر التجنيد على الرجال البالغين ، بل يشمل النساء البالغات أيضاً ، وقد استصحب الرسول النساء فى غزواته ، بل كان يصحب معه أزواجه بالاقتراع

ولم يعترض أحد على مشاركة النساء فى الحرب على عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، فلما جاء العباسيون ظهر من الفقهاء الجامدين مَن أضافوا إلى شروط الخدمة العسكرية شرطاً خامساً ، وهو (الذكورة) ؛ فحرموا الجيش عنصراً فعالاً يزيد فى عدده ومعنوياته

ب — الاسلام

ليدافع عنْ بلاد المسلمين عن عقيدة واخلاص

ج — السلامة

تمتع الجندي بالصحة الكاملة والعقل السليم ، ومن أسباب العجز عندهم العمى والمرض المزمن والمريض الزمين هو الذي طال مرضه

د — الاقدام

وهو أن يكون قوي البنية ، عارفاً بالقتال ، قادراً على استخدام سـلاحه ، متحملاً مشاق السفر ، غير جبان

١٢ — النفير

يقسم النفير الى قسمين تبعاً لحالتين :

أ — في حالة الدفاع

أي عند اعتداء العدو على بلاد المسلمين ، فعند ذاك يكون النفير عاما ، فلا يستطيع التخلف عن الجهاد مسلم ، الا يرمى بالنفاق ، ويعاقب أشد العقاب

إن الجهاد فى هذه الحالة فرض عين كما يعبر عنه الفقهاء . والنفير العام ، معنـاه : دعوة جميع القادرين على حمل السلاح للمشاركة فى الحرب

ب — في حالة التعرض

أي فى حالة دعوة قسم من الأمة للفتح ، وعند ذاك يكون النفير خاصـاً ، وفى هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية كما يعبر عنه الفقهاء والنفير الخاص معناه : دعوة بعض القادرين على حمل السلاح للمشاركة فى الحرب .

الخاتمـــة

١٣ — أوضحنا مجمل القتال فى الاسلام فيما سلف ، ومن كل ذلك يتضح أن الاسـلام يدعو للقتال من حيث هو ضرورة لحماية حرية التوحيد : توحيد الله وتوحيد الناس، ولتوطيد أركان السلام.

إن الاسلام لا يؤمن بالحروب التي تثيرها العصبية العنصرية ، كما يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع : حروب الاستعمار والاســـتغلال والبحث عن الأسواق والخامات واستعباد المرافق والرجال ، كما يستبعد الاسلام تلك الحروب التي يثيرها حب الأمجاد الزائفة أو حب المغانم الشخصية .

إن السلم فى الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هي الاستثناء ؟

محمود شيت خطاب

عقيد ركن

المراجع

١ — القرآن الكريم

٢ — صحيح البخاري

٣ — محمود شلتوت : القرآن والقتال

٤ — محمود الالوس : سفرة الزاد لسفرة الجهاد

٥ — جمال الدين عياد : نظم الحرب فى الاسلام

٦ — محمد أبو زيد : هدى الرسول

٧ — محمد الغزالي : فقه السيرة .

٨ — القاضي أبو يوسف : الخراج

9 — Said Amir Ali : The Sprit of Islam.

10 — Muir : Life of Mahomet.

11 — Margaliouth : Mohammad.

12 — Moulvi : Quran and war.

13 — Hamidullah : The Battelfields of the Prophet Muhammad.

في معاني أسماء الأصوات

في « كتاب الأغاني » للأصبهاني

بقلم المستشرق فارمر

(مع نبذة في تاريخ اهتمام المستشرقين بالموسيقى العربية)

توطئة :

لم يبقَ باب من أبواب المعارف العربية والإسلامية إلاّ طرقه المستشرقون ، فنشروا عنه ما يروي ، الغُلة ، وأفاضوا حتى لم يُبقوا زيادةً لمستزيد ، إلاّ الموسيقى العربية ، فقد كان حظهم فيها ضئيلا ، وحذرهم من تَقَحُّمها شديداً حتى تناولها الأستاذ الدكتور « هنري جورج فارمر» ودرسها دراسة متفرغ عبقريّ فبلغ الغاية ، فعُدّ في هذا المضمار إماماً وحجة

ولصدود المستشرقين عن ولوج هذا الباب ، أسباب كثيرة وجيهة ، منها : قلة ما كُشف عنه من الوثائق وما أُلّف من كتب عربية ، أو بكلمة أخرى : قلة ما بقي منها ، تلك القلة التي لا تُغري الباحث المتتبع فالمعلومات قليلة جداً ، وأغلب الكتب العربية قد ضاعت ، ويكاد يكون ما سلم منها موزعاً في متاحف أوروبا مخزناً غير منشور ؛ كما أن جلّ من ساهم في هذا الباب من المستشرقين ، كان إما مؤرخاً وإما رياضياً . ولم يتسنّ لاحدهم الجمع بين الملكتين ، فضلا عن الاحاطة بالنظرية الموسيقية ، ولهذا لم تُغر نتائج بحوث المستشرقين العابرين أحداً من متأخريهم ولم تشجعهم ومهما كان بحث المؤلف تاريخيا صرفا ، فلا بد أن يضطره السياق الى الاعتماد على النظريات الموسيقية العربية التي كثيراً ما تكون متناقضة متنافرة لا يمكن حصرها كما تُحصر قواعد العلوم الأخرى

فكان جلّ ما نشر عن الموسيقى العربية قبل فارمر ، من دراسات في مختلف اللغات

الاوروبية ، يعوزه الاحاطة والتفرغ التام لذات الموضوع ، مضافاً الى اضطراب المعلومات وتصنيفها وخطل استخدامها في مناسباتها مع قلة اكتراث في الأغلب بايراد الشواهد والنصوص [١]

كان يشفع لاصحاب هذه النواقص أمور ثلاثة أولها : فقدان الدليل الصحيح الى التطبيق العملي الموسيقي ، أي ضياع الوسيلة الى الترجمة الصوتية للموسيقى العربية ، لأن التدوين الموسيقي العربي كان قد وضع على أساس الوصف والترتيب الزمني لاعلى الدرجة وثانيها : جهل ذوي الأغلبية الساحقة من المستشرقين باللغة العربية [٢] مع قلة التراجم العربية الموسيقية الى اللغات

---

(١) تلك حقيقة لا شك فيها ، وهي أن جميع المستشرقين الذين بحثوا في الموسيقى العربية كانوا ناقصي الكفاية حتى مجيء « فارمر » الذي قام بسد هذا النقص بصورة مدهشة فقد ملأوا كتبهم ذات المجلدات الضخمة بأغلاط عجيبة ونقلوا واقتبسوا من دون تمحيص ، ومنهم السادة : فيتس Fetis وكيفار Gevaert ودوكوردري Du Coudray وكيزويتر Kiesewtter وحتى كوسكارتن Kosegarten ، وهؤلاء كلهم آضوا هدفا لنقد الأستاذ « جول راوونيت Prof. Jules Rouanet » محرر مادة « الموسيقى العربية » في دائرة المعارف الموسيقية للافينياك A. Lavignac : Encylopedie de la Musique et Dictionnaire de Conservatiore المطبوع في باريس بين سنوات ١٩١٣ — ١٩٢٢ م بثلاثة مجلدات على أنه وقع في اغلاط أشد هولا وأصعب اغتفاراً ممن انتقد هو عليهم فاضاف واحداً الى المتخبطين كما سنرى في الصفحات التالية لهذه

(٢) خير مثال أقدمه ، الأستاذ « راوونيت » الذي ورد ذكره سابقاً ، فقد كان يبدو أنه يجهل العربية ، من تخبطه الظاهر في ايراد بعض الأسماء في الفصل الذي كتبه في الموسيقى العربية في دائرة معارف لافينياك الموسيقية وهذه طائفة منها للذكرى والتاريخ :

« جامع الألحان ، مقاصد الألحان ، كنز الألحان » (وهي أسماء كتب موسيقية للموسيقار عبد القادر بن غيبي العراقي من رجال القرن الرابع عشر الميلادي) ضبطها بالفرنسية كما يأتي على التوالي ـ Djami el elham, Mekacid el elham, Kinz el elham. فالقارىء الذي لا يعرف مؤلفات عبد القادر بن غيبي لا يسعه إلا أن يقرأها « جامع الإلهام ، ومقاصد الإلهام ، وكنز الإلهام ! » هكذا

و « لسان الدين بن الخطيب » أثبته : Sissan ed din Ibn Al-Kateb والقارىء يقرؤه سيسان الدين ابن الكاتب ! هكذا

ومن هذا القبيل :

عبد الله بن جدعان (أثبته كما يأتي) Abdullah fils de Gohdars فيقرأ : عبد الله بن كوهدار =

الأجنبية وسقم ما ترجم منها وثالثها : عدم وحدة التأليف والانتظام فى المؤلفات التاريخية والأخبارية العربية ، وقلة احتفال مؤلفيها بتنسيق موضوعاتهم ، وهو الأمر الذي يجعل الباحث فى حيرة دائمة وفى شك دائم من كل فكرة عتد اليها يده

ونحن أبناء هذه الأمة ، لم نجد الحافز ، على ما يبدو لي ، حتى الآن لنتسلم تراثنا العربي من أيدي هؤلاء المستشرقين ونكتب فيه عوضاً عنهم ، وذلك لأن ثقافاتنا المدرسية على اختلافها ؛ وأساليب التتبعات العلمية ما زالت متأخرة عندنا بصورة عامة ، لا تشجع المؤلف على التأليف ولا تزوده قابليـة فى البحث . فنحن مضطرون الى نقل ما توصل اليه علماء الغرب في علومنا ، ومنها علم الموسـيقى العربية وكان من حسن حظ العالم العربي أن انتبه أبناؤه الى مؤلفات الأستاذ فارمر فَشُـرِع فى ترجمتها وقد كنت السابق ، إن كان للسابق فضل ، فترجمت له جزء الموسيقى العربية فى كتابي « تراث الاسلام [1] » مع بعض التعليقات عليه وقد وقعتُ فى ترجمتي وتعليقـاتي بأغلاط كثيرة تداركتهـا فى ترجمتي لـكتابه (تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي) ولم تطبع بعد وها أنا ذا أقدم الآن ترجمة رسالة من أنفس

= جبلة بن الأيهم (أثبته كما يأتي) Djabala fils d'Aghan فيقرأ : جبلة بن الأغان

بهز (« « «) Babs فيقرأ : ببر

غناء الندب (« « «) Nayeb فيقرأ : نيب

الغريض — اسم مغن — (أثبته كما يأتي) El Sharidh فيقرأ : الشريذ

ابن أبي عتيق — كذلك — (« « «) Ibn Ali Atik فيقرأ : ابن علي عاتيك

المعتصم — اسم خليفة — (« « «) El Motaca فيقرأ : الموتاسا

ابن بانة (عمرو) (« « «) A fils de Danah فيقرأ : ابن دانة .

منصور بن زلزل (موسيقي) (المجلة : لعل مراد الكاتب الفاضل منصور زلزل ، فزلزل لقب له) (أثبته كما يأتي) Mansour Ibn Shaeffen فتقرأ : منصور بن شيفن

الزبير بن دحمان (موسيقي) (أثبته كما يأتي) Sobier Ibn Abdullah-er-Rahman فيقرأ : سوبير بن عبد الله الرحمان

وعشرات غيرها من التسميات المغلوطة المؤسـفة التي كان يجب أن لا يقع فيهـا مستشرق عالم يـكتب في دائرة معارف كبيرة

(١) تراث الاسلام ج ١ ص ٢١ ــ ٤٥ المطبعة العصرية بالموصل ١٩٥٤م (ملاحظة المترجم)

رسائله في موضوع بقي مصـــدر حيرة لأدباء العرب وعلماء الغرب طوال الف سنة وأقل الاعتراف بفضل هذا الرائد العظيم في الموسيقى العربية ،هو أن نعرف شيئاً من حياته ومجهوداته في هذا المضمار ، وهي مجهودات إذا قيست بالسنين بلغت زهاء نصف قرن ، وإذا وزنت بما نتج فكرياً بلغت ما يزيد على خمسة وعشرين كتاباً في الموسيقى العربية ، فضلا عن عشرات المقالات والبحوث في المجلات ودوائر المعارف

هنري جورج فارمر : Henry George Farmer

ولد فارمر سنة ١٨٨٣م من هنري جورج وميري آن فارمر في مدينة برّ [1] Birr من أعمال إيرلندا ، وعند ما بلغ سن الحلم أعدّ نفسه ليكون موسيقياً محترفاً ، ولكنه نبذ فكرته هذه ودخل جامعة كلاسكو وهو في سنّ متقدمة من شبابه . فدرس اللغة العربية سنتين (١٩١٩ — ١٩٢١ م) دراسة تفرغ وعمق ، على أيدي أساتذة من المستشرقين ، وأتقن العربية والفارسية ، ونال درجة الدكتورية وأصبح عضواً في الجمعية الآسيوية الملكية [2] (١٩٣٠ — ١٩٣٣م) وكان سنة ١٩٣٢ م رئيساً للوفد الانكليزي إلى مؤتمر الموسيقى العربية المعقود في القاهرة . برز بين أعضائه بعلمه الغزير وسعة اطلاعه في النظرية الموسيقية العربية وتاريخها ، وساهم مساهمة فعالة في مقررات ذلك المؤتمر ، الى جانب أساطين المستشرقين المشتغلين في الموسيقى أمثال: (البارون كارادي فو) من فرنسا و (الدكتور كرت ساخس Dr. Curt Sachs) من ألمانيا و (الأب المستشرق كولانكيت الفرنسي ، من لبنان) . واختير زميلاً لمعهد بحوث ليفرهولم Leverhulme سنة ١٩٣٣ـ١٩٣٥ م ومحاضراً في موضوع الموسيقى بجامعة كلاسكو سنة ١٩٣٤ م أصدر الدكتور فارمر ، في سن السادسة والعشرين ، أول مؤلفاته الموسيقية قبل أن يتمين اتجاهه العربي الاستشراقي وهو « تاريخ الجوق الموسيقي للفيلق الآلي الملكي » . وفي عام ١٩١٢ م أصدر كتاب « نشأة الموسيقي العسكرية وتطورها . Memoires of the Royal Artillary Band » وبعدها تحول فجأة إلى الموسيقى

(١) كانت قبلا تسمى « بارسن تاون » Parson Town (ملاحظة المترجم)

(٢) وهي جمعية علمية تأسست في انكلترا بعيد منتصف القرن التاسع عشر (ملاحظة المترجم)

العربية فكتب فيها الكثير جداً طوال نصف قرن

أخرج سنة ١٩١٥م كتابه « الموسيقى العربية وآلات الطرب العربية The Music and the Musical Instruments of the Arabs ». وفى سنة ١٩٢١م نشر كتابه « التأثير العربي فى نظرية الموسيقى The Arabic Influence on Musical Theory » وكان هذا البحث أول صخرة فى بناء صرح شهرة الاستاذ فارمر فى عالم الاستشراق العربي ، ومن قوله فيه : « إنه كشف به عن بعض الدلائل القاطعة المستقاة بعناية واختيار من وثائق لايتطرق على صحتها الشك عن تأثير الموسيقى العربية فى النظرية العامة لموسيقى » وقد أثار كتابه هذا نقاشاً حاداً طريفاً ، فتصدى له جماعة من الباحثين فى الموسيقى يسفهون رأيه وينكرون كل تأثير للموسيقى العربية فى النظرية العامة منهم الآنسة كاثلين شلزنكر Miss .Kathleen Schlesinger فى بحثها المسمى « هل الموسيقى النظرية الأوروبية مدينة للعرب Is European Musical Theory Indebted To The Arabs ? » وفى سنة ١٩٢٥م أصدر كتاباً آخر باسم « المخطوطات الموسيقية العربية المحفوظة في المكتبة البودلية The Arabian Musical MSS. In The Bodleian Library » ونشرت له خطبة ألقاها فى جمعية الموسيقيين بحث فيها عن « التأثير الروحي للموسيقى عند العرب » المسمى باليونانية (Ethos) بعنوان « The Influence of Music : From Arabic Sources. » وكان بين سنوات ١٩١٩ــ١٩٢٥ م لايفتأ ينقح ويعيد النظر في كتابه « تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي » وهو الذي نال به درجة الدكتورية فنشره سنة ١٩٢٨م باسم « A History of Arabian Music To The XIIIth. Century ». ونشر كتابه الشهير الآخر « حقائق تاريخية عن التأثير الموسيقي العربي Historical Facts For Arabian Musical Influence » سنة ١٩٣٠م، وهو كتاب كبير يقع فى زهاء أربعمائة صفحة ردّ فيه مزاعم الآنسة كاثلين شلزنكر وقد أتبعه سنة ١٩٣١م كتاب « دراسات فى اللاهي[1] الشرقية Studies In Oriental Musical Instruments. » وكتاب « أرغن الأقدمين من المصادر الشرقية : العبرانية

(١) اللاهي : آلات الطرب ومفردها ملهاة وهي آلة الطرب

والسـريانية والعربية ، The Organ of The Ancients : From Eastern Sources (Hebrew, Syriac, Arabic) وفي عام ١٩٣٣ م نشر كتاب « معلم عود مراكشي قديم An Old Moorish Lute Tuter » وبعدها بسنة واحدة نشر كتاب « كتابات الفارابي العربية_اللاتينية Al-Farabi's Arabic Latine Writing On Music » . ونشر سنة ١٩٣٧م كتاب « الملاهي التركية في القرن السابع عشر .Turkish Musical Instruments in the 17th Century » . وأصدر سنة ١٩٣٩م الجزء الثاني من كتابه « دراسات في الملاهي الشرقية » وفي السنة نفسها أصدر كتاب « مصادر الموسيقى العربية : تعليقات تاريخية The Sources of Arabic Music : An Annotated Bibliography » .وفي سنة ١٩٤١م نشر كتاب « موسى بن ميمون في السماع Maimonides, on Listening to Music » وترجم سنة ١٩٤٢ م ، ونشر الجزء الخاص بالموسيقى والغناء من كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه [1] بعنوان « Music ; The Priceless Jewel » وأصدر سنة ١٩٤٣ م كتاب « سعدية الكاون [2] في التأثير الموسيقي Sa'adyah Gaon on the Influemce of Music » . ونشر في سنة ١٩٤٦م كتاب « غناء ألف ليلة وليلة The Ministrelsy of Arabian Nights » . وفي عام ١٩٥٣ م [3] أصدر كتاب « دراسات شرقية أغلبها موسيقي الصبغة Oriental Studies; Mainly Musical »

ومما يحسن الاشارة اليه أن الأستاذ فارمر كتب أيضاً لدائرة المعارف الاسلامية (ليدن ١٩١٣_١٩٣٨ م) موضوعات في موسيقى العرب تضيق عن الحصر منها مواد : « غناء ، طبل ، طبل خانة ، طنبور ، أرغن ، رباب ، عود ، مزمار ، معزف ، موسيقي ، دف ، نوبة ، بوق » فضلا عن ترجمته لسير عدد كبير من مغني العرب ومؤلفيهم في الموسيقى

(١) لم يترجم كتاب العقد الفريد الى أية لغة اجنبية حتى الآن

(٢) راجع التعريف بسعدية الكاون في الحواشي التالية لهذه

(٣) ان الجانب الأكبر مما سأسرده من معلومات عن الأستاذ فارمر ، اقتبسته من رسالة شخصية وجه بها الي بتاريخ ٧ شباط سنة ١٩٥٦ من المدينة التي يقيم بها الآن في انكلترا (غلاسكو)

وكتب الأستاذ فارمر أيضاً، الفصل الخاص بالموسيقى، في كتاب «نظرات في الفن الفارسي The Survey of Persian Art» الذي نشره «آرثر أو فام بوب Arthur Upham Pope» (طبعة اكسفورد سنة ١٩٣٨ م) كما كتب عدة موضوعات في معجم (كروف) عن الموسيقى والموسيقيين Grove's Dictionary of Music and Musicians منها: «الموسيقى العربية زمن الخلافة، الموسيقى العراقية، الموسيقى الفارسية، الموسيقى المغربية، موسيقى البربر، موسيقى الاسلام، الموسيقى المراكشية (مراكشي أسبانيا)، الموسيقى التركستانية، الموسيقى السريانية، الموسيقى المصرية وموسيقى الصوفية والدراويش» الخ

وهو الآن متفرغ للكتابة في مواضيع الموسيقى الاسلامية لدائرة المعارف الاسلامية التي ستصدر باللغة الأردية. هذا إلى جانب مقالات وبحوث عديدة في الموسيقى العربية نشرها في مختلف أدوار حياته في المجلات التالية أسماؤها:

Musical Standard, The Musical Times, The Music Review, Music And Letters, The Journal of the Royal Asiatic society, The Transactions of the Glasgow University, (Oriental Society), Islamic Culture (Hyderabad).

ورسالته الأخيرة التي نترجمها الآن، صدرت سنة ١٩٥٥ م باسم «أسماء الأصوات في كتاب الأغاني الكبير» [1]

آثار المستشرقين في الموسيقى العربية قبل فارمر:

سبق الدكتور فارمر عددٌ من المستشرقين بحثوا في النواحي التاريخية والفنية والصلات العلمية للموسيقى العربية، وبحث بعضهم في تأثيرها في موسيقى الغرب، ولكن أغلبهم لم يكن متخصصاً متفرغاً وسأحاول أن آتي في الأسطر الآتية إلى سرد ما وقفتُ عليه من تآليفهم

(١) أعلمني أنه أصدر كتباً في الموسيقى الأوروبية خلال سنوات ١٩٥٠ — ١٩٥٥ م منها: كتاب «التأليف الموسيقي في العصور الخالية Making of Music in the Olden Days» وكتاب «كوسات هاندل وغيرها من تطورات الموسيقى العسكرية Handel's Kettledrums and other papers on Military Music» وكتاب «الموسيقى العسكرية Military Music» وكتاب «الفارس زفرتال Cavaliere Zavartal» وكتاب «تاريخ الجوق الموسيقي للفرقة الملكية الآلية مابين ١٧٦٢–١٩٥٣م».

وآثارهم ليتسنى للقارئ فرصة المقايسة بأعمال الأستاذ فارس ، الذي سيبدو ولا غرو ، مكتسحاً ميدان التآليف في الموسيقى العربية منذ عرفه عالم التآليف والاستشراق ، ولعل هذه المقارنة هي جل ما يمكن أن نقدمه في الوقت الحاضر من مكافأة حسنة واعتراف بالجميل للأستاذ الجليل

* * *

كان أندريه Andres الإسباني أول من قدم ، من المستشرقين ، أثراً موسيقياً بعد (هربان) [1] ، بتصنيف مؤلف كامل عن الموسيقى العربية ، أصدره سنة ١٧٨٧ م بعنوان «صحائف من موسيقى العرب Cartas sobre le Musica de los Arabes». وفي سنة ١٨٣٩ م ألف « پورگستال » [2] كتاب « الموسيقى العربية والفارسية » طبع في فيينا بعنوان Literatur : der Arabische und Persische Musik.

ونشر « كوسكارتن » [3] جزءاً من كتاب الأغاني للأصبهاني باللغة اللاتينية مع تعليقات فنية وتاريخية ذات قيمة علمية صدر سنة ١٨٤٢م بالعنوان الآتي : Alii Ispahanensis liber Cantilenarum magnus Arabice editus adjectaque tranlatione adnotationibusque illustratus ab J.G.L. Kosegarten.

ونشر المؤلف نفسه في مدينة (بون) سنة ١٨٤٤ م كتاباً في الموسيقى العربية باسم « المؤلفون المسلمون في نظرية الموسيقى Die Moslemischen Shriftsteller

(١) Herbin (١٧١٦ — ١٧٩٥م) مستشرق فرنسي ألف في أصول اللغة العربية وله معجمان عربي فرنسي وفرنسي عربي ، كتب عدة من الرسائل والبحوث في الموسيقى العربية عند قدماء العرب لم نقف على شيء منها

(٢) Purgstall (١٧٧٤ — ١٨٥٦م) مستشرق نمسوي معروف ، درس الآداب الشرقية في جامعة فيينا ثم أصبح مدرساً وأستاذاً فيها ألف عدة كتب في العرب منها تاريخ الفلاسفة وتاريخ آداب العرب ومما ترجمه الى الألمانية ديوان المتنبي

(٣) Kosegarten (١٧٨٢ — ١٨٦٢م) مستشرق ألماني، درس العربية في غريفالد في باريس وتتلمذ على دي ساسي المستشرق الشهير . وأصبح معلماً للغات الشرقية في فيينا ، نشر عدة كتب عربية منها « كتاب الموسيقى الكبير للفارابي

« Uber Theorie der Musik. ونشر « كايسور » Kiesewtter كتابه « الموسيقى العربية من مصادرها Die Musik, der Araber nach original quellen » في لايبزك سنة ١٨٤٢ م . وطبعت جمعية الشرق الاميركية رسالة بقلم إيلي سمث Eli Smith « رسالة في الموسيقى العربية A. Treatise on Arabic Music » سنة ١٨٤٧ م وأصدر الباحث الاسباني سوريانو فورتيس Soriano Fuertes كتاباً عنوانه « الموسيقى العربية الاسبانية Musica Arab-Espanola » نشر في برشلونة سنة ١٨٥٤ م

وفي كتاب عن « تاريخ الموسيقى Geschichte der Musik » لمؤلفه أمبروزي A. Ambros ظهر في برسلاو سنة ١٨٦٢ م ، بحث عن الموسيقى العربية اطلعنا على ترجمته الانكليزية وطبع المستشرق سلفادور دانييل Salvador Daniel عام ١٨٦٣ م في الجزائر كتابه « الموسيقى العربية La Musique Arabe » كما أني وقفت له أيضاً على كتاب «الموسيقى العربية ، صلتها بالموسيقى اليونانية والألحان الغريغورية La Musique Arabe, ses rapports avec la Musique Grecque et le Chant Gregorien. طبع في الجزائر عام ١٨٧٩ م

والمستشرق الروسي كريستيانوفتش Christianowitch كتاب قيم في الموسيقى العربية باسم « نبذة تاريخية في الموسيقى العربية القديمة Esquisse Historique de la Musique Arabe aux Temps Anciens » طبعه في كولون عام ١٨٦٣م مزيناً برسوم للملاهي العربية وأصدر المستشرق المعروف باربييه دي مينار [1] أول دراسة فنية لحياة موسيقار عربي وهو إبراهيم بن المهدي Ibrahim, fils de Mehdi ، نشره في المجلة الآسيوية سنة ١٨٦٩ م ثم طبعه كتاباً

وفي هذه المجلة نُشرت مقالات وبحوث عن الموسيقى العربية في غاية الأهمية فمثلاً نشر الأستاذ كوسان دي برسفال [2] مقالاً مطولاً باسم « ملاحظات عن الموسيقيين العرب

---

(١) Barbier De Meynard مستشرق فرنسي نشر عدة كتب عربية وترجم الأجزاء الثلاثة الأول (من أصل أربعة) لمروج الذهب المسعودي إلى الفرنسية

(٢) Caussin De Perceval (١٧٥٩ — ١٨٣٥م) مستشرق فرنسي وأستاذ في معهد الدراسات الشرقية الفرنسي وعضو في المجمع العلمي للكتابات والفنون الجميلة

« Notice sur les musiciens Arabes سنة ١٨٧٣ م ونشر فيها سنة ١٨٨٤ م » دراسة لثلاثة موسيقيين عرب « Etude sur Trois Musiciens Arabes » بقلم سي هوارت C. Huart وكتب المستشرق الفرنسي كيار [1] ، كتاباً في الموسيقى العربية باسم « نظرية خاصة في العروض والموسيقى » نشره سنة ١٨٧٦ م ونشر البارون كارا دي ڤو في المجلة الآسيوية أيضاً بحثاً في « الصلات الموسيقية : أو رسالة شرف الدين ، (الشرفية) لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي سنة ١٨٩١م باسم « Le Traité des Rapporte Musicaux, ou d'epitre Scharaf Ed-din, par Safi Ed-din 'Abd el-Mumin Albagdadi. (Carra de Vaux) » وهو مستشرق معروف بتبعاته الرياضية والفلكية العربية وألف جي دولفين G. Delphan وإل كوين L. Guin الفرنسيان كتاب « ملاحظات حول الشعر والموسيقى العربيين في الجزائر بالمغرب » طبعاه في باريس سنة ١٨٨٦م بعنوان : « Notes Sur la Poésite et la Musique Arabes dans le Maghrib Algérien »

وكتب المستشرق الإيطالي ب ريبدو كتاب « دراسات في الموسيقى العربية « P. Tripodo: Lo Statod delgi studii sulla musica degli Arabi » طبع في روما سنة ١٩٠٤م ونشر الأب كولانكيت في المجلة الآسيوية مجموعة مقالات متسلسلة على جانب من الأهمية في الموسيقى العربية بعنوان « دراسة في الموسيقى العربية « Etude Sur la Musique Arabe » نشر ما بين سنوات ١٩٠٤ — ١٩٠٦م ونشر الأستاذ ميتيانة R. Mitjana سنة ١٩٠٦م نبذة عن « الاستشراق الموسيقي والموسيقى العربية L'Orientalisme Musical et la Musique Arabe » نشره في مجلة العالم الشرقي Le Mond Oriental وكتب لافاج La-Ffage كتاباً عن الموسيقى العربية يشمل كلّ ناحية من نواحيها الفنية والتاريخية وملاهيها وأغانيها بثلاثة مجلدات ، نشره في تونس سنة ١٩٠٥م باسم « La Musique Arabe: Ses instruments, ses chants, facicules »

* * *

(١) Gauyard (١٨٢٤ — ١٨٨٤م) مستشرق فرنسي درس العربية في معهد فرنسا وله عدة كتب وبحوث استشراقية

لم يكن هؤلاء المؤلفون منصرفين بكليتهم إلى الناحية الموسيقية ، دلت على ذلك مؤلفاتهم وبحوثهم الأخرى ، لكن عالم الإستشراق لم يكن عقيماً بأمثال الأستاذ فارمر ، لأنه انجب بشخص الاستاذ لاند J. P. N. Land والأستاذ جول راوونيت باحثين متفرغين للموسيقى ، وهو أمر قد يحملنا على اغتفار الكثير من المثرات الفنية والتاريخية فيما كتبه الأخير منهما

وهذه طائفة من الكتب التي ألفها الأستاذ « لاند » في هذه اللغات : الفرنسية والانكليزية والهولندية والالمانية

(١) بحوث في تاريخ الكوتما العربية — طبع ليدن سنة ١٨٨٤ م

Recherches sur l'histoire de la Gamma Arabe.

(٢) ملاحظات حول التطورات الأولى التي طرأت على الموسيقى العربية

Remarks on the Earliest development of the Arabic Music.

(٣) بحوث فى التدوين الموسيقي عند العرب والفرس — طبع ليدن سنة ١٨٨٥ م

Over de Toonladders der Arabische Musick.

(٤) عن السلالم الموسيقية في الموسيقى العربية — طبع امستردام سنة ١٨٨٠ م

(٥) عاذج من النغم والالحان الاسلامية في القرون الوسيطة (مجلة الموسيقى الدورية)

Tonschriftversuche und Melodieproben aus dem Muhammedan hen Mittelalter (Vierteljahrsschrift für Musik wissenschaf.

أما آثار الاستاذ « راوونيت » فهي الكتب والبحوث الآتية : —

(١) بحث نشره في مجلة « ميركورموزيكال Mercure Musical » سنة ١٩٠٥ _ ١٩٠٦م

« المدخل فى تاريخ الموسيقى العربية Esquisse pour une histoire de la Musique Arabe »

(٢) الغناء الشعبي العربي _ نشره فى سنة ١٩٠٥ م فى مجلة « ريفيو موزيكال Revue Musical » Le Chanson Populaire Arabe

(٣) كتاب معالم الموسيقى العربية والغربية (بالتدوين الموسيقي الحديث) طبع فى

الجزائر سنة ١٩٠٥ م بالاشتراك مع Eépertoire de Musique Arabe et (F. N. Yafil
Muare (Notation Modern)

(٤) الموسيقى العربية (مناقشة فى مؤتمر المستشرقين الدولي بالجزائر سنة ١٩٠٥ م)
طبع فى الجزائر La Musique Arabe (Conférance au Congrés des Orientalists
d'Alger, 1905)

هذا غير ما ساهم به فى الموسيقى العربية فى معجم لافينياك الموسيقي كما سيأتي بيانه

* * *

مما أوردنا ذكره من الجهود العلمية للمستشرقين فى هذا الميدان ، سيلحظ القارىء ، ولاشك ، أن تأليف الباحثين والمستشرقين فى الموسيقى كاد يقف تماماً فى مفتتح القرن العشرين ، وأن الاستاذ فارمر كان ربان السفينة الاوحد خلال النصف الأول من هذا القرن ، وسيد الميدان الذي لم ينازعه فيه أحد وأن ما ألّفه إلى الآن يكاد يكون مكتبة صغيرة وسيكون حكمك على هذا العالم الجليل من كتابه الذي نقلناه فى الصفحات التالية فالى الترجمة :

أسماء الأصوات في كتاب

« الأغاني » الكبير

THE SONG CAPTIONS IN THE KITAB
AL-AGHANI AL-KABIR

لاجرم لقد استأهل كتاب أبي الفرج الاصبهاني (٨٩٧ ـ ٩٦٧ م = ٢٨٤ ـ ٣٥٧ هـ) الشهير، ثناء المؤرخ العربي العظيم « ابن خلدون » حين نعته بـ « ديوان العرب » هذا الكتاب الذي لا يعدلُـه كتاب ، والغايةُ التي يسمو اليها الأديب ويقف عندها ، والجامعُ لأشتات كلّ فنّ من الفنون ، إنما هو سجلّ بالاغاني والمغنين ، والموسيقيين والشعراء والعازفين منذ عهد الجاهلية

حتى القرن العاشر الميلادي ، فضلا عن كونه أثمن التواريخ طراً . جمع مؤلفه ما فيه من أخبار من مؤلفين لم يكتب لمؤلفاتهم النجاة من غائلة التدمير البربري الجائح المكتبات . أما وأنّ الاصبهاني كان على دراية تامة بعلم الموسيقى ، فهذا ما يستخلص من عنواني كتابين آخرين من تأليفه وهما « كتاب فى النغم Book About Melody » و « كتاب أدب السماع Book of Discpline Concerning to Music »[1] فى حين تتطاول مكانته ، بوصفه مؤرخاً من الثقات ، بإيراده المنسق المتسلسل من الأنساب ، كأسانيد لأخباره ؛ تلك الأسانيد التي كانت أهميتها عنده تعدل أهمية سلسلة السند الطويلة إذ يتسابق الى ايرادها مدونو حديث الرسول (ص)

ويدلّ عنوان كتابه ، على أنه كتاب للاغاني كبير الجرم ، وهو الحق يقال ، أكبر كتاب وضعه كاتب فى مثل هذا الباب فقد سلخ فى تأليفه خمسين سنة كاملة على أنّ ما يهمنا منه الآن ليس أخباره بل « أغانيه Songs » ولا سيما تلك التي قال عنها فى كتابه ، إنها كانت تغني مما اعتاد نعته فى كتابه باسم « أصوات ، وصوت Vocal Pieces » كل صوت من هذه الأصوات يرد فى كتاب الاغاني يكاد يكون غير عاطل عن العنوان أو الاسم ، تعقبه رأساً جملة مركبة من عدة كلمات تتضمن ، الايقاع أو الطريقة Rhythmic modes أو الأصابع Melodic modes مما يؤدى به الغناء ويبدو ، مع هذا ، أنه لم يتسنّ لاحد خلال السنوات الألف المنصرمة ، أن يميط اللثام عن سر التركيب الدقيق لهذه النغم Modes[2] ، حتى آلت النتيجة الى أن المستشرقين فى العلوم العربية ما ابثوا أن وجدوا أنفسهم فى الوضع الذي صار اليه أمر المستشرقين فى العلوم العبرانية عند بحثهم فى أصوات المزامير ، بفارق واحد ، هو أن هؤلاء الأخيرين قد يئسوا ، على

(١) في وصف هذين الكتابين انظر الصفحات ٣٧٨ ــ ٣٨٠ من كتابنا الموسوم « مصادر الموسيقى العربية (طبع ١٩٤٠ م)

(٢) استعملت هنا لفظة « النغم » لما يقابل كلمة Mode التي أوردها المؤلف في المتن لانها أقرب الى مفهوم السياق مما اتخذت لغيره ، ذلك لأن الأستاذ فارمر دأب على استعمال هذا الاصطلاح الغربي للدلالة على أكثر من ستة مفاهيم فى مختلف كتبه الموسيقية ومنها : (طريقة ، لحن ، شد « جمعها شدود » ، دور ، غناء ، مقام) الخ ... (ملاحظة المترجم)

ما يبدو ، من حل مشكلهم فنكصوا على أعقابهم مستسلمين

وفي الواقع أن المستشرقين لم يهملوا قضية حل هذا المشكل ، ففي عام ١٩٠٦ م نشر المرحوم الأب « كزافييه موريس كولانكيت [١] » حلولا للاصابع مستخدماً دليله من رسالة ابن المنجم [٢] ، وقام بنشر هذا الحل في المجلة الآسيوية معقباً مقاله باقراره انه لم يكن مطمئناً الى النتيجة اطمئناناً تاماً ، قال :

« هنالك حلول أخرى ممكنة ومرضية كذلك ، لكن هذه وتلك ، قد تثير اعتراضات هنا وهناك »

إن رجعة الاب كولانكيت لهذه الأصابع Modes والنغم Notes التي بناها على شد الاوتار ، برهنت على أصالة رأي ، على أني ناقشته شخصياً في المشكلة عندما كنا في القاهرة سنة ١٩٣٢ م بمحضر اجتماعات مؤتمر الموسيقى العربية ، عرضتُ عليه نظاماً آخر لهذه الأصابع Melodic Modes وبين يدي وأثناء ذلك ، رسالة ابن المنجم ، فشايعني في رأيي وعلق بقوله :

« إنها تبدو تفسيراً معقولا في ظاهرها »

ثم إن « جول راوونيت » تصدى لهذا الموضوع في الفصل الخاص بالموسيقى العربية La Musique Arabe من دائرة المعارف الموسيقية للافيناك [٣] ، ولكنه قام بنقل حلول

---

(١) المجلة الآسيوية Journal Asiatique العدد (١) سنة ١٩٠٦م ، ص١٦٦ ــ ١٦٨ (ملاحظة المترجم) :

إن الأب كولانكيت (١٨٦٠ ــ ١٩٣٤ م) مستشرق لبناني السكنى ، فرنسي الأصل ، كان أستاذ علم الطبيعيات في كلية الطب الفرنسية ببيروت منذ سنة ١٨٩٨ م أنتخب سنة ١٩٣٢ م رئيساً للجنة السلم الموسيقي العربي في مؤتمر الموسيقى بالقاهرة وله بحوث عربية قيمة توفي في لبنان Pere Xavier Maurice Collangettes

(٢) يحيى بن علي بن يحيى بن أبي المنصور (٨٥٦ ــ ٩١٢ م = ٢٤٢ ــ ٣٠٠ ﻫ) الشاعر الموسيقي المعتزلي صاحب كتاب (النغم) الذي نشره الأستاذ محمد بهجة الأثري عن نسخته الفريدة في المتحف البريطاني وقد اعتمدناها في بحثنا هذا

(٣) (ط باريس ١٩٢٢ م ج ٥ : ص ٢٧٠١ ــ ٢٧٠٤) Lavignac : Encyclopedie de-la Musique (la Musique Arabe)

الأب كولانكيب ليس‌الا . اما «الايقاعات أوالطرائق» فقد تصدى لها كاتب البحث بتفصيل في كتابه الموسوم «سعديـة الـكاون : في التأثير الموسـيقي Sa'adyah Gaon on the Influence of Music» المطبوع عام ١٩٤٣ م [1] في هـذا الـكتاب شرحتُ باسـهاب وتطويل الاصابع التي ذكرها ابن الـكندي (ت حوالي ٨٧٤ م = ٢٦١ هـ) ، وسـعدية الـكاون (ت ٩٤٢ م = ٣٣١ هـ) ، والفارابي (ت حوالي ٩٥٠ م = ٣٣٩ هـ) [2]، والخوارزمي (عاش فيما بين ٩٧٦ ـ ٩٨٧ م = ٣٦٦ ـ ٣٧٧ هـ) [3] ، وإخوان الصفا (أواخر القرن العاشر الميلادي) ، وابن سينا (ت ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ) [4]، وأثبتُّها كاملة بطريقة التدوين الموسيقي

---

(١) «الـكاون» في اللغة العبرية لفة تعظيم وإجلال ، وتطلق عادة على رئيس المجمع الديني اليهودي في بلاد السبي (سورا) وكان (كاون) أحد (السورائيم) ومركزه العراق بوصفه دار سبي اليهود ، تعاقب على مركز سـورائيم العراق (٣٨) كاونيم منهم ، الـكاون رابي سعدية بن يوسف الفيومي (٨٩٢ ـ ٩٤٢ م = ٢٧٩ ـ ٣٣١ هـ) ، الذي ترأس مجمع سورا سنة ٩٢٨ م = ٣١٦ هـ ، اغترف «سعدية» من علوم العرب الكثير، وكتب بعض‌مؤلفاته بالعربية ، لغة العلم والثقافة عنداليهود آنذاك ،كما كانت‌اللاتينية لدى الغرب والـكتاب الذي نوه به مؤلف هذا البحث ، كتبه سعدية في بغداد باسم كتاب «الامانات والعقائد» نقله الى‌العربية يهوذا بن طبون المتوفى سنة (١١٩٠م = ٥٨٦ هـ) ففي نهاية المقالة العاشرة منه مبحث عن الموسيقى وتأثيرها ، قريب المفهوم جداً من اتجاهات العرب في فهمها مما نقرأه في كتاب أحياء العلوم للغزالي ورسائل اخوان الصفا ، لايدع مجالا للشك في أمر المصدر الذي استقيت منه (ملاحظة المترجم)

(٢) الفارابي (٨٧٠ــ ٩٥٠ م = ٢٥٧ ــ ٣٣٩ هـ) أبو عبدالله محمد بن طرخان الفيلســوف والموسيقي النظري العربي ، التركماني الأصل، وصل الينا من كتبه في‌الموسيقى «كتاب الموسيقى الـكبير» وله «كلام في الموسيقى» و «كتاب الايقاع»

(٣) الخوارزمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد يوسف الخوارزمي ، مؤلف كتـاب عظيم الخطر اسمــه «مفاتيح العلوم» هو بمثابة موسوعة علمية عامة ، فيه فصل خاص بالموسيقى النظرية ، ذو قيمة كبيرة ، لتفسيره المصطلحات الموسيقية تفسيراً علمياً وتعريفها تعريفاً صحيحاً (ملاحظة المترجم)

(٤) لابن سينا في كتابيه: النجاة والشفاء ، فصلان كبيران في‌الموسيقى‌النظرية ، محفوظان في‌عدة متاحف أوروبية إن الجزء الخاص منها في كتاب النجاة قد نشره سنة ١٣٥٣ هـ السيد عبد الله العلوي طبعــه في مطبعة مجلس‌دائرة المعارف العثمانية بحيدرآبادالدكن باسم «رسالة في‌الموسيقى» وسأقوم بنشرها في‌المستقبل‌القريب مع تصحيحها وشرحها بصورة علمية (ملاحظة المترجم)

الحديث (١) أما تلك التي ذكرها الاصبهاني ، وابن خرداذبه (٣) من قَبْلِهِ ، فلم أتصدّ لشرحها في كتابي الذي أسلفت التنويه به ، على أني سأتناولها بالبحث هنا

ترى ما كنه تلك الطرائق (الايقاعات Rhythmic) الأصابع Melodic Modes التي زخر بها كتاب الأغاني الكبير للاصبهاني ؟

إن الطريقة أو الايقاع : هو توالي ضربات صوت مقنن معلوم أو بعبارة أخرى (دروب) ذات أزمان مختلفة ضمن دور ينتظم جملة موسيقية وابن خرداذبه (ت حوالي ٩١٢ م = ٣٠٠ هـ) الذي يخبرنا بأن « منزلة الايقاع Rhythm من الغناء Music بمنزلة العروض Prosody من الشعر (٣) ، ربما قصد بالعروض البحر Metre ولقد استعمل الملحنون الغربيون في القرون الوسطية « الأصابع » ، لكن الموسيقى منذ عهد « إحياء العلوم Renaissance » عادت غير مقصورة على أنماط ذات أشكال محددة مقننة إن الأصبع هو تعاقب نغمات Notes ذات نبرات مختلفة ضمن قـــدر من الزمن صيغت فيه جملة موسيقية وكانت أمة الأغريق ، والكنيسة المسيحية في القرون الوسيطة تستعملان الأصابع (٤) أيضاً لكنّ هذا النظام اندثر بتقدم المدنية الأوربية ، ولم يبق له أثر الا في موسيقى الصلاة المسيحية في الكنيسة . وحلّ محلها ما يدعى بـ Keys (٥) التي بقيت محافظة على شيء من التركيب الاصبعي Modal

---

(١) المرجع السالف (المصادر ...) الصفحات ٨١ — ٨٩

(٢) أبو القاسم عبدالله بن خرداذبه الفارسي الأصل تلميذ إسحق الموصلي في الموسيقى والغناء . والجغرافي المعروف بكتابه المسالك والممالك . كان في سامراء بين سنتي ٨٤٤ — ٨٤٨ م منادما الخليفة ، لم يصل الينا من كتبه الموسيقية غير كتاب أدب السماع ، « توجد منه نسخة فريدة في مكتبة حبيب أفندي الزيات (ملاحظة المترجم)

(٣) المسعودي مروج الذهب (الترجمة الفرنسية) باريس ١٨٧٤ م ، ج ٨ : ص ٩٧

(٤) تاريخ اكسفورد الحديث للموسيقى لندن ١٩٠٤م ، ج ٢ : ص ١١١ و ٣١٨

(٥) ان أنصاف النغمات الاثنتي عشرة في الضعف (الأوكتاف) من السلم الموسيقي الأوروبي تساعد كل بعد Mode من البعدين الكبير Major K. والصغير Minor K. على تخريج اثنتي عشرة حالة نغم ، وهذا أدى إلى أن يظهر الى عالم الوجود اثنتا عشرة نغمة key كبيرة واثنتا عشرة نغمة key صغيرة فهو والحالة هذه ، =

Structure في شكلين من أشكالها في الوقت الذي أقرت فيه بكثير من امتداد نفوذ مبدأ الاصابع عليها

وما نراه في كتاب الاغاني على العموم ، عنوان صوت من الأصوات ، فيه نجد اسم المغني والناظم والملحن متبوعة بمصطلحات تشير الى إيقاعه وأصابعه مع ذكر عروض البيت الشعري أحياناً ، أو ذكر الأبيات الأخرى التي يمكن غناؤها على تلك (الطريقة) ، أو أي من الأبيات تغنّى على (طريقة) أخرى

واليك أنموذجاً اعتياديا لما كثر وروده في كتاب الاغاني [1] :

« ... الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج وله فيه لحنان : رَمَل Rhythmic Mode بالسبابة في مجرى البنصر ، Melodic Mode ، عن إسحق الموصلي ، وخفيف ثقيل (أول) Rhythmic Mode بالبنصر Melodic Mode عن عمرو بن بانة [2]

إن وصف هذه الأصابع بالنسبة إلى رواية إسحق الموصلي لها واضح عما فيه الكفاية ؛ الا أن رواية عمرو [3] بن بانة ليس فيها الكفاية من الإشارة الى أصابع الصوت ، والأصبهاني نفسه عاب على عمرو بن بانة (ت ٨٩١ م = ٢٧٨ هـ) مؤلف كتاب « مجرى الاغاني » ، مسمياته الموسيقية « Nomenclatur الناقصة » ، باغفاله ذكر الأصابع وهو الذي شاهدناه في الفقرة التي اقتبسناها آنفاً فعمرو ، يخبرنا عن « مجرى Course » الأصابع دون إخبارنا عن ماهية الاصبع بالذات ، وهو ما يشبه القول عندنا : إن اللحن من المقام الكبير Major key من دون إيراد درجة النغمة لذلك المقام ولقد عيب على ابن بانة هذا ، لاطلاقه الأسماء المهجورة على

= وضع السلم الذي تكتب به الموسيقى الاوروبية في بعديها : الكبير Major key والصغير Minor key. (ملاحظة المترجم)

(١) كتاب الأغاني ط بولاق سنة ١٨٦٨ م ، ج ١ : ص ٢٤

(٢) هو عمرو بن محمد بن سليمان بن رشيد تلميذ إسحق الموصلي في الغناء ، وأحد مشايعي ابراهيم بن المهدي في المدرسة غنى في بلاط المأمون واشتهر أيام المعتصم ونادم المتوكل (ملاحظة المترجم)

(٣) فارمر « مصادر ... » ص ٢١ ، ويسمى أيضاً « ابن بانه »

الطرائق (الايقاعات) ووُجِـه انتقادٌ مشابه ، على يحيى المـكيّ (ت حوالي ٨٢٠م = ٢٠٥هـ)[١] للسبب نفسه ، وكان مؤلفاً لـكتاب فى الاغاني [٢] . إلى هذه النقائص والعيوب ، يُعزى شي- قليل من الصعاب التي نقلناها فى حل اللفيف المعقد من أسماء الأغاني فى كتاب الاصبهاني على انه يوجد ثَمّ مئات من الأصوات الصحيحة التسمية فى هذا الـكتاب مما يشمل كل الايقاعات والأصابع المعروفة ومن هذه الأصوات نستطيع أن نتدارس المشكلة دون كبير عائق

إن « الايقاعات أو الطرائق » التي وردت عند الاصبهاني هي ، بوجه عام ، الآتية :

١ — ثقيلُ أول

٢ — ثقيلُ ثاني

٣ — خفيفُ ثقيل أول

٤ — خفيفُ ثقيل ثانٍ

٥ — رَمَل

٦ — خُفيفُ رَمَل

---

(١) هو يحيي بن مرزوق مولى بني أمية ، قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته ، وكان يغني مرتجلا ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع (ايقاع) بقضيب Wand على دواة وكان من أساطين الغناء القديم له كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها ، يشمل على نحو من ثلاثة آلاف صوت ومع أن إسحق الموصلي كان يقدمه كثيراً إلا أنه كان يعيبه ، كغيره من متقـدميه ، على نسبه بعض الغناء الى المتقدمين من المغنين بينما هو من عمله (ملاحظة المترجم) مجلة المجمع : إن كان يحيي المكي قد توفي سنة « ٢٠٥هـ = ٨٢٠م » فقد استحال أن يكون ممن يحضر مجلس الخليفة المعتمد على الله بعد منتصف القرن الثالث للهجرة

(٢) فارمر : « مصادر ... » ص ١٥ يقول صاحب الأغاني : « ... وهذا عمرو ابن بانة وهو من تلاميذه ، أي من تلاميذ إسحق يقول في كتابه (أي مجرى الأغاني) « الرمل الأول » و « الرمل الثاني » ثم لا يزيد في ذكر الأصابع والوسطى والبنصر ولا يعرف بالمجاري التي ذكرها إسحق ... » (ملاحظة المترجم)

٧ — هَزَج

٨ ـ خفيفُ هَزَج

ولنا أن نضيف إلى الجدول « الرَمَل الطنبوري » الذي قد يكون اسماً ثانياً للنوع الأخير من الجدول . على أن الاصبهاني لم يأت إلى شرح طريقة واحدة من هذه الطرائق شرحاً علمياً ، وإن كان إسحق الموصلي قد ترك لنا فقرة تتعلق بالفرق بين « الثقيل الأول » و « الثقيل الثاني » مع خفيفيهما ثمّ إن ما أسماه اسحق « أولا » دعاه ابراهيم بن المهدي [1] « ثانياً » ، وقد أثبت الاصبهاني مشادات عديدة بينهما في هذا [2] الموضوع ، وكان هذا الخلاف سبباً لقيام اضطراب عظيم بين « الطرائق »

هنالك معلومات ضئيلة لا نكاد تذكر ، عكن التقاطها من كتاب مروج الذهب للمسعودي (ت ٩٥٦ ـ ٩٥٧ م = ٣٤٥ ـ ٣٤٦ هـ) كان الناطق بهـا ابن خرداذبه يذكر هـذا « الطرائق » ، كما أوردها الاصبهاني ، وهو المتوقع منه لكونه تلميذا لإسحق الموصلي أيضاً كالاصبهاني ومن المؤسف حقّاً أنه قد وجد في كل المخطوطات الستة لمروج الذهب التي اعتمدها مؤلف هذه الرسالة ، التي رجع اليها « باربييه دي مينار » من قبله ، فراغات بيضاً في صلب هذه الفقرة ، لا عكن معها الوصول إلى وصف أكثر من خمس طرائق من أصل ثمانٍ وهذه هي الفقرة مع فراغاتها [3] : ـ

---

(١) لم يكن إبراهيم بن المهدي (ت ٨٣٩ م = ٢٢٥ هـ) موسيقياً محترفاً فهو حفيد أبي جعفر المنصور وابن الخليفة المهدي وأخو الخليفة الرشيد ، لكنه ترك للتاريخ ذكرى «عباس عاطل» فنان شغف بالموسيقى مع صوت رائع جيل أغانيه تجري على السنة العامة من سكان بغداد لقد بلغ من عمق صوته أنه زعم لنفســه القدرة في الغناء على طبقة الآلة التي يستعملها ثم من ضعفها (أو كثافها) ثم من طبقـــة الوتر الغليظ ثم من ضعفه نودي به خليفة بضعة أيام قبل دخول المأمون إليها بعد مقتل الأمين ، وذلك مما أحفظه عليه ، ولـكنه عفا عنه وتركه موزع الوقت بين الممارسة الموسيقية والاستماع الى المغنين (ملاحظة المترجم)

(٢) الأغاني ج ١ : ص ٦٢

(٣) المسعودي المرجع السالف ج ٨ : ص ٩٧ — ٩٩

« ... (١) الثقيل الاول : نَقْـرُهُ ، ثلاثةٌ ثلاثةٌ : اثنتان ثقيلتان بطيئتانِ ثم نقرة [١] واحـــدة . (٢) الثقيل الثاني « فراغ » (٣) خفيف الثقيل الأول « فراغ ... » (٤) خفيف الثقيل الثاني : نَقْـرُهُ ، إثنتان متواليتان وواحدةٌ بطيئة واثنتان مزْدُوجتان [٢] (٥) الرَّمَـل « فراغ ... » (٦) خفيف الرمل : نَقْـرُهُ ، اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وَقفَـة Pause . (٧) الهـزَج : نَقْـرُهُ ، واحدةٌ واحدةٌ متساويتان مُمْسِكة [٣] (٨) خفيف الهزج : نَقْـرُهُ ، واحدةٌ واحدةٌ متساويتان في نسق واحد أخفّ قدراً من الهزج »

ونقل لنا عن هذا الكاتب أيضاً قوله : إن جنس خفيف الثقيل الأول يسمى (الماخوريّ) ، لأن إبراهيم الموصلي (ت ٨٠٤ م = ١٨٩ ﻫ) [٤] كان كثير الغناء في المواخير (الحانات) على هذه الطريقة في أغلب الأحوال يمكن تسجيل هذه الطرائق بالملامات الموسـيقية الصوتية Mensural Notation التي بسطتُها وأفيتُها حقَّها من الشرح في كتابي « سمدية الـكاون في التأثير الموسيقي » إن الأصابع Melodic Modes وجدت أول مدونٍ لها وخالقٍ في شخص ابن مِسْجَح (ت حوالي ٧١٥ م = ٩٧ ﻫ) [٥] وفي عصر إسحق الموصلي بعده بقرن ، ما لبث أن دبّ اضطراب عظيم في القيم السلمية لهذه الأصابع يعزى بعض هذا الاضطراب

---

(١) يعني وقفة بين كل ثلاث ضربات

(٢) أعني مزدوجتين (ملاحظة المترجم)

(٣) أي منفردة (ملاحظة المترجم)

(٤) أبو اسحق ابراهيم بن ماهان (أو ميمون الموصلي) المولود سنة ٧٤٣ م = ١٢٦ ﻫ أصله فارسي لكنه نشأ في عرب بني تميم واستقر في الموصل، ثم شخص الى الري فأخذ الغناء الفارسي، ثم أرسله عامل الخليفة هناك إلى بغداد حيث حظي بالتقدم على سائر موسيقيي عصره في بلاط الرشـــيد ، الذي أحبه حباً جماً وخصه بمنادمته فأصاب شهرة عظيمة وثروة أعظم ويقلده «ابن خلـكان» فضل اختراع أصوات جديدة وينسب إليه وضع تسعمائة لحن (صوت) (ملاحظة المترجم)

(٥) كتاب الأغاني ج ٣ : ص ٨٤ وهو سعيد بن مسجح مولى بني جمح عبد أسود مكي من فحول المغنين وأول من دون الغناء ونقل غناء الفرس والروم الى الغناء العربي في العصر الأموي ولأجل ذلك طاف كل هذه البلاد غنى امام الخليفة المترمت «عبدالملك» فاستحسن غناءه وعدل عن عقابه كانت وفاته ايام «الوليد الأول» (ملاحظة المترجم)

الى إقحام النغم الأعجمية في كيان السلم الموسيقي العربي الذي كان حتى ذلك الزمن سلما فيثاغوريا [1] بسيطاً سهل المتناول ومن تلك النغمات الدخيلة ، نغمة « البعد ذي الثلاث الأصغر Minor Third » الفارسية (قياسها ٣٠٣ ذرة Cents) التي هي أحدُّ قليلاً من النغمة العربية الفيثاغورية (قياسها ٢٩٨ ذرة Cents) بينما زاد في الإرتباك نغمة « البعد ذي الثلاث الناقصة Neutral Third » (قياسها ٣٥٥ ذرة Cents) التي سميت بالزلزلي [2] ، وقد لاقت انتشاراً وذيوعاً عظيمين

وأنكى من كلّ ذلك ، شيوع استعمال الطنبور الخراساني ، وهو الطنبور الطويل العنق الذي سبيت دساتين لوح أصابعه ، إدخال سلم جديد يبدو « بقية Limma »[3] (قياسها ٩٠ ذرة Cents) ثم بقية (٩٠ ذرة Cents) ثم كوّما [4] Comma » (قياسها ٢٤

---

(١) من الحقائق الثابتة في علم الموسيقى ، أنه مهما تعددت تقسيمات السلالم واختلفت نسب الأنغام ، فلا بد من وجود سلم قياسي يتبين بواسطته الفوارق الصوتية بين درجات سلم أو آخر وكان السلم الفيثاغوري قائماً بهذه المهمة ، (نسبة الى مدرسة الفيلسوف اليوناني فيثاغورس من القرن السادس ق م) ويتألف من خمسة أبعاد طنينية نسبة كل منها ٩/١ من الوتر ومن بعدين قيمة كل منهما ٢٥٦/١٣ من الوتر. أي سبع نغم رئيسة وأما العرب فقد استعملوا هذا السلم زمناً ثم أضافوا الى نغمه السبع الرئيسة ، عشر درجات فرعية لتسهل الدلالة على أنواع الأبعاد الموسيقية ولتقابل من علامات التحويل (البيمول) التي يستلزمها التعبير عن سائر نسب الأنغام فيما لو اقتصرنا على درجات السلم نفسه ، واعتبرها كتاب العرب في نظرية الموسيقى أنغاماً اصلية أيضاً وهذا ما يقصده المؤلف حتى انك لتجد في رسالة ابن المنجم ما يفيد ذلك (ملاحظة المترجم)

(٢) منصور زلزل الضارب المتوفى (٧٩١م = ١٧١ هـ) هو أخو زوجة إبراهيم الموصلي ومن أشهر ضاربي الطنبور والعود في العصر العباسي ولم يعرف في الغناء وهو مخترع عود الشبوط الذي حل محل العود الفارسي القديم ، وهذا السلم المنسوب اليه يسمى الآن « بيكاه » وقياسه ٢٢/٢٧ التاريخ الجديد لاكسفورد في الموسيقى ج ١ : فصل ١١ (ملاحظة المترجم)

(٣) الليما ، هو بعد من الابعاد الصوتية دقيق الدرجة يسمى بالعربية (البقية) وهو أقل من البعد ذي النصف (أقل من نصف صوت) ونسبته الرياضية هي ٢٤٣/٢٥٦ (ملاحظة المترجم)

(٤) الكوما ، وهو بعد دقيق جداً من الابعاد الصوتية لا تكاد الأذن تميزه بين النغم ، أو هو « نبرة » صوتية Interval صغيرة جداً بين نغمتين هما في الظاهر نغمة واحدة تحسب وتقاس بأشكال مختلفة . ففي =

ذرة Cents) [1] شاع هذا السلم وفضلته مدرسة الموسيقيين العربية الحديثة في دار الخلافة بزعامة « إبراهيم بن المهدي » الذي أدخل أيضاً بعض التجديدات في مبادئ الايقاع كما سبق أن رأينا ولكن « إسحق الموصلي » زعيم المدرسة القديمة ، اتخذ موقفاً صارماً ضد هذه التجديدات لأنها - كما قال الاصبهاني — كانت تتناول بالتغيير الجوهري هيكل الموسيقى العربية القديم الاسامي وتعبث بتقاليدها قاطبة [2] ولما كانت الموسيقى غير مدونة ، وإنما يتم حفظها ألحاناً في الذاكرة ، وتنتقل من فم الى أذن ، إذن كان الخطر من ضياعها أكيداً ولهذا قرر إسحق الموصلي أن يصحح التركيب القديم للطرائق ، عن طريق الوصف الكلامي في كتابيه (كتاب الأغاني الكبير) و (كتاب النغم والايقاع) وغيرها من كتبه [3] إن مساهمة إسحق الموصلي بجهوده في ميدان الموسيقى العربية ، حظي بأسنى مدح من الاصبهاني الذي وضع كتابه على أسس إسحق ، قال عنه : —

« ... وهو (أي إسحق) الذي صحح أجناس Genres الغناء Music وطرائقه Modes وميزه تميزاً لم يقدر عليه أحد قبله ... وهذا كله فعله إسحق واستخرجه بتمييزه حتى أتى على كل ما رسمته الأوائل مثل أقليدس، ومن قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنوا فيه الدهور ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه » [4]

من المؤسف حقاً ، أنه لم يصل الينا كتاب واحد من كلا هذين الكتابين لاسحق الموصلي ، وإن كان أغلب ماحواه أولها قد حفظه لنا الاصبهاني وأما ما يهمنا — وهو التركيب الاسامي الدقيق للأصابع الذي بحثه المؤلف في كتابه الثاني - فقد أنقذه لنا تلميذه ابن المنجم (ت ٩١٢ م) في مخطوطة عنوانها « رسالة في الموسيقى » نسختها الفريدة محفوظة في المتحف البريطاني [5]

= النظرية الطبيعية العامة للصوت يوجد طنينات كبيرة وصغيرة ، والفرق بينهما من الضآلة بحيث أصبح مهملاً في التدوين العربي الحديث. لكن الرياضيين الموسيقيين اليونان والعرب حصروه وحسبوه (ملاحظة المترجم)

(١) دائرة المعارف الاسلامية : (ليدن ١٩١٣م = ٩٣٨ هـ) ج ٣ : ص ٧٥٣

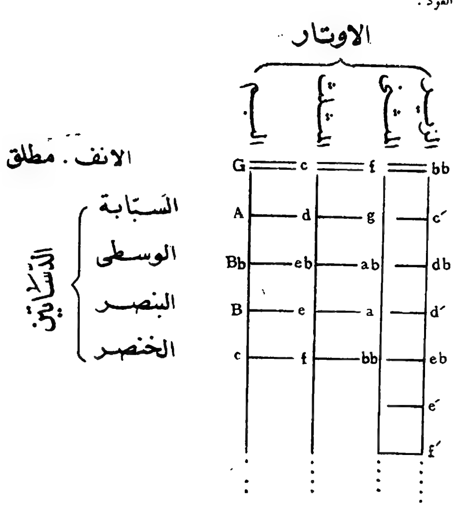
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد (القاهرة ١٨٨٧ م) ج ٣ : ص ١٩

(٣) فارمر : « مصادر ... » ص ١٦ — ١٧

(٤) الاصبهاني : كتاب الأغاني ج ٥ : ص ٥٢

(٥) المخطوطات الشرقية : (رقم ٢٣٦١) ملفة ٢٣٦—٢٣٨ انظر مقالي في معجم «كروف للموسيقى =

في تضاعيف ورقات هذه الرسالة نجد الحل الأول والأخير لمفهوم عناوين الأصوات الواردة في كتاب الاغاني للاصبهاني ، على أن التفسير والشرح ليس سهلاً وليس يتم بمحض رجوعنا الى ابن المنجم واستقاء المعلومات المنشودة منه ؛ ذلك لأن الأسامي الموسيقية العلمية لهذه الأصابع مرتبطة ارتباطاً جوهرياً وسببياً بتركيب العود ، حيث إن للدساتين Frets التي على عنق تلك الآلة القول الفصل في حل المشكل كما يرى من الجدول الذي يبسط الأوتار والدساتين على العود :



=سنة ١٩٥٤م، ج١ : ص ١٨١–١٨٢ .انتهت ملاحظة المؤلف). إن هذا الكتاب لم يبق مخطوطاً فقد نشره الأستاذ محمد بهجة الأثري سنة ١٩٥ م كما أسلفنا

من الضروري أن نلاحظ بصورة خاصة ، أن أوتار هذا العود وسائر العيدان العربية كانت تحزق وتدستن على أساس الأبعاد ذوات الأربع الكاملة Fourths عدة قرون نقول من الضروري لأن « كاثلين شلزنكر » في مقالها المنشور بمجلة « ميوزيكل ستاندرد »[1] ، قد تمسكت بالفكرة الخاطئة : أن المثنى والمثلث من الأوتار تحزق على البعد ذي الخمس ، كل واحد منها على حدة وردت فكرتها هذه في جزء المقدمة من تاريخ أكسفورد للموسيقى (لندن سنة ١٩٢٩م[2]) ، ورغم احتجاجي عليها في كتابي « حقائق تاريخية عن التأثير الموسيقي العربي » (ط ١٩٣٠م[3]) ، فقد مضت راكبة متن الشطط في كتابها الموسوم « الناي الاغريقي Aulos » (ط ١٩٣٩م[4]) إن التدوين الموسيقي لابن المنجم يصحح كذلك تخمينات « ويلي آپيل Willi Apel » في كتابه « معجم هارفرد لموسيقى » (ط هارفرد ١٩٤٤م) في زعمه أن الفارابي (ت في حدود ٩٥٠ م) هو الذي اتحف العرب بسلم جديد مبني على نبرة Interval البعد ذي الأربع Fourth (البم)[5]

إنّ الخطوط العمودية في الشكل تمثل أوتار العود الأربعة ، وأسماؤها مبتدئة بالأسفل ومنتهية بالأعلى في الدرجة : البمّ ، المثلث ، المثنى ، الزير وتمّ التسوية Tuning accordatura ببعد ذي أربعة اربعة ، أعني نبرة Interval من بُعد بأربع يفصل ما بين كل ور من الأوتار بُعد قدره (٤٩٨ ذرة Cents) . أما الخطوط الافقية ـ الخطوط المتفرقة ـ فتمثل الدستانات الأربعة وأسماؤها على الترتيب : السبابة والوسطى والبنصر والخنصر مشتقة من أسماء أنامل اليد الأربع التي تجس تلك الدستانات . أما الخط المزدوج الأفقي في الأعلى فيمثل الحلقة الخشب

(١) عدد ٦ شباط سنة ١٩٢٦ ص ٤٥ — ٤٦

(٢) صفحات ١٠٣ — ١٠٤

(٣) صفحات ٢٨٠ — ٢٨٥

(٤) صفحات ٢٧٤ — ٢٩٠ و ٥٣٧ — ٥٤٠

(٥) ص ٤٥

أو المظم في أعلى عنق الآلة الوترية ، وتسمى بالعربية (الأنف) وبالانكليزية Nut وعلى يسار ذلك يظهر في الشكل لفظة « مطلق » وضعت ثم لتشير الى نغمة مطلق الوتر Open string ، أي النغمة المتولدة من الضرب على الوتر دون ضغط على دستان ما بإصبع إن هذين المصطلحين ـ كما هو واضح ـ هما اللذان عودانا تسمية الـ Melodie Modes بالأصابع أو الدستانات .

ولو ألقينا نظرة على الجدول السابق مبتدئين بالمطلق Open string من (البمّ) وتر نغمة (G)[1] ، وتحولنا الى السبابة فنازلاً (دستان A) ومن بعدها الوسطى (دستان Bb)[2] أو البنصر (دستان B) والخنصر (دستان C) ، وهكذا حتى نصل إلى المَثلَث (وتر C) والمَثنى (وتر F) والزير وتر (bb) ، فاننا نحصل على سلمين من السلالم الموسيقية يوجد في كل منها « ضعفان » (أو كتافان Two octaves) على وجه التقريب بفهمنا هذا نكون قد خطونا أول خطوة في سبيل تحقيق معنى الاصابع أو النغم وأما الخطوة التالية فقد بسطها ابن المنجم بغاية الجلاء والايضاح قال : ـ

« إن النغمات عشر ، ليس في العيدان ... (المعروفة) أكثر منها »

على أننا نرى في الواقع ، من الجدول المار ذكره ، ثماني عشرة نغمة يعزو ابن المنجم وجودها الى الاغريق الذين توصلوا إلى هذا العدد من النغم باضافة نغمات (الضعف :

---

(١) في التدوين الموسيقي الحديث الشائع بين الموسيقيين Notation يوجد أربعة أشكال من العلامات المعروفة ، وهي العلامات الانكليزية والفرنسية والألمانية والايطالية ، وقد درج المشتغلون بالفن العملي عندنا على استعمال النظام الايطالي منذ عرفوا التدوين الموسيقي الغربي وطبقوه على الألحان العربية (ببعض تفسيرملائم) المعزوفة بآلات الضرب العربية كالعود والطنبور والقانون ، ولم يشع التدوين الانكليزي ، ولذلك وجدنا الأحسن أن نورد الأسماء الايطالية لدرجات السلم الأساسي الموسيقي في مقابل الأسماء الانكليزية لتقريب المفهوم من القارىء

العلامات الانكليزية :	A	B	C	D	E	F	G
العلامات الايطالية :	La	Si	Do	Re	Mi	Fa	Sol

(ملاحظة المترجم)

(٢) إن إشارة (b) تعني (البطيح Flat) أي النغمة الأصلية المدونة قبل الإشارة ناقصاً نصف نغمة واحد من درجتها (ملاحظة المترجم)

الاوكتاف) الثاني الذي يقول فيـه ابن المنجم إنه صورة طبق الأصل من الأوكتاف (الضعف) الأول على أنه يعود فيقول في موضوع معيار النغم Diapason : « إن الاختلاف بين إسحق ، ومن قال بقوله ، وبين أصحاب الموسيقى ، أن اسحق جعل النغم تسعاً وجعل العاشرة نغمة الضعف »

ومما تحـصّل لدينا من النغم العشر وُجد ما يسمى بالأصابع ، وهذه قسمت إلى جنسين Genres ، سُمي كل جنس بالمجرى (الجاري) Courses ، مثال ذلك ، مجرى الوسطى ومجرى البنصر [1] وعلى وجه التقريب في إمكاننا أن نشبه هذين المجريين ، وإن كان في تشبيهنا كبير افتئات على الواقع ، بديوانينا : الصغير Minor والـكبير Major ؛ ذلك لأنّ نغمة المثلث الصغير هي التي تميز الأول ، بيما نغمة المثلث الـكبير هي الطابع الذي يميز الآخر ، على أن هناك فروقا واختلافات أكثر جداً مما ذكرنا كما سيظهر لنا من الجدول الـكامل للنغم

استعملَ ابن المنجم « ضعفا أعلى » Higher octave لوصف الأصابع بجعل مطلق وتر F (مطلق المثنى) « عمادا Basis » لنظامه ، مسمياً إياها « بالنغمة العماد The note of support »

ودونك النغمات الثماني للاصهاني، كما فسرها ابن المنجم، مع تدوينها بالعلامات الموسيقية الحديثة[2]

(١) مطلق في مجرى الوسطى :	f g a^b b^b c´ d´ e^{b}´ f´
(٢) مطلق في مجرى البنصر :	f g a b^b c´ d´ e^{b}´ f´
(٣) سبابة في مجرى الوسطى :	g a^b b^b c´ d´ e^{b}´ f´ g
(٤) سبابة في مجرى البنصر :	g a b^b c´ d´ e^{b}´ f´ g
(٥) وسطى في مجراهـــا :	a^b b^b c´ d´ e^{b}´ f´ g a^b

(١) مجرى الوسطى Minor Third ، مجرى البنصر Major Third (ملاحظة المترجم)

(٢) اتبعت في هذا خطأ ابن المنجم بجعل مطلق المثنى Open F String عماداً Base ولـكنني نقلت العماد الى مطلق البم Open B String في بحثي في معجم اكسفورد الجديـد الموسيقى (١٩٥٥ م ج ١ : فصل ١١) كي لا يختلط الأمر على القارىء فيلجأ الى نغمة أخفض في مكان نغمة أعلى (ملاحظة المؤلف).

(٦) خنصر فى مجراهـــا : a b♭ c´ d´ e♭´ f´ g a

(٧) خنصر فى مجرى الوسطى : b♭ c´ d♭´ e♭´ f´ g a b♭

(٨) خنصر فى مجرى البنصر : b♭ c´ d´ e♭´ f´ g a b♭

ونجد أحياناً أسماءً مختلفة أخرى لبعض العناوين التي مرّ ذكرها ، منها :

(١) باطلاق الوتر فى مجرى الوسطى (يساوي) المطلق فى مجرى الوسطى

(٤) بالسبابة والبنصر (=) السبابة فى مجرى البنصر

(٥) بالوسطى في مجرى الوسطى (=) الوسطى في مجراها

(٧) بالوسطي والخنصر (=) الخنصر فى مجرى الوسطى

وما ورد خلاف هذا من التسميات والتفريعات ، فهي إما أن تـكون اختصاراً للعنوان وإما خطأً فمن العناوين المختصرة قولهم « بالوسطى » أو « بالخنصر » الأولى ربما كانت اختصاراً لعنوان « بالوسطي فى مجراها » ، والثانية « بالبنصر في مجراها » برغم تنطع الأصبهاني وحرصه على إيراده الـكامل من الأسماء بالقياس إلى عمرو بن بانة

وبرجوعنا إلى الجدول وإلى صفة الأصوات التي هي أكثر ذكراً ، التي تميز النغم ، نجد أن كل مبدأ Tonic يتقرر بأول كلمة من اسمـــه ، وأن المجرى Course يشـــار اليـه باحدى الاصبعين : الثانية (الوسطى) أوالثالثة (البنصر) يقول ابن المنجم : « الوسطى والبنصر على المثنى الذي ينسب إليهما المجريان متضـادتان لا تأتلفان ولا تجتمعان فى صوت ... » [١] على أن « الوســـطى » و « البنصر » قد يستعاض عن واحدهما بالأخرى على البعد بالثلاث الأول First Tetracord ، بينما البنصر تبقى ثابتة غير متغيرة فى كل بعد ذي ثلاث ثان Second Tetr-acord ما خلا فى نغمة « الوسطى فى مجراها » حيث تستعمل الوسطى على المثلث منها واليها [٢]

(١) نقلنا الفقرة الأصلية من كتاب ابن المنجم ، أما الترجمة الحرفية لما أورده المؤلف فهي : « عنـد استعمال الوسطى ، لا يمكن استعمال البنصر » (ملاحظة المترجم)

(٢) وهذا هو نص العبارة « .. وأما الاثنتان الباقيتان من الأربع النغم المختلفة ، فهما الوسطى على الزير =

فى علامات الأصابع الثماني المبسوطة فى الجدول أعلاه ، يلاحظ أنّ ستاً منها قد يعاد مجراها فى نغمة أخفض من نغمات التضعيف وهي : السبابة والوسطى والبنصر على المثنى ذلك لأن الدساتين على وتر الزير (bᵇ) لا يمكن ان عتد مسافة من العنق أكثر من نغمة (f́) التي هي دستان لوحده ، أوجد لا كمال الضعف Octave ولما لم يكن ثمّ دساتين لاخراج النغم (b́ᵇ) ، (á) (áᵇ) (ǵ) ، كان من الضروري استعمال نغم لضعف أخفض على وتر مثنى (f) الذي يخرج لنا (bᵇ)(a)(a)(g) وليس في هذا التدبير عند العرب أي شذوذ أو خروج عن قواعد الموسيقى ما داموا يعدون النغمة وضعفها شيئاً واحداً من الناحية الموسيقية وهم لا يدركون أيضاً تبايناً بين النغمتين إلا زيادة فى رهافة الحسّ واختلاف الذوق[1] ، وهم يلجأون الى النظائر ببعض سداد وإحكام فى الصنعة قائلين : إن النغم التي على وتريْ المَثنى والمَثلث تُسمع بدقة وشدة بينما النغم التي على البَم والمَثلث تمتاز « بجَهارةٍ ولِينٍ »

ومع أن ابن المنجم يخبرنا بأن أغلب الأصوات Songs قد تآلفت على هذه الأصابع[2] مما لا يخرج عن هذه النغم الثماني قط ، أو أقل فى بعض الأحيان ، فنحن نعلم أنه قد استعمل فى مناسبات نادرة جداً تسع نغمٍ فى تأليف لحن بـ « .. تأليف لطيف وحيلة رفيعة ... » وهذا ليس كل شيءٍ ، فالأصبهاني يروي لنا أن الخليفة المعتمد (ت ٨٩٢ م = ٢٧٩ هـ) وابن طاهر

= والبنصر على المثلث وليس تأتلفان في موضع فأما الوسطى على الزير فانها تأتلف مع الوسطى على المثنى في مجراها إلا في موضع واحد لا يأتلف معها فيه وهو منها الى البنصر على الزير ومن البنصر على المثنى فى مجراها والموضع الذي تأتلف معها فيه منها الى الوسطى على المثلث ومن الوسطى على المثلث اليها ... » (ملاحظة المترجم)

(١) « وإن كانت هذه النغم بأعيانها لأنها إذا اختلفت فى السمع كانت أعجب إلى السامع وأحسن فى مسموعه » (ملاحظة المترجم)

(٢) « فجميع الذي يأتلف فى غناء العرب .. ويكون فيه غناء ثماني نغمات تبين مذهبهم فى ذلك و (رد) بعض النغم الى بعض أكثر ما يبنى عليه الصوت منها النغمات الثماني كلها ، فعلى هذا يأتلف غناء العرب ، وعليه تجري عامة أصناف الغناء » (ملاحظة المترجم)

الخزاعي [1] (ت ٩١٣ م = ٣٠١ هـ) ، الذي كان « من الفلاسفة في الموسيقى قد صنعا ماعجزت عنه الأوائل من جمعها في صوت واحد النغم المشر كلها من غير توال » [2] كثير من هذه الألحان ما زالت محفوظة في مدونات الموسيقيين العرب من ساحل الاطلنطي حتى نهر الفرات وليس المقام المراكشي المسمى « حجازي المشرقي [3] » الا صورة من اصبع (مطلق في مجرى الوسطى) لاسحق الموصلي أما مقام « حجاز كار كردي » التونسي فهو أقرب شبهاً بالاصبع المسماة (سبابة في مجرى الوسطى) لابن المنجم

ولنلاحظ أخيراً أن كلّ لحون العرب ، باستثناء واحد ، يظهر أنها كانت شائعة معروفة لدى شعوب الشرق الأدنى في العصور الوسيطة وربما كان « الاكتويخوس » البيزنطي و « الإخدياس » السوري ومقامات الغناء الروماني البسيطة ، فضلاً عن الألحان العربية ، قد نبطت كلها من معين واحد وليس بعيداً ، من ناحية أخرى ، أن يكون ابن مسجح (ت ٧١٥ م) الذي يعزى اليه وضع قواعد الغناء العربي ، قد تلقاها ، أو استوحاها ، من المعلمين السوريين أو البيزنطيين ، أولئك (الاسطوخوسية) الذين تلقى العلم على أيديهم ، على ما رواه الأصبهاني [4] وعلى كل حال ، فلو بقينا نحن نجهل حقيقة الأمر فالله يعلمها وحده ، على حدّ قول المسلم ؟

جرجيس فتح الله

...

(١) هو عبيد الله بن عبدالله بن طاهر منادم المعتضد والمكتفي الخليفتين وهو موسيقي نظري ذكر له الأغاني كتاباً « في النغم وعلل الأغاني الثماني » وهو خير ما ألف في عصره . (ملاحظة المترجم)

(٢) كتاب الأغاني ج ٨ : ص ٤٢ — ٤٣ ، و ج ٩ : ص ١ (وهو نهاية في الصنعة ونادرها)

(٣) ايرلانجيه : « الموسيقى العربية » باريس ١٩٤٩م ، ج ٥ : ص ١١٣ — ١١٥ ، شوتان : لمحات في الموسيقى المراكشية باريس ١٩٣٩ م ، ص ١٨ — ١٨١

(٤) كتاب الأغاني : ج ٣ : ص ٨٤

مصطلحات صناعة النفط

التي اصطلح عليها المجمع سنة ١٩٥٨

التصفية

النفط الخام	Crude Oil
البنزين	Gasoline Motor Spirit Benzine
النفط البادر الخفيف	Light Straight Run Naphtha
النفط البادر الثقيل	Heavy Straight Run Naphtha
الكيروسين	Kerosene
زيت الغاز	Gas Oil
زيت ديزل	Diesel Oil
زيت الوقود	Fuel Oil
زيت السفن	Bunker «C»
ثفل الخام	Reduced Crude
كسر اللزوجة	Visbreaking
التفتيت الحراري (أو بالحرارة)	Thermal Cracking
التفتيت بالآز	Catalytic Cracking
التكشيط	Topping Skimming
التقطير	Distillation
فصل الزفت	Deasphallting

Dewaxing	فصل الشمع
Filtration	الترشيح
Neutralization	المدال (بوزن كتاب)
Fuel Gas	غاز الوقود
Flare Stack	المشواظ
Reflux	الرجع
Condenser	المكثفة (على وزن المزرعة)
Cooler	المبردة
Exchanger	المبدلة (على وزن المعطية)
Reboiler	المفيرة (على وزن المديرة)
Knock-out Drum	المنثة
Surge Drum	مدفقة الطوارئ
Processing	عمل (عملية)
Treating Unit	وحدة المعالجة
Combination Unit	وحدة الدمج
Blending	التوليف
Steam Stripping	النزع بالبخار
Fractionator	المجزئ (على وزن المعلم)
Hydrogenation	الهدرجة (على وزن الفعللة)
Reforming	التهذيب
Slop	الحثالة
Alkylation	الألكلة (على وزن الفعللة)

Cooling Tower	برج التبريد
A. P. I. Separator	الفراز ، مفرزة م ب ا
Disposal Furnace	محرقة الشوائب
Sour Water	الماء الحامي
Air Pollution	تلوث الهواء
Coking	التكويك
Reaction Chamber	حجرة التفاعل
Coalescing	الادغام
Absorber	المصّاص
Stabilizer	المثبت
Vacuum Tower	برج الخلو
Bubble Cap	طاقية الفقاعات
Accumulator	لامة (على وزن كاشة)
Entrainment	التسريب
Catalyst	الآز (بتشديد الزاي)
Acid Sludge	سوافل الحامض
L. P. G. (Liquified Petroleum Gases)	غ ب . س الذي هو فى العربية مختزل (غاز البترول المسيل)
Blow Down	الدسع
Asphalt Blowing	نفخ الزفت
Raffinate	المصالة
Extract	الخلاصة
Octane Number	عَدد الأوكتين

Octane Engine	فاحصة الأوكتين
T. E. L.	ر . أ ر الذي هو مختزل (رابع اثيلات الرصاص)
Shut-Down Turn-Around	وقف العمل
Orifice	النخروب
Cetane No.	عدد السَيْتَين
Special Spirit	الصفوة الخاصة
White Spirit	الصفوة البيضاء
Furfural	الفرفرال (على وزن البرتقال)
Viscosity Index	دليل اللزوجة
Chiller	القرس (على وزن المجلس)
Indicator	المشير
Recorders	المسجلات
Natural Gas	الغاز الطبيعي
Viscosity	اللزوجة
Spent Caustic	الكاوي الواهن
Steaming Out	الكسح بالبخار
Control Valve	صمام السيطرة
Adsorption	الامتزاز
Bleaching	التبليج
Percolation	التوشيل
Quenching	الاطفاء السريع
Sweetening	التطييب

Mist Precipitator	الودقة
End-Point	نقطة النهاية
Flash-Point	نقطة الوميض
Fire-Point	نقطة الضِرام
Gum	الصمغ
Batch Operation	العملية المتقطعة
Continuous Operation	العملية المتصلة

الاستكشاف

Exploration	الاستكشاف
Geophysical Methods of Exploration	طرق الاستكشاف الطبيعية الأرضية (طرق الاستكشاف الجيوفزيائية)
Gravimetric Method	الطريقة الثقالية
Seismic Method	الطريقة الزلزالية
Magnetic Method	الطريقة المغناطيسية
Geological Exploration	الاستكشاف الجيئولوجي
Oil or Gas Seepages	نز النفط أو الغاز
Topographic Map	خارطة تخطيط الأمكنة (خارطة طوبوغرافية)
Geological Map	خارطة جيئولوجية
Areal Photographic Mapping	المسح من الجو
Anticline	الحنيرة (على وزن الصغيرة)
Syncline	القعيرة
Dip	الميل

Strike	النكوب
Dome Structure	التراكب المقبب
Structural Contour Map	خارطة منحنيات التراكب

الحفر

Drilling	الحفر أو النقب
Cable Drilling or Percussion System	الحفر بالدق
Rotary Drilling	الحفر الرحوي
Derricik	برج الحفر
Draw-Works	مركز السيطرة
Rotary Table	اللوح الدوار
Grief Stem or Kelly	قطبة
Swivel	المِرود (على وزن المِنجل)
Drill Pipes	انابيب الحفر
Drilling Mud	الرِداغ جمع الرَّدَغة
Casing	الطيّ
Coring	الفِلذة (على وزن القِطعة)
Electric Loging	الجَسُّ الكهربي
Christmas Tree	شجرة الصمامات والأصمة
Fishing	التمييث

الانتاج

Production	الانتاج
A Gas - Drive Field	المنفطة النابطة بالغاز (على وزن المزرعة)

A Water-Drive Field	المنفطة النابطة بالماء
Gas Lift	الأصعاد بالغاز
Repressuring	بعث الضغط
Gas Drive	الأزجاء بالغاز
Water Flooding or Water Injection	الافاضة بالماء
Reservoir Rocks	مناقع النفط
Permeability	قابلية النفاذ
Porosity	المساميّة
Paraffinic Base Crude	الخام البارافيني
Naphthenic Base Crude	الخام النفثيني
Mixed Base Crude	الخام المزجي
Asphaltic Base Crude	الخام الزفتي
Pipe Line	خط أنابيب
Cathodic Protection	الوقاية الكاثوديّة
Oil Tanker	ناقلة نفط
Oil Jetty	فُرضة نفطية

باب الكتب

البيتوشي

تأليف العالم الأديب محمد الخال قاضي السليمانية يقع في ثلاثمائة وأربع صحائف متوسطة الطول والعرض ، طبع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٧ هجرية ، تصادف سنة ١٩٥٧ شمسية ترجم فيه لعلامة عصره وأديب مصره وقطره الشيخ عبدالله بن الشيخ أحمد الشافعي الكردي البيتوشي ، نسبة الى «بيتوش» قرية صغيرة في خيف الجبل المشرف على نهر الزاب الصغير شمال السليمانية في العراق ، في بقعة حباها الله تعالى بجمال الطبيعة ، ونضارة القيعة ، ووفرة المياه والورود ، وأصناف الفواكه والأزهار مما له أثره العميق في تكوين الذوق الأدبي ، واستقامة الفكر ، وسمو الخيال ، تلك العناصر التي يستمد منها الأدب غذاءه المعنوي

والشيخ البيتوشي إمام في الدين والأدب ، مَلَكَ ناحية البلاغة ، وقبض على زمام الفصاحة ، وتفنن في أبواب الأدب نثره ونظمه ، وجمع فيه ضروب الصناعات الأدبية ، وغاص في بحور الشعر فأستخرج لآلئه المكنونة ودرره المخزونة وهو كردي الأصل ، عربي الثقافة ، لايجاريه في أدبه وبلاغته إلا عدناني مارس أصول الأدب ، وتمرن فيه على شيوخه ، أو قحطاني ثوى في زبيد ، يعي نوادر اللغة ، ويقتني فرائدها فهو كردي العظم واللحم ، عربي القلب واللسان ، كردي المولد والمرتع ، عربي الموطن والمربع ، لهذا كان مفتي العربية في مصره وفارس أدبها في عصره ، لا يشق له غبار ، ولا يخذله عثار ، ومع هذا لايحجم عن الاعتذار اذ يقول :

وإن تجد شيئاً خلاف الأدب فالطبع كردي وهذا عربي

على أني لا أحمل قوله هذا الآ على مدافعة العين والحساد أو التواضع بين العباد كيف لا وهو يعتقد ان الاكراد فرع قحطاني ، ومن نجار يماني ، وان جده ماء السماء مزيقيا ، إذ يقول في

مدح الأمير سليمان بك الشاوي العبيدي :

وإذا فخرت فخرت إذ لي نسبة فيكم فحق أن أقول أنا أنا

كرد أبن عمرو ينتمي لمزيقيا ماء السما جدي الذي سمك البنا

وتشهد لدعواه ديباجة شعره ، وغرر قصائده ، وجزالة قوله ، وبراعة نثره ، وعروبة أدبه .

والامام البيتوشي من رجال العصر الثاني عشر وأوائل العصر الثالث عشر الهجريتين ، إذ كان مولده بين سنتي ١١٣٠ — ١١٤٠هجرية في بيتوش ووفاته سنة ١٢٢١ هجرية في البصرة

لقد صرف قاضي السليمانية جهداً مضنياً في إخراج مؤلفه (البيتوشي) الذي أحيا به شخصية عراقية يفخر العراق أن أنجب مثلها ، واحتمل صبراً جميلاً أمرّ من الصبر في جمع ما حصل عليه من آيات أدبها الفخم ، وبينات فضلها الجم ، من آفاق العراق ، ومن نجد وإمارات الخليج العربي وغيرها من البلاد فان من يستوعب قراءة الكتاب يدرك ما بذله القاضي الفاضل من جلدمتعب ومثابرة ، وما أرهق نفسه به من ثبات ومصابرة ، حتى قدّم للناس كتاباً يشهد للمترجم والمترجم له بالسبق في حلبة العلم والأدب ، والفضل والأرب جزى الله تعالى القاضي خيراً على عمله الحسن ، وعصمه من الزلل والخطل .

أفرغ المؤلف كتابه في قسمين : —

القسم الأول : بحث فيه عن نسب البيتوشي ، وموطنه ، وبيته ، ومولده ، ونشأته ، ورحلاته ، وزواجه ، ووفاته ، وعلمه وثقافته وأدبه ، وفقره وقناعته ، وإيمانه ووفائه ، وشعره وشاعريته ، ونثره ومؤلفاته ، وألغازه وأحاجيه .

والقسم الثاني : جمع فيه ما حصل عليه من أشعاره ، ورسائله ، وتقاريضه

وختم كتابه بتأبين موجز لتلك الشخصية المليمة الأدبية التي اكتشفها ونوّه بها ، وأخرجها من عالم الجحود إلى عالم الخلود ، ومن أعماق النسيان إلى وجود الذكر والبيان « والذكر للانسان عمر ثاني »

والكتاب لم تقتصر الفائدة منه على المعرفة بالحبر العلامة البيتوشي ، بل نجد في طياته تاريخ

مشاهير من رجالات العراق ، وحوادث مهمة حدثت فيه ، ووقائع لم يُعن بذكرها إلا قليل من المؤرخين ، ويجد فيه أدباً عربياً عراقياً حياً أصيلاً عاليا متيناً ، فيه متعة ، وفيه لذة ، وفيه حكمة. ويجد فيه من مفردات اللغة العربية كل فصيح يتلقاه الأديب بالبشر تلقيه للدينار ذهباً ، ويفرح به فرحته بعثوره على ما ضاع له من عقود ثمينة

وقد ذيل المؤلف معظم صحائف كتابه بتعليقات مفيدة ، يفسر بها مجملاً ، أو يوضح غامضاً من شعر أو نثر ، أو بشرح معنى كلمة لغوية قد تكون غريبة أو قليلة الاستعمال ، أو يعرب كلمة قد يخفى إعرابها على أوساط الناس

وما وعاه كتاب البيتوشي من نصوص نثرية أو شعرية يمثل الاسلوب الأدبي في العراق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين أحسن تمثيل

وقد فات المؤلف أمور يستحسن التنبيه عليها من ذلك :

١ — انه اقتصر على سرد حكاية حال المترجم له وما قاله من شعر ونثر ، ولم يقف بعد هذا موقف المحلل المستنبط لفلسفته وآرائه ، المستنتج لنظراته في الأدب ومسلكه فيه

٢ — وانه أغفل تفسير كثير من الكلمات التي تخفى معانيها على أوساط الناس

٣ — وأنه لم يضبط بالشكل كثيراً من الكلمات الواجب ضبطها إغناءاً للقاريء عن مراجعات المعاجم

والعصمة لله تعالى ولكتابه

وبعد ، فالمؤلف محمود مشكور ، والمترجم له مغفور له مبرور إن شاء الله تعالى م؟

النظم الدستورية في البلاد العربية

مجموعة محاضرات القاها الدكتور السيد صبري ، على قسم الدراسات القانونية فى معهد الدراسات العربية العالية فى القاهرة ، التابع لجامعة الدول العربية وقد قام المعهد بطبعها على ورق صقيل يعد ٣٥٦ صفحة متوسطة الطول والعرض ، وهو فى الواقع كتاب بحث فى أنظمة الحكم

المعروفة فى هذا العصر ، من النظام الديموقراطي والفاشي والبلشفي وفصل أشكال الدول من موحدة واتحادية وتعاهدية وأشكال الحكومات من مستبدة وقانونية ، وفردية وارستقراطية ، وشعبية (ديمقراطية) ، وملكية دستورية ، وجمهورية وأوضح وظيفة الدولة وفقاً للمذهب الفردي ، أي المذهب القائل : إن الغرض من قيام الدولة هو المحافظة على مصلحة الأفراد وحقوقهم فلا تتدخل الدولة فى حقوقهم وتصرفاتهم الا بقدر ما ينظمها ويصونها ، فدائرة تدخلها فى شؤون المجتمع ضيقة ، كما أوضح وظيفتها وفقاً للمذهب الاشتراكي القائل : إن الغرض من قيام الدولة هو المحافظة على مصلحة المجتمع ، فتتسع دائرة تدخل الدولة فى شؤون الافراد بقدر ما يضمن مصلحة المجتمع ورقيه وشرح نظرية فصل السلطات فى الدولة وتوزيعها ، واختلاف النظم بموجب توزيع تلك السلطات ، الى النظام المجلسي ، والنظام الرئاسي ، والنظام البرلماني ، ونظام المجلسين أو المجلس الواحد فى النظام البرلماني ، وما يملكه رئيس الدولة من الحقوق فى كل من هذه النظم الثلاثة وبحث الانتخاب وطرقه المختلفة ، وأفصح عن نشأة الدستور وسيادته فى الدولة . وبيّن أنواع الدساتير

وبعد أن قرر المؤلف الابحاث الآنفة الذكر فى القسم الأول من كتابه (محاضراته) عرض فى القسم الثاني منه الى المقصود المهم من محاضراته وهو : شرح النظم البرلمانية فى الدول العربية ، فبيّن ما ينطوي عليه دستور كل دولة من الدول العربية من قواعد وأسس بنى عليها كيان الدولة ، وأسلوب حكومتها

والكتاب عظيم الفائدة لا يستغنى عنه طالب المعرفة لنظم الدول العربية واتجاهاتها السياسية والمذاهب الاجتماعية التي قبلتها الشعوب العربية فى بناء دولها

وهو بعدُ ، حسن الترتيب والتبويب ، واضح البيان ، مع إيجاز غير مخل ، يدل على أن المؤلف أفرغ جهداً كبيراً فى سبيل عرض ما يريده في محاضراته ، إذ ليس من السهل الحصول على ما بحث فيه وأراد بيانه من نظريات وقواعد ووقائع ، بهذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الفائدة الجامع لنظم الدول والحكومات

هذا ، وكان من المستحسن عند بحثه في القسم الثاني من كتابه الجامع للنظم الدستورية في البلاد العربية ، ان يقف موقف المقارن بين دساتيرها ، والمرجح لما يراه راجحاً من قواعدها وأسسها ، وأن ينقد ما يستحق النقد من أسلوب في نظام الدولة أو نظام الحكم فيها ، وألّا يقتصر على مجرد سرد ما وقع وما حصل ، فان ما نراه من اختلاف بين تلك الدساتير في نظام الدولة أو الحكم مثار مناقشة ، لأن الدول كلها عربيـــة متفقة في التربية والطباع والآمال والغايات ، فيجدر بانظمة دولها وحكوماتها الاتحاد في الأسس والقواعد ، في سائر أساليب حكوماتها ، ومقومات دولها

وكان من المستحسن أيضاً أن يقرر نظرية الدولة والحكم في الشريعة الاسلامية ،.ومدى أخذ الدساتير العربية بهـا ، فان لهذا أثراً مهما في البحث ، وتنبيهاً للدول العربية إلى ألّا تغفل آراءها ونظرياتها فى تنظيم دولها وأساليب حكوماتها ؟

منير القاضي

المجازات النبوية

تأليف الشريف الرضي ، الشاعر المقتدر ، العالم الجليل ، النقيب النبيل علق على شرحه بتميم إشاراته ، وتجلية مقاصده ، وتحقيق رواياته ، وضبط عباراته [1] الشيخ محمود مصطفى ، مدرس الأدب بكليّة اللغة العربية فى الجامعة الأزهرية بالقاهرة ، وطبع بمطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م

قال الأستاذ الشيخ محمود ـ رحمه الله ـ فى التمهيد ـ ص ٤ : « الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين ، وبعد فهذا كتاب المجازات النبوية ، يجمع كثيراً ممـا وقع فى كلام رسول الله ـ ص ـ من جوامع الكلم شرط فيه جامعه [2] السيد الشريف الرضي

(١) هذا ما ورد في أول الكتاب

(٢) قال في أول الكتاب : « يشرحه الشاعر المفلق والعالم الجليل الشريف الرضي » فهو أذن جامع وشارح

أن يكون كل ما يأتي به من مختار كلامه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مشتملاً على مجاز طريف أو كناية دقيقة ، وقد استطاع ـ رضي ـ بما وهب [1] من واسع العلم وغزير الفضل وحسن التتبع لكلام رسول الله أن يجمع من ذلك ثلاثمائة وستين حديثاً وقد كنا قبل ذيوع الكتاب لا يكاد الأديب [2]، مهما بلغ من سعة الاطلاع ، يجمع من ذلك عشرة أو دونها .. فأما هذه الكثرة المستفيضة فاننا لم نعهدها في غير هذا الكتاب ، ولا لغير هذا العالم الجليل ، الذي رأى من البر لجده أن يذيع فضله على هذا النحو الذي نراه في كتابه ولم يكتف ـ رح ـ بإيراد هذه الآثار سرداً لا تعقيب معه بل إنه جلى محاسن هذه الآيات بشرحها [3] ، وبيان مبلغ البلاغة فيها ، ولقد جاء هذا الشرح فائدة كبرى للمطلع على الكتاب ، فهو لا يزال متنقلاً من تحقيق لغوي إلى تطبيق على علم البلاغة إلى سياق الشاهد من كلام العرب ، واما ما يجنيه القارئ من الحذق والتوسع في الفهم والتقليب للأساليب على وجوهها المعتبرة في نظر البليغ فذلك أجلى ما يتجلى في هذا الشرح ، وأجدى ما يجديه المؤلف على الناظر في كتابه ، فانه يخرج من طول الممارسة للفهوم المختلفة ، من الأسلوب الواحد والموازنة بينها ، وتفضيل الفاضل منها والحكم على راجحها ومرجوحها ، يخرج من كل ذلك بملكة صناع هي عدة الأديب في ممارسة كلام العرب والتذوق لمحاسنه ونحن نرى المؤلف في هذا الباب قد برز أتم تبريز ودل على قوة نقده التي لا تبارى ... »

هذا بعض رأيه — رحمه الله — فيه وحسبه فضلاً أن يكون قوله باعثاً على التفكير وداعياً إلى تدقيق النظر ، ثم قال : « ثم إن المؤلف قد أخذ نفسه بالمران [4] على هذا النوع من التأليف

(١) الفصيح « بما وهب له من واسع العلم »

(٢) الفصيح « الأديب منا أو فينا »

(٣) لا تليق هذه الفقرة بمثله فإن التعقيب يشعر بالمؤاخذة ، والآيات غير الآثار ، والفصيح « بل جلى » ليعطف الفعل على الفعل « لم يكتف »

(٤) لم يرد « المران » في كتب اللغة مصدراً للفعل « مرن على الشيء » مرونة ومروناً ومرانة ، ولكنه ورد في كتابات الجاحظ وهو من الأدباء الفصحاء الثقات الأثبات ، قال في كتاب الحيوان : « أخذت الملوك صدراً صالحاً فلما طال ذلك أعانها المران وخف ذلك عليها بالدربة » « ١ : ٢٨٥ طبعة عبد السلام هارون »

دعاه إليه حبه لاظهار محاسن القرآن الكريم وكلام جدّه رسول الله ، فقد كثرت [1] ذلك مؤلفاته كثرة دلّت على فضل اتجاهه ، وتمام توفره على ذلك النهج ، وأنه أولع بهذا النوع من البيان خدمة للدين وتدليلاً على مقام رسول الله فى البلاغة »

ثم قال : « الكتاب مطبوع منذ سنة ١٣٢٨ هـ بمطبعة الآداب ببغداد فهو متداول بمصر منذ ربع قرن تقريباً ، ولكننا لم نوفق إلى اقتنائه [2] إلا من أشهر قليلة ، فحين وقع فى يدنا وتصفحناه عرفنا فضيلته ظاهرة ، واستجلينا محاسنه بارزة ، ولكننا لم نره مخدوماً تلك الخدمة الواجبة لكتاب مثله حتى يعم النفع به لكل قارئ ، وإن لم تكن له فى الأدب وفهم كلام العرب قدم ثابتة ، ذلك أن به إشارات لغوية تحتاج الى ضبط وتثبيت ، وبه مناحٍ علميّة تحتاج الى شرح وتوضيح : فيه كلام فى المجاز والاسناد العقلي وكلام فى آراء المعتزلة ، والشيعة ، وإشارات تاريخية إلى غزوات رسول الله ومواقفه الخطابية ، وفيه شعر لفحول الشعراء القدماء مَرَّ به المؤلف ، ولم يرعَ حق الشادي فى الأدب والعلم ، فلم يعلق عليه بشرح ولا بيان لمعاني مفرداته وتراكيبه ، كما أن فيه أحاديث من كلام رسول الله اقتصر فيها المؤلف على شاهده منها وهو العبارة المشتملة على نكتة المجاز أو الكناية ، فلم يحسُنْ ، إتماماً لفائدة القارىء ، إلا أن نأتي على كل ذلك شرحاً وتحقيقاً وتكميلاً على قدر عجزنا وقصورنا ، كما أننا وجدنا بعض نصوص الحديث قد اعتورها التبديل والاضطراب الذي شمل عبارات الكتاب متناً وشرحاً فراعنا أن يبقى كلام رسول الله تعلوه هذه الكُلَف وتستره هذه الشوهات [3] »

وأنا أرى أن الشيخ محمود مصطفى ـ رحمه الله ـ على جميل سعيه ، قد بالغ فى وصف « عمله فى الكتاب » كما قال فى «ص ٩ » ، فأول بيت من بيوت الشواهد التي أوردها الشريف الرضي فى الكتاب جاء فى « ص ٢٢ » منه فيما هذا نصه : قال « الشاعر :

تكفيه فلذة كِبْدانٍ ألمَّ بها   من الشواء ويروي شربه الغُمَر »

(١) لا ينعت ما ألفه في ذلك بالكثرة فالمجازات القرآنية وحقائق التنزيل والمجازات النبوية هي ثلاثة كتب فهل الثلاثة كثرة ؟ !

(٢) الفصيح « لم نوفق لاقتنائه »

(٣) المجازات النبوية « التمهيد ص ٩ ـ ١ »

وقد اجتزأ الشيخ بأن علق على كلمة « الغُمَر » من البيت بقوله : « الغُمَر بضم ففتح قدح صغير أو هو أصغر الأقداح » أما قائله والروايات التي ورد فيها فلم يقل فيها ـ رحمه الله ـ شيئاً ، مع أن البيت هو أول بيوت الكتاب

قلت : ذكر أبو العباس المبرد أن أبا قحافة أعشى باهلة رثى المنتشر بن وهب الباهلي بقصيدة رائية هذا البيت منها ومطلعها :

إني أتتني لسان لا أُسَرُّ بها من علو لا عجب منها ولا سخرُ

إلى أن يقول :

تكفيه فلذة كِبْد إنْ ألمَّ بها من الشواء ويكفي شربه الغُمَرُ[1]

ففي هذه الرواية « كِبْد » مع إن الشرطية في مكان « كُبدان » ، وفيها « تكفي » بدلاً من « تروي »

وقال أبو هلال العسكري : « والعرب تذم الشهوان الرغيب ولهذا قال أعشى باهلة يمدح المنتشر بقلة الأكل :

تكفيه حزّة فِلْذٍ إن ألمَّ بها من الشواء ويُروي شربه الغُمَر[2] »

وذكره الشريف المرتضي أخو الرضي قال : « واختلف أهل اللغة في الأفلاذ ، فقال يعقوب بن السكيت : الفِلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فِلذ الشاة ولا فِلذ البقرة ، ويقال : أعطني فِلذاً من الكبد وفِلذة من الكبد قال أعشى باهلة :

تكفيه حزّة فِلْذٍ إن ألمَّ بها من الشواء ويُروي شربه الغُمَر[3] »

ثم ذكر القصيدة في الأمالي أيضاً[4] وخطأ بها عبد الملك بن مروان في نسبته بيتين منها

(١) الكامل « ٣ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ طبعة الدلجوني » بالقاهرة

(٢) جمهرة الأمثال « ص ٣١ طبعة الهند » وقد جاء فيها البيت مصحفاً كما يأتي : يكفيه حزة فلذ ان ألم بها ... »

(٣) أمالي المرتضى « ١ : ٦٦ الطبعة الأولى »

(٤) « ج ٣ ص ١٠٥ ـ ١١٣ » .

الى ليلى الأخيليّة وجاء في ديوان الأعشى :

تكفيه حزّة فِلْذٍ إن ألمَّ بها من الشواء ويكفي شربه الغُمَر (١)

فهذا التحقيق أو بعضه هو أقل ما يراد ممن يقول ذلك القول ، وقد أردنا أن نضرب به مثلاً ، لأننا إن استمررنا على هذا النحو من المؤاخذة والتعقيب طال النقد حتى يكون مملاً .

وفي الحق أن الشيخ محمود مصطفى أصلح كتاب « المجازات النبوية » بكل ما في قدرته الأدبيّة ، وقد تواضع — رحمه الله — بقوله : « على قدر عجزنا وقصورنا » كما نقلنا آنفاً، لأن العجز والقصور لا يصلحان ولأنه من أولي الفضل المصلحين وفاتته أشياء عدّة تستوجب الإصلاح ولم يفطن لما فيها من العوار وهي :

١ — عريثان لا عرنينان

جاء في « ص ١٩ » من المطبوع من كتاب المجازات هذا « فيكون هذان الكتابان باذن الله مُمتعين يستضاء بهما ، وعرنينين لم أسبق الى قرع بابهما » والعرنين : الأنف أو ما صلب منه ، ومن كل شيء أوله ، ويستعار للسيد الشريف ، وليس للعرنين باب ولا مدخل ولا فناء ، وأنا أرى أن الأصل « وعريثين لم أسبق إلى قرع بابهما » لأن العرين هو فناء الدار ومأوى الأسد ومن يستطيع أن يقرع باب مأوى الأسد ؟ إنه استعار « العرين » لكتابيه تشبيهاً لعسر البحث وصعوبته فيهما عما في دخول العرين واقتحامه من العسر والصعوبة

٢ — الهموم المُخْلِقة أو المخنّقة لا المُخنِقة

وجاء في الصفحة المذكورة « والأوقات الضيقة والهموم المُخنِقَة » المخنقة جاءت على وزن اسم الفاعلة من « أخنقت تُخنِق إخناقاً » ولم تستعمل العرب رباعي « خنَق » على وزن « أفعَل » ، فالأصل إما « المُخْلِقة » من أخلق الثوب يُخلِقه إخلاقاً أي أبلاه ، وأخلق وجهه بالسؤال أي أذهب حياءه فصار كالشيء الخلَق ، فتكون الهموم مخلقة للبدن على

(١) الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين « ص ٢٦٨ في مطبعة آدلف هلز هورن بيانة ١٩٢٧

الاستعارة ، وإما « المُخَنَّقة » اسم فاعلة من « خنَّقت تُخنِّق تخنيقاً » قال الزمخشري في أساس البلاغة : « وأخلقتُ الثوبَ : لبسته حتى بَلي ... ويقال للسائل : أخلقتَ وجهك » وقال : « خنقه يخنقه خنقاً ... وخنَّقه إذا عصر حلقه »

٣ — خرجت قريش لا خرج قريش

وجاء في الصفحة « ٢٢ » : « وقد خرج قريش من مكة مُجلبة عليه » ويُراد بقريش هنا القبيلة فلذلك يجب تأنيث الفعل ولا يجوز تذكيرها لئلا يفهم أن الفعل مُسند الى رجل اسمه « قريش » وليست « قريش » جمع تكسير فيجوز تذكير فعلها كقولنا « قال العلماء » ولا شبه جمع التكسير نحو « نسوة » كقوله تعالى : « وقال نسوة في المدينة » والدليل على إرادة المؤلف التأنيث قوله « مجلبة عليه ، ومحلبة إليه » .

٤ — أظهر الأشياء المملوكة لا الأسماء

وجاء في الصفحة « ٢٧ » قول الشريف الرضي : « والفرس من أظهر الأسماء المملوكة وأدلها على وفارة الثورة » ولا أرى وجهاً للأسماء وأرى أن الأصل « الأشياء » فهي التي تملك لا الأسماء ، والمقام يستوجب « الأشياء » لا « الأسماء » فليس البحث في الأسماء والأفعال ، وإنما قال الشريف ذلك في شرحه الحديث النبوي « في الجنين غُرَّة : عبد أو أمة » قال : « ولذلك سُمّي أيضاً في لسانهم الفرسُ غُرّة لأنه من أنفس ما يُملك » وكأن فحوى الكلام « أن العبد والأمة والفرس من أظهر الأشياء المملوكة ، وأدلها على وفارة الثروة وفخامة النعمة ، لأن غيرها من الأعراض في الأكثر لا يشهر اشتهارها ولا ينتشر انتشارها » فلا محل للأسماء المملوكة

٥ — زانه زيتاً وسمّنه سمناً

وجاء في الصفحة «٢٨» قول الشريف الرضي : « قوله — عليه الصلاة والسلام ـ عَسَّلَهُ وهو مأخوذ من العسل كما يقول القائل : عَسَلْتُ الطعامَ . إذا جعل فيه عَسَلاً ، وسَمَّنتُهُ ، إذا جعل فيه سمناً وزَيَّتُّهُ ، إذاجعل فيه زيتاً ...» وقد جعل الشيخ محمود مصطفى

« سمنه وزيته » من الرباعى المضعّف العين ، والصواب أنهما من الثلاثي كالفعل « عَسَلَ » الوارد فى الحديث النبوي ، وصحيح كتابتها « سَمَنْتهُ وزتُّهُ » وقد نقل الزمخشري فى الفائق : « إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عَسَلَهُ قيل يا رسول الله وما عَسَلَهُ ؟ قال : يفتح الله له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله [(١)] » قال الزمخشري : « هو من عَسَلَ الطعام يَعْسِله ويَعْسُله ، إذا جعل فيه العسل ... » ولم يورد الزمخشري الرباعي ، وقد قال الشريف الرضي ذلك قبله ، وأوضح الاستعمال بضرب الأمثال ، ومن البديهي أن يكون التمثيل بالثلاثي أيضاً ، جاء فى مختار الصحاح « زاتَ الطعامَ : جعل فيه الزيت فهو طعام مَزِيْت ومَزيوت ، وزاتَ القومَ جعل أدمهم الزيت وبابهما باع » وجاء فيه « وسَمَنَ الرجلُ الطعامَ ، من باب نَصَرَ : لتّه بالسمن فهو طعام مسمون وسمين أيضاً » ، أمّا الرباعي المضعّف منهما فله معنى آخر ، قال : « وزَيَّتَهُم تزييتاً : زوّدتَهم الزيت » و « سَمَّنَ القوم تسميناً : زوّدهم السَّمْن » ، فالصواب « زِتُّهُ وسَمَنْتُهُ »

٦ — تصُرَان وتُصَرّران

وجاء فى الصفحة «٢٩» قول الشريف الرضي : « ومن ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين أتاه الفضل بن العباس و [عبد المطلب [(٢)]] بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب يسألانه عن أبويهما السقاية فتواكلا الكلام ، فقال — ع — أَخْرِجا ما تَصُرَّان ... » ولم يذكر الشيخ محمود مصطفى — رح — أن هذا الحديث قد أورده الزمخشري فى الفائق [(٢)] ، وأن فيه « ما تصرّران» الرباعي المضعف العين ، قال الزمخشري : « أتاه صلى الله عليه وآله وسلم الفضل بن العباس وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب يسألانه عن أبويهما السِّقاية [(٣)] ، فتواكلا الكلام ، فأخذ بآذانهما وقال : أخرجا ما تُصَرِّران قال : فكلّمناه ، فسكت ...

---

(١) الفائق « ج ٢ ص ١٤٨ من الطبعة المصرية »

(٢) التتمة من الفائق « ٣ : ١٧٩ من الطبعة المذكورة »

(٣) فى الطبعة المصرية « السعاية »

التواكل :أن يكل كلواحد أمره إلى صاحبه ويتكل عليه فيه. تُصَرِّران : تجمعان في صدوركما ومنــه قيل للأسير مصرور لصريره وعنقه بالغل ورجليه بالقيد [1] ... » وجاء في النهاية لابن الأثير الكبير « ومنه حديث علي : أخرجا ما تُصَرِّرانه . أي ما تجمعانه في صدوركما » ، ذكرنا ذلك للدلالة على أن الشيخ — رح — لم يستفرغ الجهد كله في خدمة الكتاب بل بذل عامة الجهد وسائره

٧ — التشوف أظهر من التشوق

وجاء في الصفحة « ٣١ » قول الشريف الرضي : « أهل العراق على توقع لوروده وتشوق إلى طلوعه فهم كالعنق الممتدة نحوه ». وهذا موضع التشوُّف بالفاء لا التشوُّق بالقاف ، قال الجوهري في الصحاح : « وتَشوَّفتُ إلى الشيء أي تطلّعتُ إليه ، يقال : النساء يتشوفن من السطوح أن ينظرن ويتطاولن » وقال الزمخشري : « وهذه جارية تَشَوَّف للرجال : تشرَّبُ لهم ، وتشوَّفت الأوعال : أشرفت من أعالي الجبل ، وتشوَّف فلان أمره : طمح له » فالتشبيه بالعنق الممتدة يقتضي التشوُّف لأن المتشوِّف يمد عنقه في الأغلب

٨ — عمر الكَتّاني لا الكِناني

وقال الشريف الرضي كما في الصفحة «٣٢» : « وقال لي أبو حفص عمر بن إبراهيم الكِناني صاحب ابن[2] مجاهد ، وقد قرأت عليه القرآن بروايات كثيرة ... » ثم قال في (ص ١٨٢) : « سمعنا هذا الحديث من عمر بن إبراهيم بن أحمد المقرئ ابن حفص الكِناني في جملة ما رواه لنا من الأحاديث ... » والصحيح أنه قال « الكَتّاني » نسبة إلى « الكَتّان » وأنه « أبو حفص » لا « ابن حفص » قال الذهبي : « الكَتّاني أبو حفص عن البغوي وطبقته[3] » وقال الخطيب البغدادي : « عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير بن هارون بن مهران أبو حفص

(١) الفائق « ٣ : ١٧٩ » وفي هذه الطبعة المصرية « لصريره » بدلا من « صريده » وهو تصحيف

(٢) سقطت الألف من المطبوع

(٣) المشتبه « ص ٤٣٨ » وفي الحاشية أنه « عمر بن إبراهيم »

المقرىء المعروف بالكتاني ، سمع أبا القاسم البغوي ... وكان ثقة ينزل ناحيــة نهر الدجاج ، وذكره محمد بن أبي الفوارس فقال : « كان لا بأسَ به [1] ... » وذكر أنه ولد سنة ثلاثمائة وتوفي سنة « ٣٩٠ هـ » وترجمه ابن الجوزي في وفيــات سنة « ٣٩٠ هـ » قال : « عمر بن ابراهيم بن أحمد أبو حفص المقرئ المعروف بالكتاني ...[2] » وقال شمس الدين بن الجزريّ في ترجمته : « عمر بن ابراهيم بن أحمــد بن كثير أبو حفص الكتاني البغدادي ، مقرئ محدث ثقة ... [3] »

وبمــا نقلنا يثبت أنه « الكَتّاني » لا الكِناني ، ولم يُعِرْه الشيخ محمود مصطفى عنايته وإنما ضبطه « الكِنانيّ » افتئاتاً ولم يرجع في الضبط إلى كتاب

٩ — فَرَعَ ذروبها لا قَرَعَها

وجاء في الصفحة « ٣٤ » قول الشريف : « يقال : طلع فلان الثنية إذا أوفى عليها وقَرَع ذروتها » قَرَع هكذا بالقاف ، والصواب أنه قال « فَرَع ذروتها » لأنه لا يقال « قَرَع الذروة وأمثالها بل فَرَعها » قال الجوهري في الصحاح : « وفرعتُ الجبل: صعدته ... وفَرَّعتُ في الجبل تفريعاً أي انحدرت وفَرَّعت الجبل أيضاً : صعدتُ وهو من الأضداد » وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وفرعتُ الجبل وفيه وتفرَّعت : صعدتُ »

١٠ — شُريح الحَضْرَمي لا الحَضَري

قال الشريف الرضي كما في ص « ٤٠ » : « ومن ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكر عنده شُريح الحضريّ : ذاك الرجل لا يتوسَّدُ القرآن » والصحيح أنه قال « شريح الحضرميّ قال الزمخشري في الفائق « ٣ : ١٦٠ » : « ذكر عنده شريح الحضرميّ فقال : « ذلك رجل لا يتوسد القرآن » وقال ابن الأنباري : « وقال في حديث حدَّثناه أبو جعفر محمد

(١) تاريخ بغداد « ١١ : ٢٦٩ »

(٢) « ج ٧ ص ٢١١ »

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء « ج ١ ص ٥٨٧ »

ابن غالب الضبيّ المعروف بالتمتام قال أخبرنا زكرياء بن عَديّ قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن السائب بن يزيد قال : ذكر عند رسول الله ـ ص ـ شُريح الحضرميّ ، فقال : ذاك رجل لا يتوسد القرآن [1] » وهو غير شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي المتوفى سنة « ٢٠٣ هـ [2] »

١١ — طيبُ الرِّيق إذا الرِّيق خدع

وقال الشريف كما في الصفحة « ٤٢ » : « يقال : خدع المطر إذا قلَّ ، والأصل فيه قولهم : خدع الريق ، إذا جَفَّ ، قال سويد بن أبي كاهل :

أبيضُ اللَّون لذيذٌ طعمُهُ طيبُ الريق إذ الريق خَدَعَ

هكذا أثبت الشيخ البيت أي رفع أبيض ولذيذ وطيب ، و « إذ » و « خَدَع » بفتح العين ولم يستطع أو لم يجهد ـ رحمه الله ـ أن يبحث عن مورد ومصدر البيت ، وهو من قصيدة أوردت في المفضليات ، وسياق القصيدة يقتضي نصب الصفات المذكورة في البيت ، فقبل هذا البيت قول الشاعر :

حُرَّةٌ تجلو شتيتاً واضحاً كشعاع البرق في الغيم سَطَعْ
صقلته بقضيب ناضرٍ من أراكٍ طيِّبٍ حتى نَصَعْ
أبيضَ اللون لذيذاً طعمُهُ طيبَ الريق إذا الريقُ خَدَعْ

١٢ — فكأنَّ هذه السنين تُطمِع

وجاء في الصفحة المذكورة قول الشريف : « فكأنَّ هذه السنين يَطمَعُ أهلها في الخصب والامراع بكثرة أمطارها ثم تخلف المخايلُ باتصال جدبها وإمحالها » هكذا أثبت « يطمع » على اعتبار أنه ثلاثي ، ورفع « المخايلُ » وليس ذلك بالصواب ، لأنه يريد شرح « السنين الخداعة » فهي تُطمع أهلها إطماعاً ، وتخدعهم ، وهي « تُخلِف المخايلَ » إخلافاً أي تخلف

---

(١) الأضداد « ص ١٦ »

(٢) غاية النهاية « ١ : ٣٢٥ »

الظنون ، فالصواب نصب « المخايل »

١٣ — ولم تَضْبَع الناقة لا « لم تُضيِّع »

وجاء قول الشريف الرضي ، كما في الصفحة «٤٤» : « يُقال : بُسرت الناقة وابتُسرت اذا حمل عليها الفحل ولم تضيِّعْ » ولا محل للتضييع وعدمه هنا ، ذلك لأن عدم التضييع يدل على عكس المراد ، والصواب « ولم تَضبَعْ » بالباء الموحدة بعد الضاد ، قال الجوهري في الصحاح : « والضَّبعُ والضبعة : شدّة شهوة الناقة الفحل ، وقد ضبِعَت بالكسر تضبَع ضَبَعاً وأضبَعت أيضاً بالألف» . وقال : « وبسر الفحلُ الناقة وابتسرها إذا ضربها من غير ضَبَعةٍ »

١٤ — الإرة للاختباز لا للاحتياز

وجاء في الصفحة عينها قول الشريف : « لأن الوطيس في كلامهم حفرة تحتفر فتوقد فيها النار للاشتواء ، وتجمع على وُطُس فان احتُفرت للاحتياز فهي إرة وتجمع على إرين » هكذا جاء للاحتياز والصواب « للاختباز » أي صنع الخبز واتخاذه ، ويعطف عليه الاشتواء قال الجوهري في الصحاح : « والإرة : موضع النار ، وأصله إريٌ ، والهاء عوض من الياء والجمع إرون مثل عِزون »

١٥ — القطاة تُربِّبُ فراخها لا تُرتِّبها

وجاء قول الشريف ، كما في الصفحة «٥٢» : « كالقطاة التي بدأت باتخاذ المفحص لتبيض فيه وترتب فراخها فيه » ولا أرى وجهاً لترتيب الفراخ في المفحص ، والصواب « لِتُربِّب فراخها » أي تربِّيها ، قال الجوهري في الصحاح : « وربَّ فلان ولده يَرُبُّه ربّاً ، وربَّبهُ وتربَّبه بمعنى أي ربّاه »

١٦ — عَقلَته عن القضاء لا « غفلته »

وقال الشريف ، كما في الصفحة « ٥٤ » : « فكأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ شبَّه الحُمّى بالسجن من حيث منعت صاحبها من التصرُّف والاضطراب ، وغفَّلته عن قضاء الآراب » . والصواب « وعَقَلَتْهُ » أي حبسته ومنعته ، وعاقته وربثته ، ولا محل للتغفيل ، فالسجن يحبس ولا يغفِّل تغفيلاً

١٧ — الكَتَدُ لا الكَبدُ

وقال الشريف ، كما في الصفحة « ٥٥ » ، قال الشاعر :

مَرِج الدين فأعددتُ له ... مشرف الحارك محبوكَ الكَبِدْ

والكبدُ لا توصف بأنها محبوكة ، والفرس الجيد لاينعَتُ بالاشارة الى كبده لأنها عضو غير ظاهر ، فالصواب « الكَتَدُ » وهو مجتمع الكتفين وقيل الكاهل أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، فهذا هوالذي يوصف بالحَبْك ، وقد ورد « الكتد » في رجز أورده الشريف في موضع آخر « ص ٦٢ » :

إذا رأيتَ أنجماً من الأسد ... جبهته أو الخراتَ والكَتَد

وأراد به مجماً يقع موقع الكتد من أسد السَّماء ، ثم إن البيت لزهير بن أبي سلمى ، من أبيات جيمية لا دالية ، قال :

مَرِجَ الدين فأعددتُ له ... مشرف الحارك مَحْبوكَ الثَّبَجْ (١)

والظاهر أنَّ الشريف الرضي خلط بين هذا البيت وبيت أبي دؤاد الأيادي :

أربَ الدهر فأعددتُ له ... مشرف الحارك محبوك الكَتَد (٢)

١٨ — لم يُقاتل أحداً لا « لم يُقابل »

وجاء في الصفحة «٥٧» قول الشريف : « لأن مخرجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى تبوك من بعد لم يلقَ فيه كيداً ولم يُقابل أحداً » ولا محل للمقابلة وعدمها هنا ، فكيف يكون الرسول ـ ص ـ لم يقابل أحداً بعد غزوة الطائف ؟! فالصواب « ولم يقاتل أحداً » لكي يكون تأييداً لقوله ـ ص ـ : « وإن آخر وطأة وطئها الله بوج » أي آخر غزوة وقتال

١٩ — كأَضْرام عاد لا « كإِضرام عاد » .

وقال الشريف مستشهداً على الرَّمدْ بمعنى الهلاك قول الشاعر « ص ٥٩ »

---

(١) ديوان زهير « ص ٣٤٢ »

(٢) أرب من لسان العرب

صبتُ عليهم حاصبي فتركتُهم　　　كإضرام عاد حين جَلّلَها الرِّمْدُ

هكذا بكسر الهمزة والضاد في « اضرام » والصواب « كأَصرام » جمع « صِرْم » قال الجوهري في الصحاح : « والصِّرم : بالكسر الجماعة من الناس مجتمعة والجمع أصرام وأصارم » فهو شبههم بجماعات عاد حين نزل عليها البلاء واجتاحها الهلاك ، ولا محلّ للاضرام ولا للنار ، ثم إن الحاصب هي الريح الشديدة تثير الحصباء من شدتها ، وقد ذكر البيت الجوهري في « رمد » من الصحاح وهو لأبي وجزة السعدي

٢٠ — علي بن عيسى الرَّبَعي لا « الربْعيّ »

وورد في الصفحة « ٦٠ » قول الشريف : « أنشدنا شيخنا أبو الفتح عثمان بن جنيّ وأبو الحسن علي بن عيسى الرِّبْعي » هكذا « شيخُنا » بالافراد ، و « الرِّبعي » بكسر الراء وتسكين الباء ، والصواب « شيخانا » بالتثنية لأنهما اثنان ، و « الرَّبَعيّ » نسبة الى « رَبيعة » القبيلة المشهورة ، أو « ربعة الأزد » جاء في أنساب السمعاني ولبابه : « الرَّبَعيّ : بفتح الراء والباء وفي آخرها عين مهملة ، هذه النسبة إلى ربيعة بن نزار ورَبعة الأزد ، فأما النسبة الى ربيعة بن نزار فقلما تستعمل لأن ربيعة شعب عظيم ، فيه قبائل وبطون وأفخاذ يستغني المنتسب بها عن ربيعة » وفي المشتبه للذهبي « الرَّبَعيّ : عدة ومنهم أبو بكر الرَّبَعيّ ... وبسكون الموحدة [الرَّبْعي] نسبة إلى رَبْعة الأزد ... » وقد جاء في ترجمته عند ياقوت « علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري أبو الحسن النحوي [١] » وبوجود « الزهيري » استرجحتُ أن يكون من ربيعة بن نزار ، فهو زهير بن علس ... بن ربيعة بن نزار [٢] »

٢١ — الميتَة الماطلة

وجاء في الصفحة « ٦١ » قول الشريف : « العِلة الطاولة ، والمَيْتَة الماطلة » بفتح الميم من

(١) معجم الأدباء « ٥ : ٢٨٣ » من طبعة مرغليوث

(٢) جمهرة أنساب العرب « ص ٢٧٥ »

الميتة ، والصواب كسر الميم لأنها مصدر الهيأة من الفعل الثلاثي « مات »

٢٢ — كلمة غريبة لا عَرَبيّة

وجاء في الصفحة «٦١» أيضاً قول الشريف : « وروي عن أمير المؤمنين علي — ع — أنه قال : ما سمعتُ كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعها من رسول الله ـ ص ـ وسمعته يقول : مات حتف أنفه وما سمعها من عربي قبله » وأنا أرى أن الأصل « ما سمعت كلمة غريبة ... » لأن المقام يقتضي القول في الكلام الغريب لا الكلام العربي مطلقاً ، ثم إن اعتبار أن الأصل « عَرَبيّة » يوجب أن يكون الرسول قد تكلم بكل كلمة عربية نطق بها العرب وسمعها منهم علي بن أبي طالب ، وهذا من المحال ، فقد تكون العرب تكلمت بلفظ لم يحتج إليه الرسول ـ ص ـ وسمعه علي بن أبي طالب منهم .

٢٣ — مغموصَة لا مغموضة

وجاء في الصفحة «٦٢» قول الشريف : « فنهى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من نكاح المرأة إذا كانت مغموضة في نفسها أو مطعوناً عليها في نسبها » هكذا ضبط الشيخ محمود مصطفى «مغموضة » بالضاد المعجمة، والصحيح أنها بالصاد المهملة ، قال الجوهري في الصحاح : « غمصه يغمصه غمصاً واغتمصه أي استصغره ولم يره شيئاً .. ويقال للرجل إذا كان مطعوناً عليه في دينه إنه لمغموص عليه » فلا موضع للغمض بالضاد المعجمة بله أنه لازم

٢٤ — ويقول القائل : لفلان كرش منثورة

وورد في الصفحة «٦٣» قول الشريف : « ويقول القائل لفلان : كرش منثورة إذا أراد أنه ذو كثرة من العيال وعدد من الأولاد » وقد وضع الشيخ نقطتي التفسير بعد « لفلان » فاضطرب المعنى، والصواب أن تكون الجملة كما يأتي « ويقول القائل : لفلان كرش منثورة » حتى يكون قوله جملة تامة ولعل ذلك من غلط الطبع

٢٥ — تُنْفَقُ حرائبه لا خزائنه

وجاء في الصفحة «٦٤» قول الشريف : « وكذلك عيال الرجل وولده إليهم تنصرف مكاسبه ،

وعليهم تنفق خزائنه » . هكذا وردت « خزائنه » جمع خزينة ، والكلام مسجوع ، فلا يجوز أن تكون في القرينة الأولى « مكاسبُه » وفى القرينة الثانية « خزائنه » فقد قال الشريف قبل ذلك : « لأنها فى الأنعام مستقر أعلافها ، ومفيض لما يصل الى أجوافها » وأنا أرى خزائنه تصحيف « حرائبه » قال الجوهري فى الصحاح : « وحَريبة الرجل : ماله الذي يعيش به ، تقول حَرَبه يحربه حَرَباً مثل طلبه يطلبه طلباً : إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء ، وقد حُرب الرجل ماله أي سُلبه فهو محروب وحريب »

٢٦ — نَكبُ الظِراب ووَخز السَّيال

وجاء فى الصفحة «٦٤» أيضاً قول الشريف: «ولهذا القول وجهان : أن يكون شبّهم بالنعل التي تقي القدم نكْتَ الظِراب ، ووخز الشُّبَّاك وما فى معنى ذلك » وقد فسر الشيخ « الشباك » بقوله : « الشباك نبت وامل له شوكاً يؤذي » والصحيح عندي « تقي القدم نَكْب الظراب » لا نكت الظراب قال الجوهري : « ونكبته الحجارة نكباً أي لثمته » وفى لسان العرب « نكَبَتْه الحجارة نكباً أي لثمته ، والنكبُ أن ينكب الحجر ظُفراً ، أو حافراً أو منسماً ، يقال منسم منكوب ونكيب قال لبيد :

وتَصُكُّ المَروَ لما هجَّرتْ   بنكيبٍ مَعِرٍ دامي الأَظَلْ

... ونكب الحجر رجله وظُفرَه فهو منكوب ونكيب : أصابه ، ويقال : ليس دون هذا الأمر نكبة ولا ذُباح قال ابن سيده : حكاه ابن الأعرابي ثم فسره فقال : النكبة أن ينكبه الحجر ، والذُباح شَقٌّ فى باطن القدم ، وفى حديث قدوم المستضعفين بمكة : فجاؤوا يسوق بهم الوليد بن الوليد وسار ثلاثاً على قدميه وقد نكبته الحَرَّة أي نالته حجارتها وأصابته ... وفى الحديث أنه « نُكِبَتْ إصبعُه أي نالتها الحجارة» وقد نقلنا هذه النصوص لنثبت أن النكب هو الخاص بالحجارة ومنها الظراب جمع الظَرِب وهو ماناتأ منها وكان طرفه حديداً وليس فى « النكت » هذه المعاني

أما « الشُبَّاك » فأراه تصحيف « السَّيال » وهو كما فى كتب اللغة نبات له شوك أبيض

طويل إذا ر ع خرج منه مثل اللبن ، الواحدة منه سيالة قال رجل من طيىء في قصيدة له :

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تناصى طلحها وسيالها

وقال ذو الرمة « مثل صوادي النخل والسيال » وقد يكون غير السيال ، إلا أنه غير الشباك الذي ذكره الشيخ ولعله تصحيف كلمة آخرها باء لتناسب « الظراب » فتكون منها سجعة

٢٧ — التي آوِيْ إليها لا « آوَى »

وجاء في الصفحة «٦٤» أيضاً « قال صلى الله عليه وعلى آله : ألا إن الأنصار عَيْبَتي التي آوىٰ إليها ، ونعلي التي أطأ بها وكرشي التي آكل بها » هكذا ضبط الشيخ « آوَى » بفتح الواو ، والصواب كسرها ، جاء في مختار الصحاح : « وقد أوى إلى منزله يأوي كرمى يرمي أوياً على فُعول وإواءً على فعال ومنه قوله تعالى : سآوي الى جبل يعصمني من الماء » ثم إنه من المقرر في الصرف أن « فَعَل يَفْعَل » يجب أن تكون عين مضارعة أو لامه حرفاً من أحرف الحلق ، وشذّ من ذلك « أبى يأبى » وفي مختار الصحاح : « الإباء بالكسر والمدّ مصدر قولك أبى يأبى بالفتح فيهما ، مع خلوه من حروف الحلق وهو شاذ » وجاء في المصباح المنير : « أبى الرجل يأبى إباءً بالكسر والمد وإباءة : امتنع فهو آب وأبيّ على فاعل وفعيل وتأبّى مثله ، وبناؤه شاذ لأن باب فَعَل يفعل بفتحتين يكون حلقي العين أو اللام ولم يأت من حلقي الفاء إلا أبى يأبى وعضّ يعض في لغة وأثّ الشعر يأثّ إذا كثر والتف ، وربما جاء في غير ذلك قالوا ودَّ يودُّ في لغة ، وأما لغة طيىء في باب نسي ينسى إذا قلبوا وقالوا نسى ينسى فهو تخفيف »

٢٨ — التلويح بالنفع والإيذان بالخير

وجاء في الصفحة «٦٦» ، « فكأنه شبه تلويح الأمر بنفعه وإبدائه بالخير المرجو من جهته بالخضرة الطالعة ، إذا أذنت بالثمرة اليانعة » والابداء لايناسب « التلويح » فالصواب «وإيذانه بالخير » بدلالة قوله بعد ذلك « إذا آذنت[1] بالثمرة » جاء في مختار الصحاح : « وآذنه بالشيء

(١) جاء في المطبوع « أذنت » وهو خطأ

بالمد : أعلمه به » وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وآذنته بالأمر فأذن به ... وتقول : سيماه بالخير مؤذنة والنفس بصلاحه موقنة ، وقد آذن النبات : إذا أراد أن يهيج أي نادى بادباره »

٢٩ — فيكون قوله أطول من الطَول

وجاء في شرح قول الرسول — ص — في الصفحة «٧٢» : « يجيء المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » قول الشريف : « فيكون قولنا أطول هاهنا من الطَّوْل لا الطُّول » والصواب « قوله » لأن القول من كلام النبي — ص — فليس هو بقولنا

٣٠ — الخوارِزمي لا الخُوارَزمي

وجاء في الصفحة «٧٣» قول الشريف الرضي : « وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخُوارزميّ ـ عفا الله عنه ـ يقول في أثناء قراءتي عليه ...» ثم ورد في الصفحة «١١٥» قوله : « وكنت سألتُ شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي ـ رحمه الله ـ عند انتهائي في القراءة عليه ... » وقد ضبط « الخوارزمي » بضم الخاء وفتح الواو والراء وتسكين الزاي ، والصواب « تسكين الواو » قال ياقوت في معجم البلدان : « خُوارزم : أوله بين الضمة والفتحة والألف مسترقة ليست بألف صحيحة ، هكذا يتلفظون به ، وهكذا ينشد قول الالحام :

ما أهل خوارزم سلالة آدم ما هم وحق الله غير بهائم

فالنطق بالخاء بحركة مختلسة بين الضمة والفتحة يوجب تسكين الواو ، ثم إن البيت المذكور لا يقرأ صحيح الوزن إلا بتسكين الواو ، ومثله قول أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي ثم الخوارزمي كما في معجم البلدان :

تلفّتُّ منها نحو خوارزم والها حزيناً ولكن أين خوارزم من نجد ؟!

٣١ — إن لك بيتاً في الجنة

وجاء في الصفحة «٧٣» أيضاً قول الشريف :« ومن ذلك قوله ـ ع ـ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ ع ـ : إن لك بيتاً وإنك لذو قرنيها » وقد سقط من الحديث « في الجنة » وقد

ذكره تاماً الزمخشري في الفائق « ج ٢ ص ٣٢٧ » وكذلك كان في كتاب الشريف الرضي بدلالة قوله في الشرح بعد ذلك : « وقال بعضهم إنه ـ ص ـ لما ذكر في أول الكلام الجنة قال : « وإنك لذو قرنيها » فالجنة واردة في نسخة الأصل

٣٢ — ولا يتبعُ النظرةَ النظرةَ

وورد في الصفحة «٧٦» قول الشريف في وصف ذي التقوى: « ولا يكون نظره إلا خلسة ولا تتبعُ النظرةُ النظرةَ » والصواب استعمال الرباعي « يُتبع إتباعاً » لأن الجملة خبرية بالعطف ، فيجب أن يكون فيها ضمير يعود الى المخبر عنه ، ثم إنه هو الذي يتبع النظرة ، فالصواب نصب «النظرة الأولى » والنظرة الثانية ، لأن « أتبع » يتعدى الى مفعولين بنفسه

٣٣ — يَضْوَي الولدُ

وجاء في الصفحة «٧٨» قول الشاعر :

فتىً لم تلدهُ بنتُ عم قريبةٌ فتُضوي وقد يضوى رديد القرائب[1]

هكذا ضبط الشيخ « فتُضوي » من الرباعي ، والصواب « فيضْوَى » أي فيكون ضاوياً ، لأن الكلام على « الفتى » فهو قد نفى عنه الضوى بنفي أن تكون أمه من بنات عم أبيه ، فالسببية متعلقة بالفتى ، وذكر ياقوت البيت للنابغة في بعض الروايات[1]

٣٤ — يَغيضُها الليل والنهار

وجاء في الصفحة «٨١» قول الرسول ـ ص ـ : « يمين الله ملأى سَحّاً لا يُغيضُها الليل والنهار » هكذا ضبط « يُغيضها » من الرباعي « أغاض » وليس بالضبط الفصيح ، لأن الثلاثي هو الراجح ، وبه جاء القرآن الكريم « وغيض الماء » جاء في مختار الصحاح : «غاض الماء : قلَّ ونضب وبابه باع وانغاض مثله ، وغيض الماء : فُعل به ذلك ، وغاضه الله يتعدى ويلزم ، وأغاضه الله أيضاً » وفي المصباح « غاض الماء غيضاً من باب سار ومغاضاً : نضب أي

(١) معجم البلدان في « برقة هارب » ومعه بيت آخر وهما :

لعمري لنعم المرء من آل ضجعم تزور بصرى أو ببرقة هارب

فتى لم تلده بنت أم قريبة فيضوى وقد يضوى رديد الأقارب

ذهب في الأرض وغاضه الله يتعدى ولا يتعدّى فالماء مغيض » ولا شكّ في أن الرسول كان يفضل لغة القرآن وهي اللغة الفصيحة ، لأنّ الثلاثي يُرجح على الرباعي إذا كانا بمعنى واحد ، ولم يَنُصَّ أحد على فصاحة الرباعي المذكور .

٣٥ — بَلَّحَ تبليحاً

وقال الشريف كما في الصفحة « ٨٣ » : « فاذا أصاب دماً ثَقُلَ ذلك العبءُ حتى يَبْلَح منه » قال ذلك في شرح الحديث النبوي: « لايزال العبد خفيفاً مُعنِقاً بذنبه ما لم يُصب دماً ، فاذا أصاب دماً بَلَحَ » هكذا ضبط « بَلَحَ » في الحديث والشرح ، والصحيح رُباعيه المضعف العين أي بَلَّحَ تبليحاً ، وقد ذكره الزمخشري في الفائق باختلاف يسير : « ٢ : ١٩ » قال : « ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يزال المؤمن مُعنقاً صالحاً ، لم يصب [1] دماً حراماً ، فاذا أصاب دماً حراماً بَلَّحَ » وقال في شرحه : « بَلَّحَ : أعيا وانقطع ، يقال : بَلَّح الفرس وبلحت الركيــــة إذا انقطع جريُها وذهب ماؤها » وذكره ابن الأثير الكبير في النهاية « ١ : ٩٢ » قال فيه : « لا يزال المؤمن مُعنقاً صالحاً ما لم يُصب دماً حراماً ، فاذا أصاب دماً حراماً بَلَّح ، بَلَّح الرجل : إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرَّك ، وقد أبلحه السَّير فانقطع به ، يريد به وقوعه في الهلاك باصابة الدم الحرام ، وقد تُخفَّف اللام » فقد أشار الى قلّة تخفيف اللام ، على أن الشارح مقيّد بما أراد المؤلف وهو الشريف الرضي ، فقد أراد المضعف العين ، بدلالة قوله بعد ذلك : « والتبليح : الاعياء مأخوذ من بُلوح الشيء وهو انقطاعه » فقوله « التبليح » يُريد به مصدر « بَلَّح » المشدّد اللام من غير شك ، والمصدر غير الثلاثي يدل على فعله لأنه مشتق منه والغريب أن الشيخ ـ رحمـــه الله ـ لم يشرح في الحاشية غير الثلاثي

٣٦ — يتندّى قاحله ، لا « ينتدي »

وجاء في الصفحة «٨٤» : « لأنه لايتبلّل إلا بماء الماء فينتدي قاحله ، ويتمدّد قالصه » .

---

(١) لعل :الأصل « ما لم يصب » كما سنذكر نقلا من النهاية

والصحيح « يَتَنَدّى » ، قال الزمخشري : « وندي المكان وتندّى ومكان ندٍ ... ، وشرب حتى تنــدّى أي تروى » أما « انتدى » فهو فعل اشتراك بمعنى حضور النادي ، قال الزمخشري : « وانتدَوا وتنادَوا : تجالسُوا ، وناديهم : جالستُهم » أو فعل اتخاذ ، قال الزمخشري بعد ذلك : « وما تنديتُ من فلان وما انتديتُ منه : ما أصبت منه خيراً »

٣٧ — واكِف هَطِل

وأورد الشريف الرضي ، بيت الأعشى ، كما في الصفحة « ٨٩ » :

ما روضة من رياض الحزن مُعْشبة خضراء جاد عليها واكِف خَضِلُ

وفي الديوان «ص ٤٣ » : « خضراء جاد عليها مسبلٌ هَطِل »

٣٨ — عَبَّدت الدواب الطريق لا أعتدته

وجاء في الصفحة «٩٣» في شرح قول لبعض الصحابة ـ رضي ـ : « وتركتكم على مثل مخرفة النَعَم أي طريق النعم الواضح الذي أعلمته بأخفافها ، وأعتدته بكثرة غدوّها ورواحها » ولم تقل العرب « أعتد الطريق إعتاداً » بل « عَبَّد الطريق تعبيداً » فأعتد تصحيف « عَبَّدَ » قال الجوهري في الصحاح : « والتعبيد : التذليل ، يُقال طريق معبَّد » وعلى هذا يكون أصل « أعلَمتْه » : « علَّمته » ليوازن « عَبَّدته »

٣٩ — شاعب يشعَب لا « شاعث »

وجاء في شرح الحديث : « اللهم إني أسألك رحمة تَلُمُّ بها شعثي » ـ ص « ٩٥ » ـ قول الشريف : « وهذه استعارة ، والمُراد تجمع بها أمري ، فكنى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن ذلك بالشعث ، تشبيهاً بالعود الذي تشعَّث رأسه ، وتشظّتْ أطرافه ، فهو محتاج الى جامع يجمعه ، وشاعث يشعثه » ، هكذا جاء « شاعث يشعثه » والشعث ضد الاجتماع فكيف يكون محتاجاً الى جامع يجمعه ومفرق يفرّقه ؟ ثم إن الشاعث اسم فاعل غير مسموع لأن فعله مختص بالوصف ، فالصفة منه على وزن « أشعث » وبه يعلم أنه لا يجوز أن يتعدى الثلاثي بنفسه فيقال « يشعثه » كما ضبطه الشيخ ـ رح ـ والصواب « إلى شاعب يشعبه » بالباء ، قال

الجوهري : « الشعب : الصدع فى الشيء وإصلاحه أيضاً الشعب ، ومصلحه الشعَّاب والآلة مشعب وشعبت الشيء : فرقته ، وشعبته : جمعته وهو من الأضداد » ومن الوارد بمعنى الجمع والرأب قول الشاعر فى القصيدة الزينبية : « مثل الزجاجة كسرها لا يُشعَبُ »

٤٠ — يُحسِرها لا يُحضرها

وجاء في الصفحة «١٠١» : « وقد أجراه مجرى المطيّة التي يُحضرها بكثرة الحلّ والترحال ، وقطع المسافات الطوال » ولا محل هنا للاحضار ، والمراد « الاحسار » لأن كثرة الحل والترحال وقطع المسافات الطوال هي التي تحسرها إحساراً ، قال الجوهري فى الصحاح : « وحَسَر البعير يحسرُ حُسوراً : أعيا ، واستحسر وتحسّر مثله ، وحَسَرْتُهُ أنا حسراً يتعدّى ولا يتعدّى ، وأحْسَرْتُهُ أيضاً فهو حسير » أما « أحضر يحضر إحضاراً » فهو لازم بمعنى جرى جرياً شديداً ، ثم إن الاحضار لا يكون نتيجة لكثرة الحل والترحال ، وقطع المسافات الطوال ، وإنما هو جري سريع لا غير ، يضاف الى ذلك كله أنه لا صلة للاحضار بكد الوجه بالسؤال الوارد فى الحديث الذي جاء فى شرحه هذه الكلام ، ونص الحديث « إنَّ هذه المسائل كدٌّ يكدُّ بها الرجلُ وجهه » فالاحسار هو الذي يشبه الكدّ

٤١ — الأبَزُّ لا الأبَرُّ

وجاء فى الصفحة «١٠٣» قول الشريف الرضي فى اتخاذ العرب الحِمى : « وما كان يفعل ذلك من العرب إلا الأعز فالأعز ، والأبر فالأبر ، حتى ضربت العرب المثل بحمى كليب بن ربيعة وهو كليب وائل » ولا موضع للبرّ والأبَرّ هنا ، فالصواب « والأبزّ فالأبز » أي الأغلب فالأغلب والأنهب فالأنهب والأسلب فالأسلب ، قال الجوهري فى الصحاح : « بَزّه يَبُزُّه بَزّاً : سلبه ، وفى المثل : من عَزّ بَزّ ، أي من غَلَبَ أخذ السلب » ولولا تكراره « الأبرّ » لعددناه من غلط الطبع

٤٢ — يَنتهز نُهوضه لا « ينتهض »

وورد فى الصفحة «١٠٧» قول الشريف : « شبّه السفر بالطائر الذي قد همَّ بالمطار ، وجعل الآخذ أهبة السفر كالكائن على جناح ذلك الطائر، يَنتهض نهوضه ، ويُرقب تحليقه » ولا أرى موضعاً لينتهض ، لأنه بمعنى نهض ، إذا كان لازماً وبمعنى أنهض إذا كان متعدياً ، ولعل الأصل « ينتهز نهوضه » قال الجوهري فى الصحاح : « والنُهزة الفُرصة وانتهزها : اغتنمتُها » فالنهوض فرصة تُغتنم ، وعلى هذا يكون الأصل « ينتهز نهوضه ، ويرتقب تحليقه » ، وإن يوجد خير من الانتهاز فى إصلاح هذه الجملة فذلك أقرب إلى الصواب ، أما الانتهاض فلا

٤٣ — تَنثى لا تُثنى

وجاء فى الصفحة «١١٦» قول الشريف : « لأن حقيقة الفضح كشف القبيح وهو أن يكشف على الانسان ريبة ، أو تُثنى عليه سوأة ، ولكن القمر لما كان كاشفاً للسدفة ، وصادعاً للظلمة أجراه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مُجرى الثاني للسوأة الخفاة ، والكاشف للريبة المغطاة » قال ذلك فى تفسير قوله ـ ص ـ وقد سئل عن ليلة القدر : « هي ليلة إضحيانة كأن قمراً يفضحها » وقد ورد فى الشرح « أو تُثنى » و « الثاني » ثم شرح الشيخ « تُثنى » في الحاشية بقوله « تُثنى : تعدّ » ولا نرى وجهاً للثني ولا للاثناء وإنما الصواب فى الفعل « تُنثى » بتقديم النون على الثاء ، وفى الاسم « والناثي » بتقديم النون على الثاء أيضاً ، قال الجوهري : « النثا مقصوراً مثل الثناء إلا أنه فى الخير والشر جميعاً ، والثناء فى الخير خاصة ، ونثوتُ الخبر نثواً : أظهرته وتناثوا الشيء تذاكروه » وقال الزمخشري : « نثوت الحديث نثواً : ذكرته ونشرته ، وهو حسن النثا وقبيح النثا ، وهو ينثو عليَّ ما فعلت : يُشيعه » فالصواب « أو تُنثى عليه سوأة » و « الناثي للسوأة المخفاة » .

٤٤ — شَيْظمي لا شيطني

ورد في الصفحة « ١١٧ » قول الشريف : « وقال الشاعر في فضح الصبح للظلام :

يا ربَّ كلِّ غابق ومُصطبحْ ورُبَّ كلِّ شيطنيّ منسرحْ

فقد جاء « شيطني » والصواب « شَيْظمي » قال الفيروزأبادي في القاموس : « الشيظم كحيدر : الطويل الجسم ، والفتى من الإبل والخيل والناس كالشيظمي جمعه شياظمة وهي بهاء ... والشيظمي : المقول الفصيح والأسد كالشيظم »

٤٥ — الحُوَيْري لا الحُوَيْرن

وجاء في الرجز المذكور تالياً لما نقلنا ، قول الراجز :

أرسلْ على حوفاء في الصبح الفَضِحْ حُوَيْرنا مثل قضيب المُجتدِحْ

متى نَضَتْ من كمها عرقاً يُرِحْ

وفي هذه التتمة تصحيف أيضاً ، والصواب « حُوَيْريا » تصغير « حار » المنقوص بدلالة قول الشريف في شرح الرجز « قوله : حُوَيرياً [(١)] ، تصغير حار ، يريد حيةً طال بقاؤه [(٢)] ، حتى حار [(٣)] أي رجع من غلظ وعظم إلى دقة خلق وجسم ، فصار كقضيب المجتدح وهو المجدح الذي يُحرَّك به الشراب والسَّويق وما يجري مجراهما ، ومن كلامهم : رماه الله بأفعى حارّية يريدون هذا المعنى » ويؤيد ذلك ما في كتب اللغة ، قال الجوهري في الصحاح : « وحرى الشيء يحري حرياً أي نقص ، يقال : يحري كما يحري القمر وأحراه الزماز [أي نقصه] والحارية : الأفعى التي نقص جسمها من الكبر ، وذلك أخبث ما تكون ، يقال : رماك الله بأفعى حارية » وبذلك يعلم أيضاً أن ضبط الشيخ « حارّية » بتشديد الياء خطأ

(١) ضبطها الشيخ محمود مصطفى « حويرناً » جرياً منه على التصحيف الأول

(٢) الحية تذكر وتؤنث والتاء للجنس

(٣) هذا وهم من الشريف الرضي — ر ح — فان « الحاري » اسم فاعل من الفعل « حرى يحري » كرمى يرمي ، فهو ناقص ، لا من « حار يحور » بمعنى رجع ، فهو أجوف

٤٦ — متى يُصِبْ لا متى نَضَتْ

وضبطه للشطر الأخير على صورة « متى نَضَت من كمها عرقاً يُرحْ » فيه خطأ ، لأن الراجز قال : « أرسل على حوفاء ... حويرياً . . » فالحويري تصغير الحاري : فهو « متى يصب من كمها عرقاً يُرح » أي يصيب من كم حوفاء المدعو عليها ، ألا ترى إلى قول الشريف بعد ذلك : « وقوله : يُرحْ أي يُميت » فالحاري إذا أصاب عرقاً من كم حوفاء أماتها وعلى هذا يجب أن يصلح قول الشريف بعد ذلك : « متى نضت منها عرقاً يحدث فيه جرحاً ... » بـ « متى يُصِبْ منها عرقاً ... »

٤٧ — ذاق المرارة لا ضاقها

وجاء في الصفحة « ١٢٠ » : « قد ضاق بها مرارة ، وأساغ بها حرارة » والصواب « ذاق » كما هو ظاهر ، لا يحتاج إلى بُرهان ولا الى استدلال

٤٨ — عثمان بن حُنَيف لا حَنيف

وجاء في الصفحة «١٢٣» قول الشريف: « وعلى ذلك كان قول عثمان بن حَنيف الانصاري» بفتح الحاء وكسر النون من « حنيف » والصواب « حُنَيف » على التصغير ، ومن النادر عند العرب « حَنيف » قال الذهبي في المشتبه « حُنَيف » بيّن ، وبالفتح حَنيف بن أحمد الدينوري ... وعيسى بن حَنيف القيرواني ... » ولم يذكر في « حَنيف » غيرهما ، وجاء في الأنساب واللباب « الحُنَيفي : بضم الحاء المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى عثمان بن حُنيف الأنصاري ... » وبهذا عُلم أنه «حُنيف» « لا حَنيف »

٤٩ — تكاثر لا تطاير

وجاء في الصفحة «١٢٦» قول الشريف : « لأن عن شقها يكون تشظيها ، وتطاير الصدوع فيها » ولا توصف الصدوع بالتطاير ولا محل للتطاير ، فهو تصحيف « تكاثر » وهو المراد ، لأنه يلائم التشظي الذي يصيب العصا ، التي هي الباعث على ذلك الكلام

٥٠ — أبو عبد الله الفقيه لا العقبة

وورد فى الصفحة «١٤٥» قول الشريف « وقال لي أبو عبدالله محمد [1] بن يحيى الجرجاني : العقبة عند أصحابنا أن الصلاة أفضل من الصيام ... » وقد تصحفت على الشيخ كلمة « الفقيه» فصارت « العقبة » ونعوذ بالله من كل عقبة وخصوصاً عقبة التصحيف

٥١ — حين يَغضبُ لا تُعصَبُ

وورد فى الصفحة «١٥٣» قول الشريف : « وبهذا المعنى فسر قول الفرزدق :

إذا مالك ألقى العمامة فاحذروا بوادر كفي مالك حين تُعْصَبُ »

فقد جاء آخر البيت « تُعصَبُ » ، وما الباعث على العصب وما المعصوبة ؟ ! الصواب « حين يَغضَبُ » فهو تخشى بوادر كفيه إذا غضب ، وهكذا ورد البيت في ديوان الفرزدق « ص ٣١ » ففيه « وقال لمالك بن المنذر بن الجارود :

إذا مالك ألقى العمامة فاحذروا بوادر كفي مالك حين يَغضبُ

فإنها إن يظلماك ففيهما نكال لعريان العذاب عَصَبصبُ

٥٢ — الطائي الأكبر أبو تمام

وجاء في الصفحة «١٦٢» قول الشريف : « ونظير الخبر المذكور من الشعر قول الطائي الأكبر فى صفة الفرس :

هَذَّبَ فى جنسه ونال المدى بنفسه فهو وحده جنسُ »

فقال الشيخ ـ رح ـ فى الحاشية يفسر الطائي الأكبر « هو حاتم الجواد المشهور » وإنما

(١) قال الخطيب البغدادي : « محمد بن يحيى بن مهدي أبو عبد الله الجرجاني الفقيه على مذهب أبي حنيفة سكن بغداد الى أن توفي بها ، وذكر لي أحمد بن العتيقي أن توفي سنة ٣٩٨ هـ قال : كان فقيهاً عالماً .. » (ج ٣ ص ٤٣٣) وقال محيي الدين القرشي : « تفقه على أبي بكر الرازي وتفقه عليه أبو الحسن القدوري وأحمد بن محمد الناطفي ، وكان يدرس بالمسجد الذي بقطيعة الربيع وحصل له الفالج في آخر عمره ودفن الى جنب قبر أبي حنيفة » « ج ٢ ص ١٤٣ » وقال أبو بكر الهروي السائح : « وبمقبرة الخيزران قبر الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان ... وعنده قبر أبي عبد الله الجرجاني » (الاشارات الى الزيارات ص ٧٤).

أراد الشريف الرضي أبا تمام فهو الأكبر بالنسبة الى البحتري ، ثم إن هذا البيت لأبي تمام من قصيدة[1] يمدح بها الحسن بن وهب مطلعها :

هل أثر من ديارهم دعسْ　　　حيث تلاقى الأجزاع والوعسْ

٥٣ — الغُـلُف لا الغُـلُق

وورد في الصفحة « ١٦٩ » : « ويبيّنه للناظرين فيه من أبواب العلم وطرقه ، ويفتقه من أكمّته وغُلُقه » ، والغُلُق إن جاز أنها جمع غلق ، فلا محل لها في هذا الكلام ، والصحيح « وغلفه » جمع الغلاف فهو المضاهي للكمام ، وقد حمل الشيخ على وضعه « الغلق » مكان الغلف ظنّه أن جملة الشريف الرضي مسجوعة وليس ذلك كذلك ، ألا ترى أنه يقول بعد ذلك « بينابيع الماء المتفجرة ، وعيونه المستنبطة »

٥٤ — جمل نِصْفَها لا يَصِفُها

وجاء في الصفحة « ١٧٠ » قول الشريف : « ومن هناك قالوا شمس مريضة ، إذا ولّى احمرارها وأقبل اصفرارها ، وعلى هذا قول الشاعر :

لدُن غدوة حتى نَزَعْنَ عشية　　　وقدمات شطر الشمس والشمس مُدنَفُ

فجعل يصفها ميتاً لما تصرَّم أكثر ضيائها ، وجعل يَصفها مُدنفاً لما كان من التصرُّم على شفا » فقد ورد « يصفها » مكرراً ، والصواب « نصفها » فيكون قوله « فجعل نِصْفها ميتاً ... وجعل نِصْفها مدنفاً ... » ولولا تكرار التصحيف لحملت ذلك على خطأ الطبع ، وتأكد عندي التصحيف أيضاً بأنه فتح الياء وكسر الصاد من « يصفها » الثانية

٥٥ — نَمسَ لا نَمَّسَ

وجاء في الصفحة «١٧٣» قول الشريف :« ومن ذلك سُمي مَن يجعله الانسان موضع سره ومستودع نفثه ناموساً ، يقال نَمَّسَ يَنَمَّس نمساً ونامسه منامسة » وقال الشيخ - رح -

---

(١) الديوان « ص ١٢٤ ، ١٢٥ » الطبعة الأولى و « ص ٧٩ طبعة دار المعارف » . وقد ضبط « هذب » مبنياً للمجهول وهو الصواب وضبط الشيخ له على المعلوم غلط

في الحاشية : « التنميس : التلبيس والتعمية » ، ولم يُرد الشريف الفعل الرباعيّ المضعف العين « نَمَّس تنميساً » بل الثلاثي « نَمَسَ » بدلالة ذكره مصدر الثلاثي « نمساً » وباستشهاده للناموس وهو مشتق من الثلاثي ، وبدلالة أن التنميس لا يؤدي كل معنى « النَّمس » ، قال الجوهري في الصحاح : « ناموس الرجل : صاحب سره الذي يطلعه على باطن أمره ويخصه بما يسره عن غيره ... ونمسُ الىر أنمِسُه نمساً : كتمته ، ونمسْ الرجلَ ونامسـته إذا ساررته »

٥٦ — تَفَوَّتَ عليه لا يُفوِّت عليه

وجاء في الصفحة « ١٨٠ » قول الشريف : « ومن ذلك قوله ـ ع ـ في حديث مشهور للرجل الذي يُفَوِّتُ ابنه عليه ماله ففرَّقه وبذَّره : اردُد على ابنك ماله فانما هو سهم من كنانتك » وقال الشيخ محمود مصطفى ـ رح ـ في الحاشية : « فَوَّت فلان على فلان في كذا وافتات عليه : إذا انفرد رأيه دونه في التصرف فيه » وقد أثبت بهذا الشرح أن الفعل الوارد في الحديث هو « يُفوِّتُ » بضم الياء وتشديد الواو ، والصحيح أنه « تفوَّتَ » الماضي على وزن تَفَعَّلَ » ، ففي الفائق الزمخشري « ٢ : ٣٠٣ » : « إن رجلاً تفوَّتَ على أبيه في ماله ... » وذكر الخبر ، وقال في شرحه : « يقال : افتات على فلان في كذا وتفوَّت عليه إذا انفرد برأيه دونه في التصرّف فيه ، وهو من الفوت بمعنى السبق ، إلا أنّه ضمّن معنى التغلب فعُدّي بعلى لذلك ... » . وقال ابن الأثير الكبير في النهاية : « منه الحديث : أن رجلاً تفوَّتَ على أبيه في ماله فأتى النبي ـ ص ـ فأخبره ... » وفي الصحاح « وتَفوَّت عليه في ماله أي فاته به »

٥٧ — إربداد ألوانه لا ارتدادها

وجاء في الصفحة «١٨٧» في شرح قول النبي ـ ص ـ : « هُـدنة على دَخَن ... والصحيح أنه مأخوذ من الدخان لـكدر أجزائه ، وارتداد ألوانه »، وأرى أن الأصل « اربداد ألوانه » يقال « اربدَّ يربدّ اربداداً : أي صار لونه أربد » وهو يناسب الـكدر الذي ذكره قبله

٥٨ — قتله الله لا قَبلَه

وجاء في الصفحة «١٨٩» قول الشريف : « وأنشدنا أبو الفتح [عثمان بن جني] النحوي ـ رحمه الله ـ قول الشاعر :

أما تراني قالباً مِجَنِي أقلِب أمري ظهره للبَطْنِ

قد قَبل الله زياداً عني

وكان ـ رحمه الله ـ يقول : « في قوله (قد قبل الله زياداً عني) سر لطيف وهو أنه أقام (قَبِلَه) مقام (عَزَلَه) فكأنه قال (قد عزل الله زياداً عني) لانه إذا قُبِلَ فقد زال سلطانه ، وأُمِنت سطواته » ، وقد خفي السرُّ الذي أشار اليه ابن جني على الشيخ محمود مصطفى ـ رح ـ ولم يسائل نفسه عن قبول الله زياداً ما كانت صفته ؟ وهل يقوم القبول مقام العَزل ؟ الصحيح أن الشعر هو « قد قَتَل الله زياداً عني » والصواب إبدال التاء من الباء في كل كلة كرِّر فيها هذا التصحيف ، وقد نقل مؤلف لسان العرب تفصيل هذا السر اللغوي في « قتل » من اللسان ، قال : « وقول الفرزدق ـ وبلغه موت زياد وكان زياد هذا قد نفاه وآذاه ونذر قتله ، فلما بلغ موته الفرزدق شمت به فقال :

كيف تراني قالباً مجني أقلب أمري ظهره للبطن

قد قَتل الله زياداً عني

عَدّى (قَتل) بعَن لأن فيه معنى (صرف) فكأنه قال : قد صرف الله زياداً »

ولا أطيل الكلام فالأمر واضح جداً

٥٩ — همّت نَعلُها بالسَّبلجين

وجاء في الصفحة «١٩٤» قول الشريف : « وقد نهى رسول الله ـ ص ـ عن أخذ ضَوالّ الإبل وهواميها والهوامي : الضائعة ، قال الشاعر :

همت بغلها بالسبلجين وأوفضَتْ بوادي نميل عن جبين مشيّد

أي ضاعت بغل هذه الناقة بهذا الموضع المذكور ، وذلك لا يكون إلا عند تقطع هلبها

وإجحاف السيَّر بها » ولا محل « لبغل » هنا ، فليس للناقة « بغل » وإنما البغـل في البيت تصحيف « النَّمل » أو غيرها [1] ، أما « السيلجين » فهو تصحيف « السَّيْلَحِيْن » قال ياقوت في معجم البلدان : « سَيْلَحُوْن ... وقد يعرب إعراب جمع السلامة ... ومنهم من يجعله اسماً واحداً يعرب به إعراب ما لا ينصرف ... وذكر سيلحين في الفتوح وغيرها من الشعر يدل على أنها قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية ، ولذلك ذكرها الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية ... »

٦٠ — الرئيّ الناظر لا الناظرة

وجاء في الصفحة «١٩٩» قول الشريف : « لأنهم أقامُوا الجبل مقام الرئية الناظرة ، والرفيق المساير » والصواب « الرئي الناظر ، والرفيق المسافر » لتمام السجعة ولأن « الرئي » اسم فاعل [2] بمعنى الصفة المشبهة ، ولأن الجبل يفسر بشيء مذكر لأنه مذكر

٦١ — هضب القَليْب لا القُلَيْب

وجاء في الصفحة « ١٩٩ » أيضاً : « وقال الشاعر :

سَل الدار من جَنْبي حِبرّ فواهبٍ إلى ما رأى هضب القُلَيْبِ المضيح

وقد ضبط الشيخ «القليب» بضم القاف كأنه عنده تصغير « قَلْب » وقال في الحاشية : « حِبرّ كفلز : موضع ، وواهبّ جبل لبني سليم » ، قلت : ذكر ياقوت الحموي « حبراً » في معجمه للبلدان قال : « حبرّ بكسرتين وتشديد الراء وما أراه إلا مرتجلاً : جبلان في ديار سُليم قال ابن مقبل :

(١) في لسان العرب « والتنعيل : تنعيلك حافر البرذون بطبق من حديد بقيه الحجارة وكذلك تنعيل خف البعير بالجلد لئلا يحفى ونعل الدابة ما وقي به حافرها وخفها قال ابن سيدة :أنعل الدابة ونعلها »

(٢) من القواعد التي استدركتها على الصرفيين القدماء أنه يجوز أن يصاغ اسم فاعل على وزن « فعيل » من « فاعل يفاعل فعالا ومفاعلة » مما يدل على اشتراك ، وهذا أقرب الى الصفة المشبهة منه الى اسم الفاعل مثل « الشريك والمثيل والقرين والخليط والنزيل والحليل والبديل والشبيه والعديل والوديد والكفيء والضجيع والوزير والعميل والثوي والسمي ومنه « الرئي » من راءاه يرائيه .

ســـل الدار من جنبي حبرّ فواهب إلى ما ترى [1] هضب القليب المضيّحُ

ثم قال : « هضب القليب : علمٌ فيه شعاب كثيرة ، قال الأصمعي : هضب القليب بنجد ، والهضب : جبال صغار ، والقليب في وسط هذا الموضع ، يقال له ذات الإصاد وهو من أسمائها وعنده جرى [حرب] داحس والغبراء ، قال العامري: هضب القليب نصف مابيننا وبين بني سُليم ، حاجز ما بيننا ، والقليب الذي ينسب إليه بئر لهم » ، وقال في واهب : « واهب : اسم جبل لبني سليم ... وقال تميم بن مقبل :

سل الدار عن جنبى حبرّ وواهبٍ إلى ما رأى هضب القليب المضيّح »

وبما نقلنـا نعلم أن « القليب » الوارد في البيت هو بئر غير مطوية وأنه على وزن « أمير » لا على التصغير ، وقد جاء في المجازات بعـــد ذلك « وهضب القُـلَـيْـب والمضيّح » موضعان متقـاربان فجعلها لتجـاذبها [2] (كذا) كأنها يتراءيان » ، والصـواب « وهضبُ القَليب ... »

٦٢ — تصغير دابّة « دُوَيْبَّـة »

وجاء في الصفحة « ٢٠٤ » : « وذلك مأخوذ من اسم دُويِّبَّـة » بتشديد الياء وكسرها ، وليس في الأصل « أعني دابة » ياء مشدّدة ، فألفها تقلب ياءاً وتبقى ساكنة كما كانت في المكبّر ، وكل ما جاءَ على هذا الوزن وهذه الصورة فهذه صيغة تصغيره وقد كرر الشيخ الخطأ الصرفي في الصفحة عينها في قول الشريف : « بهذه الدويِّبـّة » وفي الصفحة « ٢٩٤ » من الـكتاب أيضاً ولولا ذلك التكرار لحسبنا الخطأ الأول من أخطاء الطبع

٦٣ — يغمزون لا يغمرُون

وجاء في الصفحة « ٢٠٥ » قول الشاعر :

---

(١) نقلنا من المجازات النبوية أنه « رأى » وهو موضع الشاهد ، ويؤيده ما نحن ناقلوه من مادة واهب من معجم البلدان وما جاء في الأغاني « ٦ : ٧٢ طبعة دار الـكتب المصرية »

(٢) لعل الأصل « لتجاريهما أو تجاورهما »

راهم يهمزون من استركوا ويجتنبون من صدق المصاعا

ويروى : « يغمرون ... » هكذا بالراء والصواب « يغمزون » لأن الهمر والغمز متجاوران معنى واستعمالاً ولا محل ليغمرون ولا للغمر

٦٤ — أغَبَّ الأمرَ لا غَبَّهُ

ورد فى الصفحة «٢٢٣» : « إنما المُراد : لا ترفع التأديب عنهم ، ولا تَغُبّ التقويم لهم » . والمراد بعدم الاغباب للتقويم عدم الفتور فيه ، وعدم الفصل بين فعلاته ، هكذا ضبط الشيخ الفضل « تغب » أي بفتح التاء وضم الغين المعجمة ، قال الجوهري فى الصحاح :« الغِبُّ :أن ترد الابل الماء يوماً وتدعه يوماً ، تقول : غبت الابل تغب غباً ... قال الكسائي : أغببتُ القوم وغببتُ عنهم ، أيضاً وغببت إذا جئت يوماً وتركت يوماً ... وفى الحديث : أغِبُّوا فى عيادة المريض وأربِعُوا ، يقول : عُد يوماً ودع يوماً أو دع يومين وعُد اليوم الثالث ... وفلان لا يُغبّنا عطاؤه : لا يأتينا يوماً دون يوم بل يأتينا كل يوم ... » وذكر الجاحظ فى أخبار السيد الحميري قال : «كان السيد الحميري مولعاً بالشراب ، فمدح أميراً من أمراء الأهواز ، ثم صار إليه بمديحه له ، فلم يصل إليه وأغبَّ الشرابَ ... [1] » أي تركه مُديدة ، فالصواب « ولا تُغِبَّ التقويم » ولا محل للثلاثي

٦٥ — إثمٌ مُوتِغ لا مُولِغ

وفى الصفحة «٢٨٧» : « جعل ما فىمقابلتها من إثم مولغ ، وذنب موبق .. » وقال الشيخ فى الحاشية : « إثم مولغ أي مُوجب للذم والشتم ومنه قولهم : رجل مستولغ أي ما يبالي أن يذم ويُشتم » قلت : أصاب الشيخ فى « المستولغ » ولم يصب فى « المولغ » فالمستولغ مستعار لمن يطلب من الناس أن يَلَغُوا فى عرضه أي يشتمهم على ذلك بفعله ، أما الوارد فى كتاب المجازات فهو « المُوتِغ » لا المُولِغ ، وأخطأ الناسخ بجعله الياء لاماً لتشابهها فى أول الكلمة ، قال الجوهري : « الوَتَغُ بالتحريك : الهلاك وقد وتِغ يوتَغُ وتغاً أي أثمَ ، وهلك ، وأوتغه

(١) البيان والتبيين « ٢ : ١٣٠ طبعة السندوبي »

الله سبحانه أي أهلكه ، وأوتغ فلان دينَه بالاثم » وهذا واضح الصحة ومُوافق للموبق ، لأنه المهلك أيضاً كما في كتب اللغة ، قال الجوهري : « أوبقه : أهلكه »

٦٦ — وجاء في الصفحة «٢٩٨» : «... بالمضي بعيره في السفر إذا أطال شُقَّته واستفرغ قوَّته ، وحسَّن عريكته » والصواب « وخشَّن عريكته » لأن نتيجة إطالة الشقة واستفراغ القوة التخشين لا التحسين وقد ألِف العرب أن يقولوا : فلان خشن الجانب وخشَّن جانبه تخشيناً (1)

٦٧ — الغزارة لا القرارة

وجاء فيها : « شبهه بالماء الطامي الذي يفيض من قرارته ، « ويسيح من كثرته » والصواب « من غزارته » بحرف الجر « من » استعمل لبيان السبب لا لابتداء الأمر . ثم إنه لا يفيض المائع من قرارته بل يفيض من أعلاه وثبجه

٦٨ — أوارها واضطرامها لا اضطرابها

وجاء في الصفحة « ٣٠٥ » « وصف حرارة الحمى واتقادها ، وشدة أوارها واضطرابها » والصواب « واضطرامها » ولا أرى حاجة الى البرهنة على ذلك ، لوضوحه فالحرارة تضطرم ولا تضطرب في ظاهر حالها

٦٩ — مقاربات لا مفارقات

وجاء في الصفحة «٣١٦» قول الشريف : « والوجه الآخر أن يكون المراد أن أموال الصدقات في الأكثر لا تكون إلا أسافل الأموال دون أخيارها ، ومفارقاتها دون كرامها » وقال الشيخ في الحاشية تعليقاً على مفارقات : « لعله يُريد بالمفارقات التي هانت على أصحابها ففرَّطوا فيها فهي تفارقهم ، بخلاف الكريمة عليهم فإنهم يحرصون عليها فلا تفارقهم » وهذا قول متكلف جداً ، لأن المفارقة لا تقابل الكريمة ، وأنا أرى أن الأصل « مقارباتها » جمع المقاربة ،

---

(1) منه قول أشجع السلمي الشاعر :

وله جانب يخشن في لي . ن وفتك يشوبه بعفاف

جاء في مختار الصحاح : « وشيءٌ مقارب بكسر الراء أي وسط بين الجيد والرديء ، وكذا إذا كان رخيصاً ولا تقل مقارب بفتح الراء » ويؤيد قولي ما ورد في مادة « رسل » منه قال : « ومنه الحديث : إلا من أعطى في نجدهــا ورسلها يُـريد الشدة والرخاء ، يقول : يُـعطي وهي سمان حسان يشتد على مالـكها إخراجها ، فتلك نجدهــا ، ويعطى في رسلها وهي مهازيل مقاربــة » وبهذا علمنا أن المقاربات تقابل الـكرائم ، ويجب أن تـكون لفظة كرامها « كرائمها »

٧٠ — أجل انتهائنا لا أخيره

وجاء في الصفحة « ٣٢٠ » قول الشريف : « وهذا أخير انتهائنا الى الفراغ في كتاب مجازات الآثار النبوية » وليس للانتهاء أول ولا أخير لأنه هو الآخر والأخير ، والذي أراه أنه تصحيف « أجل » وهو الميعاد والميقات

٧١ — تُبنى لا تُثنى

وجاء في الصفحة المذكورة « فان النعمة تُثنى على قواعـــد الشكر لها ، ورفع على دعائم المعرفة بقدرها » فكيف تُثنى النعمة على القواعـد ؟! إنّها « تُبنى » لا تثنى ولذلك قال بعدها « ورفع » لحصل التجانس والاتساق والقواعدُ يبنى عليها لا يُثنى

هــــذا ما استوقف النظر واستوجب الفكر من التصحيف الذي وقع في كتاب « المجازات النبوية » وامل غيري يجد فيه غير ذلك ، وقد تساهلتُ على الشيخ محمود مصطفى ـ رحمه الله ـ فلم أعتد عليه من المصحف ما يمكن حمله على غلط الطبع ولو كان مع استبعاد ، ودونك قسماً من غلط الطبع الذي أشرت اليه :

في الصفحة ٢٠ إلى الذماء : إلا الذماء . ٢١ بكلية : بكليته ٢٤ أشهه : أشبه . ٢٦ لجلناها : لجعلناها إنَّ هو : إنْ هو ٤٣ تحلتبه : تحتلبه ٤٨ النظوب : الظنون ٥١ مفاحصَ : مفاحصُ ٥١ تقدم الانسان : للانسان ٥٦ لتجبنون : إنكم لتجبنون ٥٦ يتنفس من الـكُرَب : الـكَرْب ١١٢ وحظُّك : وحظَّك ١٢١ الوقوع من الجـذام : في الجـــذام ٣٢٣ استباب : اســتتباب . ١٢٤ تجَنَبَة : تجْنُبَة

١٢٦ من دعاتهم : من عادتهم ١٣٣ للسمين : السميين ١٤٧ يا كعب : يا كعبُ ١٤٧ فأوردها : فأرداها وينشب : وينشَب ١٥٤ يمانيه : يمانيه ١٥٩ وينَلْ الأعداء : ويفُلُّ الأعداء ١٨٤ الخطبة الذي : التي ١٩٩ وناراها مختلفان : مختلفتان ٢١١ لا تعد : لا تعدو ٢١٣ الإناء : الاناء ٢١٦ المُثُل الذي : المَثَل الذي ٢١٩ ما تحته : وما تحته ٢٢١ استأصل خلقه : حلقه ٢٢٨ الزادة : الذادة ٢٢٩ المفضات : المفضمات ٢٦٧ القرار : الفرار ٢٧٩ يكملان : تكملان ٢٨٩ الأنفال : الأثقال بدلالة قوله « وتحمل الأثقال » ؟

مصطفى جواد

أنباء وآراء

فضل العرب على الأفرنج

لا يخفى على من له إلمام بالتاريخ ، أن المسلمين من العرب لما فرغوا من الفتوح الشرقية صرفوا عنايتهم الى فتح الغرب ، حتى أغاروا على بلاد فرنسة تحت قيادة عبد الرحمن الغافقي في عهد هشام بن عبد الملك عاشر الخلفاء الأمويين ، فدخلت الايالة الجنوبية كلها في حكمهم ، واستوطنوا تلك الايالة وعمروا عدة من مدنها ، وخالطوا اهلها ، وتزوجوا فيهم ، واشتغلوا بزرع أراضيها والاتجار مع أهاليها ؛ فحدثت العلاقة الوثيقة الودية بين العرب والفرنسيين وظهر بينهم ما لدى العرب من الحضارة والآداب والمعارف والأخلاق والعادات ، ولاقوا الحكماء والأدباء والشعراء والأطباء من عصر الدولة الأموية الى عصر صلاح الدين الأيوبي وكانت الأمة العربية إذ ذاك من الأمم المتمدنة وكانوا أكمل آداباً وأوسع علوماً وأعلى حضارة من جيرانهم الأفرنج وكانت لهم المدارس والجامعات في قرطبة واشبيلية وغيرها ؛ وكان يدرس فيها علم الفلسفة والهيأة والطب والكيمياء والتاريخ والأدب والشعر الى غير ذلك ... ولم يكن في أهل فرنسة الا جماعة من الأساقفة ممن يحفظ شعر « فرجيل » اللاتيني ، فرغب أهل فرنسة في تعلم علوم العرب ، واشتاقوا الى تحصيل آدابهم ، فأول من بادر الى طلب معارف العرب البابا « سلفستر الثاني » فقد سافر الى أرض الأندلس فبلغ اشبيلية ، وكانت مركزاً علمياً ، وكانت فيها مدرسة كبيرة جديرة بأن يقال لها « جامعة » فأقام البابا بتلك الجامعة ثلاث سنوات ، وقد كان تعلم مبادئ العلوم في اللغة اللاتينية ، فحاز حظاً وافراً من العلوم ، ثم رجع الى موطنه متنوراً بأنوار المعارف ، حتى حسبه الناس ساحراً ، وفتح باب علوم العرب لقومه ، وارتقى ببركة المعارف العربية متدرجاً الى المنصب الأجل: البابوية وقيل إنه أول من أجرى الأرقام في بلاد

الأفرنج أخذاً من العرب ، فلما عاين أهل بلاده فضل هـذا البابا وشرفه زادت رغبتهم فى اكتساب علوم العرب وارتحل كثير من تلامذة الافرنج الى مدارس الأندلس ، ودخلوا فيها أفواجاً ، وكانت الأندلس فى ذلك العصر فى أوج العلوم والآداب ثم رجعوا الى أوطانهم متنورين متبحرين فى العلوم والفنون فأفادوا فى الأمصار الكبار ، وأفادوا الناس الفوائد العلمية تدريساً وتعليماً ، فانتشرت علوم العرب ولغتهم فى بلاد الافرنج ، حتى دخلت المصطلحات العلمية العربية فى مؤلفات علمائها وعمت الكتابة بالعربية مباني أهاليها وقصور ملوكها وأمرائها قال سديليو : « إن كلمات اللغة العربية قد دخلت فى اللغة الفرنسية أكثر مما دخل فيها من اللغة اللاتينية » . وقال لامنس : « إن الافرنج قد أدخلوا فى لغاتهم تسعمائة لفظ من اللغة العربية »

ولم يكن أهل فرنسا عالمين بعلوم اليونانيين ولا قادرين على ترجمة كتب أرسطو وغيره لعدم معرفتهم بلغتهم اليونانية ، فأخذوا علومهم عن فلاسفة العرب ، ونقلوا الكتب اللاتينية المترجمة من الكتب العربية المترجمة من اليونانية والسريانية إلى لسانهم الفرنسي ، وأوجدوا التعبيرات الفلسفية والمنطقية وغيرها وألفوا فى علوم الأخلاق والسياسة والاقتصاد ، وجمعوا لغتهم الفرنسية وصارت مارسيلية ، وطولون ، ونابولي : ومانت پلير مراكز للفلسفة العربية فى فرنسة ولما تعلم الافرنج من كتب الاسلام فلسفة أهل اليونان ، تهافتوا على تعلم أدب اليونان وحفظوا أشعارهم وتبحروا فيها ؛ فظهر فن التشخيص « المحاكاة » فيهم ، ثم وضعوا فيه مؤلفات كثيرة واشهر منها مؤلفات أوريبيد ولا سيما رواية اندروماق التي نسج راسين على منوالها

وما كان عند الأمة الفرنسية تاريخ للوقائع الحادثة فى أرضهم ولا لدولهم ولا لملوكهم لأسمائهم وجلوسهم ووفاتهم وحروبهم ، فلما لاقوا المؤرخين من العرب وتبادلوا الأقوال بينهم تفطنوا لضرورة التاريخ ، وأقروا بالفوائد التاريخية ، فاعتمدوا إلى وضع كتب التاريخ بهداية العرب وارشادهم وألف بعض الرهبان السالكين طريقة القديس دنيس St Denis تاريخاً لدولة الافرنج فكان هذا أول سجل لضبط وقائع ملوك الافرنج وتاريخ جلوسهم ووفاتهم وحروبهم

وفتحوا فى القرن الثالث عشر مدرسة للطب فى مدينة « مون بيليه » وهي أقدم مدرسة

فى أوربا بعد مدرسة سالرن التي بجوار نابولي ، وكانت أطباء العرب واليهود المستعربون يلقون فيها درس الطب ، وأسسوافى طولون جمعية أدبية، ودعوها مدرسة العلم المفرح Collége de Gai Savoir وتسمى أكاديمية الأزهار وكان لفكتور هوغوVictor Hugo منها أوفر نصيب

سافر هوغو مع أبيه الى الأندلس مراراً ، فتأثر بالشعراء الأندلسيين ، ولهذا يشبه كلامه كلام شعراء العرب ، كتب في مقدمة « الشرقيات » أن الناس كانوا ماهرين فى العلوم اليونانية لكنهم صاروا الآن ماهرين فى العلوم الشرقية Legacy of Islam وفى تأليفه « أوراق الخريف » ترى مماثلة عجيبة من الشعر العربي كتب إن سرور العائلة بالأولاد فلا ريب ان الشاعرين الشهيرين فكتور هوغوالفرنسي والمعري العربي فى هذا الأمر على طرفي نقيض ، ولكنهما يتفقان فى تمجيد الله وغيره ، فمن شاء التفصيل فيلطالع اللزوميات للمعري وأوراق الخريف لهوغو وهكذا قرض قصيدة أخرى عنوانها « الشموس الغاربات » وصوّر فيها « غروب الشمس وظهور الشفق وتكاثف الغيوم على الأفق ، واستدل بنظره فى المخلوقات على وجود الخالق » وهذا كما قال الشاعر العربى المعري : —

أرى الخلق فى أمرين ماض ومقبل ۞ وظرفين ظرفي مــدة ومكان

إذا ما سألنا عن مراد إلهنا ۞ كنى عن بيان فى الإجابة كان

أو كما فى القرآن الكريم : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » ولهوغو قصيدة أخرى ، وهي « الدعاء للجميع » وهذه القصيدة مشتملة على القواعد البشرية والفلسفة الاجتماعية ، وفيها يخاطب الشاعر بنته ، ويطالب منها الدعاء ، ولعله قلد فى هذه الطريقة القرآن الكريم : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » أو كما قال المعري فى اللزوميات :

« وأعط أباك النصف حياً وميتاً ۞ وفضّل عليه من كرامها الأمّا

أقلك خفاً إذ أقلتك مثقلا وأرضعت الحولين واحتملت تما

وألقتك عن جهد وألقاك لذة وضمت وشمت مثل ما ضم أو شما

ولو فتشنا كلام المعري أو ما ورد على شاكلته من الشعر العربي لوجدنا فيه كثيراً من المعاني الواردة فى قصيدة « الدعاء للجميع »

وفى الختام أسطر نبذاً مما اقتبسه الافرنج من قواعد الشعر العربي والعلوم الأخرى ، فمعلوم أن العرب كانوا أمراء المعاني والبلاغة ورؤساء البيان والفصاحة ، ولغتهم كانت مشحونة بأنواع التشابيه والاستعارات ولا ريب فى أن الشعر العربي أكثر حلاوة ورقة ، ولكل من القوافي والأوزان وترنماتها الموسيقية تأثير خاص يعبرون عنه بالسحر الحلال ، فلما اختلط الافرنج بهم تأثروا بها غاية التأثر ، حتى حادوا عن تعلم أشعاراللاتين وأكبوا على تعلم أشعارالعرب وأزجالهم ، وكان فقراؤهم كما قيل « ينشدون الأناشيد والمدائح العربية فيستمع الناس لهم ويتصدقون عليهم لا لفهمهم ما يقولون وإنما شوقاً منهم وهتافاً للألحان والأنغام والقوافي الرنانة » فأستطابوا الشعرالافرنجي باستعمالهم القوافي التيلم تكن فى أشعارهم ، وكان لهم فن من الشعر يسمونه «تنسون Tenson » فالقافية عند الفرنسيين كما قيل « هي اتحاد الأحرف الصوتية الأخيرة وما يتبعها من الأحرف الساكنة فى نهاية كل بيتين أو قطعتين من الشعر مثل ساج وپاج (Sage, Page) فالذي أخذوه عن العرب بالسماع والتقليد هو علم القوافي ، وكانوا يستعملون قبل ذلك عوضاً عن القافية ما يسمونه « أسونانس Assonance » وهو اتحاد الأحرف الصوتية الأخيرة بقطع النظر عما بعدها من الأحرف الساكنة فى نهاية كل بيتين ، مثل ساج Sage وآرم Arme ، واتفق العلماء على أن الافرنج قد أخذوا القوافي عن العرب ، وأخذوا عن العرب أيضاً فى المنظوم أنواع المدح والغزل والهجو والهزل ، كما أخذوا عنهم فى المنثور الملح على نهج كليلة ودمنة ، وضروب أمثال لقمان ، وبقية الحكايات المؤلفة على ألسنة الحيوانات ، فمن ذلك « رومان ثعلب » « وأمثال ايروب » و « رومان روز » وقيل « منها ما نقلوه نثراً ثم نظموه فى لغتهم ، وجاروا العرب فى

الفكاهات ، وألفوا حكايات وطرائف على قسوس القرى وخدم الكنائس ليضحكوا منهم الأمراء والفرسان الذين يسمونهم شيفالية » هكذا تعلم الافرنج الفلسفة والطب والأرقام والتاريخ وفن التشخيص « المحاكاة » والقوافي ورقة الغزل وآداب النظم وتلحين الأغاني بفضل العرب وعلومهم ونقلوا منهم القصص المنقولة عن الفرس والهنود كما هو مفصل في تواريخ الأدب الفرنسي وإلى ذلك أشار الموسيو رينه‌دوميك في كتابه المتداول بأيدي طلبة العلم في عموم المدارس الفرنسية ؟

الله أباد — الهند

محمد أحمد الصديقي

نشاط المجمع الثقافي

في سنة ١٩٥٧ — ١٩٥٨ المجمعية

إن المجمع العلمي العراقي ، مع ضآلة ميزانيته المالية وإنفاقه على بناء قسم من أقسام مقره الحالي في الوزيرية ، جرى على عادته في الدعوة الى التأليف في العلوم والآداب والفنون والترجمة من كتبها ، وقد قرر في جلسته الثالثة لسنة ١٩٥٧ — ١٩٥٨ المجمعية إقامة مباريات في التأليف والترجمة ، واختار للناحيـــة العلمية في التأليف موضوعين هما « السبيل إلى تصنيع العراق » و « المخترعات المبنية على التطبيقات الالكترونية » واختار للترجمة موضوعاً واحداً هو « ترجمة كتاب في استخدام النظائر المشعة » وعيّن للناحية الأدبية في التأليف موضوعين هما « تقريب العامية من الفصحى » و « توجيه الأدب القومي » وجعل جائزة الفوز في المباريات قيام المجمع بطبع الكتاب الفائز بنفقته بعدد لا يقل عن ألف نسخة ، يعطى صاحب الكتاب ثلثيه ، ويبقى الثلث الأخير للمجمع ، وقصر المجمع المباريات على العراقيين والعراقيات مستثنياً أعضاء المجمع العاملين ، واشترط أن تكون لغة الكتاب المقدم للمباراة سليمة إفراداً وتركيباً وأسلوباً وأن لا يقل عدد كلماته عن ثلاثين ألف كلمة ، وأن تقدم منه الى المجمع نسختان مكتوبتان بخط واضح أو مطبوعتان بالآلة الطابعة ، وذلك قبل نهاية شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٥٧

وعيّن وقت إعلان النتائج للمباريات بالأسبوع الأول من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٩ ووضع المجمع منهاجاً لموسم محاضرات سنوية جرياً على عادته في كل سنة ، وفصل المنهاج على النحو الآتي :

١ — في الاسبوع الأخير من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ محاضرة للأستاذ عباس العزاوي

٢ — في الاسبوع الأخير من شهر كانون الأول سنة ١٩٥٧ محاضرة للدكتور أحمد سوسه

٣ — في الاسبوع الأخير من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٨ محاضرة للأستاذ محي الدين يوسف

٤ — في الاسبوع الأخير من شهر شباط سنة ١٩٥٨ محاضرة للدكتور هاشم الوري

٥ — « « « « آذار « « « للأستاذ شيث نعمان

٦ — « « « « نيسان « « « السيد منير القاضي

٧ — « « « « مايس « « « محمد بهجة الأثري

٨ — « « الأول « حزيران « « « للدكتور مصطفى جواد

٩ — « « الأخير « « « « « ناجي الأصيل

ومما يأسف المجمع عليه أشد الأسف ويذكره أسيانَ أن الدعوة إلى المحاضرة الأولى من المحاضرات ، بعدأن وجه بها في بطاقات على حسب العادة ، لم يحضرها من المثقفين إلا ثلاث نسمات مضافاً إليهم أعضاء المجمع العاملون ، وكرّر المجمع التجربة في المحاضرة الثانية فلم يحضرها من غير أعضاء المجمع إلا مستمع واحد ، والمحاضرة الأولى كانت للأستاذ عباس العزاوي ، وقد نشرت في هذا المجلد من مجلة المجمع ، والثانية للأستاذ محي الدين يوسف وقد نشرت كذلك في المجلة ، فليطلع عليهما القاريء ولا يود المجمع أن يعلق على هذه الحال الشاذة في العزوف عن حضور المحاضرات ، ولكنها تبصير لمن يظن المجمع مقصراً في بعض ما يجب عليه

وقد أبتسر المجمع في هذه السنة إخراج الجزء السابع من « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي ، ونشر كتاب « تكملة إكمال الاكمال » في أنساب العرب وأسمائهم وألقابهم وهو تأليف جمال الدين ابن الصابوني وتحقيق كاتب هذه السطور ، وكتاب « علي بن هلال الخطاط البغدادي » وهو تأليف الأستاذ سهيل أنور التركي أستاذ تاريخ الطب في جامعة استانبول وترجمة الأستاذين محمد بهجة الأثري وعزيز سامي وتصحيح وتعليق الأستاذ محمد

بهجة الاثري أيضاً ، وأخرج المجلد الخامس من مجلة المجمع نفسه وفيها عدة مقالات لأعضاء المجمع وغيرهم من أرباب الثقافات العلمية والآراء الصائبة

ويكاد المجمع ينجز طبع كتاب «دليل خارطة بغداد المفصّل» وهو كتاب في خطط بغداد القديمة منذ تأسيسها الى العصور الأخيرة ، تأليف كاتب هذه السطور والدكتور أحمد سوسه ، وفيه كلام مفصّل على جميع ما يشمله علم الخطط مع تصحيح لعدة كتب ومقالات كانت قد ألفت وكتبت في هذا الموضوع ، وقد وضح الكتاب وزين بخارطات وصور جد مفيدة ، وأصبح أهلاً لأن يسمى « خطط بغداد قديماً وحديثاً »

وقرر المجمع طبع كتاب « تاريخ علم الفلك في العراق وما جاوره من البلدان » على عهد المغول والتركمان والأتراك العثمانيين ، تأليف الأستاذ عباس العزاوي من أعضائه العاملين ، وقد اشتمل الكتاب على سير علماء الفلك في العصور المذكورة ومؤلفاتهم ومقالاتهم ومباحثهم ، وفوائد جزيلة فيما يختص بعلم الفلك ، وسيكون مرجعاً مهماً للمعنيين بتاريخ هذا العلم الجليل ، وسيقدم الكتاب الى مطبعة المجمع عما قريب

وقرر المجمع مساعدة الأستاذ أنيس الخوري المقدسي على أن يطبع الجزء الثاني من رسائل الكاتب الكبير نصر الله بن الأثير صاحب المثل السائر ، وأرصد له مائتين وخمسين ديناراً ، سيعطيها إياه عند تمام طبع الكتاب ، وكانت المساعدة بطلب من الأستاذ المذكور قدمه الى المجمع

ودقق المجمع النظر في مصطلحات الكيمياء لمرحلة التعليم الثانوي التي أرسلت بها إليه الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، قبل إشاعتها في البلاد العربية ، فأقرّ أكثرها واقترح الاستبدال بأقلها وكتب إلى الادارة المذكورة تقريراً في ذلك ، محتوياً على المصطلحات التي اقترحها

واستجاب المجمع قائمة مصطلحات صناعة النفط بالانكليزية على اختلاف أنواعها ، وبدأ منذ الجلسة العاشرة لهذه السنة المجمعية باختيار ما يقابلها في العربية من قديم اللغة ومشتقاتها ومعرب

جديد لم يجد بُداً من تعريبه ، وقد جاوزت عدة هذه المصطلحات النفطية « ١٣٥ » مصطلحاً ، وهي أول مصطلحات نفطية باللغة العربية ، وقد نصب المجمع نصباً شديداً في إعدادها ، وتأتّى لها وتأنّى في اختيارها ، وكابد في ذلك صعوبات جمة لحداثة عهد العرب بهذا العلم الجليل ، وعدم إقبال المجامع العلمية العربية على الاشتغال بها وقد نشر هذه المصطلحات في المجلة ثم إنه ناشرها في كراسة خاصة

ودقق المجمع النظر في المصطلحات الدستورية التي أقرّها مؤتمر المحامين العرب ، وارتأى الاستبدال بقسم منها ، على حسب ما ورد في محاضر جلساته ، وأجل الفاتحة باقتراح الاستبدال إلى انعقاد المؤتمر الجديد

وطلب من مديرية مصلحة نقل الركاب تزويده قائمة بالمصطلحات الميكانيكية وما عندها مما يقابلها في العربية ليعيد النظر فيه ويختار ما هو أولى بالاصطلاح وقد أرجأ النظر في هذه المصطلحات إلى السنة القابلة لاشتغاله — كان — بالمصطلحات النفطية .

وقرر المجمع طبع معجم الرياضيات المؤلف باللغة الانكليزية ، الذي أحلت لجنة ترجمته ، وأسند ترجمته الى الأستاذ محي الدين يوسف من أعضاء المجمع العاملين والدكتور محمد واصل الظاهر من أساتذة كلية العلوم والآداب

ودرس المجمع مقترحات لجنة تبادل المطبوعات بين البلاد العربية المنعقدة في دمشق سنة ١٩٥٧ فأيد جميع ما جاء فيها وكتب بذلك التأييد كتاباً إلى الجهة المختصة ودرس عدة كتب قدمت إليه في العلوم والآداب طلباً لمساعدته على طبعها ، وشارك المجمع في قسم من المجتمعات العلمية والأدبية ، كالمؤتمر الثقافي العربي المعقود ببغداد سنة ١٩٥٧ ، وأرسل ببحث إلى مؤتمر ذكرى المؤرخ الفيلسوف العراقي أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي في معهد الدراسة الاسلامية في جامعة عليكرة بالهند

وأوفد المجمع سكرتيره المندوب إلى نابلس لتمثيله في حفلة تأبين الكاتب الحقوقي المترجم محمد عادل زعيتر وكان المجمع قد انتخبه عضواً مراسلاً له ، فألقى السكرتير المذكور في الحفلة المشار إليها

كلمة مناسبة

وشمل المجمع بمساعدته الأدبية عدة مؤسسات علمية وثقافية عامة وغيرها فأهدى مطبوعاته أو قسماً منها على حسب الحاجة إلى مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت وجامعة شيكاغو وصاحب الجلالة ملك المملكة الليبيــة ومكتبة أهل البيت العامة ببغداد والدكتور جوزيف بايلوسكي في السفارة البولونية بالقاهرة ومكتبة متحف الموصل والجامعة الامدادية في الباكستان وجامعة مكتبة شيكاغو والعالم الفاضل رؤوف الجادرجي والدكتور الفاضل إبراهيم عاكف الألوسي والسيد الباحث ميخائيل عواد والسيد محمد عبد الرحمن المفدى أحد طلاب كلية اللغة العربية فى الرياض وكلية اللغة العربية المذكورة نفسها وكلية الآداب والعلوم ، ومكتبة المتحف العراقي ومكتبة الرياض السعودية ، ومكتبة الزبير ، وجمعية القرآن الكريم بالنجف ، والكلية الاسلامية فى الملايو ، والمعارف التركية ، ولجنتها الثقافية ، والمجامع العلمية العربية ، وأعيان المثقفين الراغبين فى العلوم العربية ، وبادل مطبوعات المكتبة العامة بتطوان فى المملكة المغربية ، ومعهد المباحث الجغرافية التابع للاكاديمية الهنغارية ، وجامعة كولومبيا بامريكة ، ودار المعلمين العالية ببغداد ومجلة المعلم الجديد ، فضلاً عن المعاهد العلمية التي جرت مبادلتها مطبوعاتها فى السنين الماضية فان مبادلتها لا تزال مستدامة ، وكذلك جوائز المجمع المالية لأوائل الخريجين في الكليات

ولرغبة المجمع فى نشر المعرفة على اختلاف ضروبها قرّر فى الجلسة الرابعة لهذه الجمعية خفض أسعار مطبوعاته هذا ومع إعلان المجمع شروط المباريات فى التأليف والترجمة فى الاذاعة والجرائد البلدية لم يزل ينتظر استجابة أرباب الثقافة والعلم والآداب لدعوته ، أتوق ما يكون وأرجى ما يكون ؟

مصطفى جواد

« فهرست المجلد الخامس »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

الكتب

الأنباء والآراء

تصحيح واستدراك

الصفحة	السطر	الغلط	والصواب
٤	١٢	وتضييع	وتضييعاً
٤	١٢	ونكران	ونكراناً

يحذف من مقالة الدكتور أحمد سوسه آخر خبر (صفحة ١١٢) وهو خبر حرب البرسقي لدبيس بن صدقة المزيدي

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول)

« « « (المجلد الثاني)

« « « (المجلد الثالث : جزءان)

« « « (المجلد الرابع : جزءان)

« « « (المجلد الخامس)

كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم — تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري

تاريخ العرب قبل الإسلام « الجزء الأول » — نفد

« « « « « الجزء الثاني » — نفد

« « « « « الجزء الثالث »

« « « « « الجزء الرابع » القسم السياسي

« « « « « الجزء الخامس » القسم الديني

« « « « « الجزء السادس » القسم الديني

« « « « « الجزء السابع » القسم اللغوي

للدكتور جواد علي

صورة الأرض للشريف الادريسي ـ تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي .

موجز الدورة الدموية في الكلية ـ للدكتور هاشم الوري

المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ـ للحافظ ابن الدبيثي ـ انتقاء الامام الذهبي ، الجزء الأول تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

بلدان الخلافة الشرقية ـ تأليف لسترنج ورجمة الأستاذين : بشير فرنسيس وكوركيس عواد

خريدة القصر وجريدة أهل العصر – للعماد الأصفهاني – القسم العراقي – الجزء الأول : حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأعد أصله وشارك في تحقيقه ومعارضته وصنع فهارسه الدكتور جميل سعيد

منازع الفكر الحديث – تأليف سي م جود ، ترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي خماس ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام

الخطّاط البغدادي علي بن هلال (ابن البوّاب) – تأليف الدكتور سهيل أنور ، وترجمة الأستاذين : محمد بهجة الأثري وعزيز سامي

كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من الكلام المنظوم : تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد

مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والاشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران

مصطلحات المجمع في صناعة النفط

تكملة اكمال الاكمال – تأليف جمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد

مؤرخ العراق ابن الفوطي – للأستاذ محمد رضا الشبيبي

مقدمة للرياضيات – تأليف وايتهيد ، وترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف

الدينار الاسلامي في المتحف العراقي – للسيد ناصر النقشبندي

خارطة بغداد قديماً وحديثاً – وضع الدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد أحمد حامد الصراف .

الوقاية من السل الرئوي والـ بي سي جي – للمرحوم الدكتور شريف عسيران

دليل خارطة بغداد المفصل – للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة (تحت الطبع).

كتب ساعد المجمع على طبعها

اليزيدية ـ تأليف السيد صديق الدملوجي

أنت والوراثة ـ تأليف أمرام شاينفلد ، وترجمة السيد بشير اللوس

العلوم الطبيعية ـ دراسة عامة للعلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضية وأثرها في سير المدنية الحديثة ، للدكتور نوري جعفر

المدخل الى الفلسفة الحديثة ـ تأليف سي ام جود ، وترجمة السيد كريم متي

الديارات ـ للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد

الشرفنامه ـ تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني

ديوان الشرر ـ للسيد أحمد الصافي النجفي

الدستور وحقوق الانسان (جزءان) : للسيد عطا بكري

تاريخ علم الفلك في العراق على عهد المغول والتركمان والترك تأليف الأستاذ عباس العزاوي (معدّ للطبع)

صدر حديثاً

الخطاط البغدادي علي بن هلال

المشهور بابن البواب

تأليف

الدكتور ا سهيل انور

مدير معهد تاريخ الطب بجامعة استامبول

ترجمة

محمد بهجة الأثري و عزيز سامي

تلي الرسالة تحقيقات وتعليقات تاريخية وأدبية من وضع الأول

تكملة اكمال الاكمال

في الأنساب والاسماء والألقاب

تأليف

جمال الدين أبي محمد بن علي المحمودي

المعروف بابن الصابوني

حقق وعلق عليه

الدكتور مصطفى جواد

مصطلحات صناعة النفط

التي اصطلح عليها المجمع سنة ١٩٥٨

تحت الطبع

دليل خارطة بغداد المفصل

في خطط بغداد قديماً وحديثاً

تأليف

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور أحمد سوسه

معد للطبع

تاريخ علم الفلك في العراق

على عهد المغول والتركمان والأتراك

تأليف

الأستاذ عباس العزاوي